

اللؤلؤ والمرجان فى فقه ودروس رمضان

لسلمان العوده

للكتور

أحمد مصطفى متولى

المشرف العام لشبكة الطريق إلى الجنة

www.way2ganna.com



اللؤلؤ والمرجان

في فقه ودروس رمضان

لسلمان العودة

(كتاب يشمل سبع رسائل: فرحة رمضان ووقفات في شهر رمضان ودروس رمضانية وجلسة رمضانية في البدائع وصائمون ولكن وأولادنا في رمضان وأخطاء شائعة في الصيام)

إعداد

د. أحمد مصطفى متولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الَّذِي نَصَبَ مِنْ كُلِّ كَائِنٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بُرْهَانًا، وَتَصَرَّفَ فِي خَلِيقَتِهِ كَمَا شَاءَ عَزًّا وَسُلْطَانًا، وَاخْتَارَ الْمُتَّقِينَ فَوَهَبَ لَهُمْ أَمْنًا وَإِيمَانًا، وَعَمَّ الْمَذْنِبِينَ بِحِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ عَفْوًا وَغُفْرَانًا، وَلَمْ يَقْطَعْ أَرْزَاقَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ جُودًا وَامْتِنَانًا، رَوَّحَ أَهْلَ الْإِحْلَاصِ بِنَسِيمِ قَرْبِهِ، وَحَدَّرَ يَوْمَ الْحِسَابِ بِجَسِيمِ كَرْبِهِ، وَحَفِظَ السَّالِكَ نَحْوَ رِضَا فِي سِرْبِهِ، وَأَكْرَمَ الْمُؤْمِنَ إِذْ كَتَبَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ. حَكَمَ فِي بَرِّيَّتِهِ فَأَمَرَ وَنَهَى، وَأَقَامَ بِمَعُونَتِهِ مَا ضَعُفَ وَوَهَى، وَأَيَّقَطَ بِمَوْعِظَتِهِ مَنْ غَفَلَ وَسَهَا، وَدَعَا الْمَذْنِبَ إِلَى التَّوْبَةِ لِغُفْرَانِ ذَنْبِهِ، رَبُّ عَظِيمٍ لَا يَمِثَالُ الْأَنَامِ، وَغَنِيٌّ كَرِيمٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، الْخَلْقُ مَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ وَعَلَى الدَّوَامِ، وَمَضْطَرُونَ إِلَى رَحْمَتِهِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

أَحْمَدُهُ حَمْدَ عَابِدٍ لِرَبِّهِ، مُعْتَذِرٍ إِلَيْهِ مِنْ تَقْصِيرِهِ وَذَنْبِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُنْخَلِصٍ مِنْ قَلْبِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَصْطَفَى مِنْ حِزْبِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ خَيْرِ صَحْبِهِ، وَعَلَى عُمَرَ الَّذِي لَا يَسِيرُ الشَّيْطَانُ فِي سِرْبِهِ، وَعَلَى عِثْمَانَ الشَّهِيدِ لَا فِي صَفِّ حَرْبِهِ، وَعَلَى عَلِيٍّ مُعِينِهِ فِي حَرْبِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

فرحة رمضان

للشيخ سلمان بن فهد العودة

فرحة رمضان - صائمون احتساباً

إن من طبيعة الإنسان أنه يفرح بفضل الله تعالى، وبنعمه، ولكن مع ذلك تختلف فرحة الناس فمنهم من يفرحون لأمر دنيوية بحتة، ومنهم من يفرحون فرح المؤمنين المتقين الطائعين، وهذا هو الذي يجب أن يتمثله المسلم وخاصة في شهر رمضان، وعلى المسلم أن يكون صومه وجميع أعماله إيماناً واحتساباً للأجر والثواب عند الله تعالى: وقد بين الشيخ حفظه الله تعالى أن العبرة بحسن العمل لا بكثرته.

فرح الناس بدخول شهر رمضان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحببيه وخليله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

ما يزال المسلمون في هذه اللحظات ينتظرون إعلان دخول الشهر الكريم المبارك، وقد تطلعت قلوبهم، واستشرفت نفوسهم إلى سماع أصوات المدافع وهي تبشر بدخول هذا الشهر الكريم. ولا شك -أيها الإخوة- أن هذا الخبر الذي نترقبه ونتظره هو من أعظم ما يُفرح به ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

اختلاف فرحة الناس بدخول شهر رمضان

أيها الإخوة: لعل كل الناس -بل أكثرهم- يفرحون بقدم هذا الشهر ودخوله، لكن أسباب الفرحة تتفاوت تفاوتاً عظيماً.

فمن الناس من يكون فرحه بدخول هذا الشهر؛ لأنه تاجر يعتقد أنه سوف ينمي بضاعته ويروجها في هذا الشهر، ويرى من إقبال الناس على شراء ما يحتاجونه، من المأكولات والمشروبات وغيرها في هذا الشهر الكريم ما يكون مصدر سعادة له وهذه فرحة دنيوية بحتة، نحن لا نلوم هؤلاء على فرحتهم تلك، فإن الإنسان مجبول على حب المال، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] ومن الخير: المال، فالنفوس جُبلت على حب المال غالباً وقد صلى

أصحابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً معه صلاة الفجر، فلما سلم وقام تعرضوا له وسلموا عليه، فتبسم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، عرف ما الذي جاء بهم، قال: {أظنكم سمعتم بالمال الذي قَدِم من البحرين قالوا: أجل يا رسول الله قال -عليه الصلاة والسلام-: أبشروا وأملوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُفْتَح عليكم الدنيا كما فُتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها؛ فتهلككم كما أهلكتهم} والحديث متفقٌ عليه، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

فمن الناس من تكون فرحته فرحة مادية بحتة، ومن الناس من تكون فرحته فرحة العايب اللاهية الذي لا يذكر من رمضان إلا إيقاد المصاييح، وسهر الليالي، والجلسات الطويلة المتصلة، والمباريات الرياضية التي يسهرون عليها حتى وقت السحور، أو لا يذكر من رمضان إلا السهر أمام الشاشة؛ لمشاهدة الأفلام، أو مشاهدة البرامج التي تضر ولا تنفع، فيكون فرحه برمضان لا يعدو فرحة مادية دنيوية ضارة، تكون على الإنسان وبالاً في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجله.

ومن الناس من لا يتذكرون من رمضان إلا المسابقات والمنافسات في أمور لا خير فيها، وكثير من الشباب ربما كان جُلُّ همهم في رمضان ومصدر فرحتهم وسرورهم، هي الذكريات التي يعيشونها في رمضان مضت، والسهرات الطويلة، وأنواع من الأسفار والمغامرات والمسابقات والمنافسات، التي لا يفرح بها مؤمن أبداً.

ومن الناس من يكون فرحه فرح الصبيان الذين لا يذكر من شهر رمضان إلا ألوان الأطعمة المتميزة التي يتعاطونها في هذا الشهر الكريم، على حين لم يكونوا يتعاطونها قبل ذلك، فلا يفرح من هذا الشهر إلا بمثل هذه الأمور، كما يفرح بها الصبيان الصغار الذين لا يعرفون رمضان إلا بتغير البرامج وتغير الأطعمة ومواعيد الإفطار والغداء والعشاء وغيرها.

لماذا يفرح المؤمن برمضان

من الناس من يكون فرحه فرح المؤمن، الذي يفرح برمضان؛ لأنه شهر القرآن، شهر الصيام والقيام والعبادة والدعاء والتضرع إلى الله -عزَّ وجلَّ- شهر المغفرة والعتق من النار. من الناس من يفرحون برمضان، كما كان يفرح به أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- فكان -عليه الصلاة والسلام- إذ يبشرونهم برمضان، لم يجد ما يبشرونهم به في مقدم هذا الشهر الكريم، إلا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري وصحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول

لأصحابه: { إذا دخل رمضان فُتِحَتْ أبواب السماء } وفي رواية: { فُتِحَتْ أبواب الجنة، وغلقت أبواب النيران، وصُفِّدَت الشياطينُ ومَرَدَّةُ الجن } فبذلك كانوا يفرحون؛ لأن فتح أبواب السماء، وفتح أبواب الرحمة وأبواب الجنة، تكرم من الله - عزَّ وجلَّ - على عباده، وسِعة رحمته، وكثرة مغفرته، وكثرة عتقائه في هذا الشهر الكريم من النار، ولذلك جاء في الحديث، في رواية الترمذي - رحمه الله - أن النبي ﷺ قال: { إذا كان أول ليلة من رمضان... } ونرجو أن تكون هذه الليلة، التي أخبر عنها النبي ﷺ هي التي نعيش ساعاتها الآن ونترقبها { إذا كان أول ليلة من رمضان غلقت أبواب النار؛ فلم يُفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة؛ فلم يُغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير هلمَّ وأقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله في كل ليلة عتقاء من النار }. فهذه مصدر فرحة أصحاب محمد ﷺ، وهذا الذي وجد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشر أصحابه به؛ لأنهم لم يكونوا يفرحون إلا بما يكون مقرباً لهم إلى رضوان الله تعالى ورحمته، ومباعداً لهم عن عذابه وسخطه، وهكذا يفرح المؤمنون ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

مصدر فرحة المؤمن في رمضان: أنه يؤمل أن يكون فيه في ركب التائبين، الذين غُفرت لهم ذنوبهم، ومُحيت عنهم سيئاتهم، وتجاوز الله تعالى عن خطاياهم، فساروا في موكب المؤمنين التائبين الطائعين، وما تدري - يا أخي الحبيب - ماذا يكون مصيرك بعد هذا الشهر الكريم، فإن الإنسان ما هو إلا نفسٌ يدخل ولا يخرج، أو يخرج ولا يدخل، ورُبَّ إنسان أصبح ولم يمَس، أو أمسى ولم يصبح، أو نام ولم يستيقظ، أو استيقظ فلم ينم، وإنما هي آجال مكتوبة مضروبة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقد شدَّ من هذا الموكب الكريم - موكب المؤمنين المطيعين الفرحين المسرورين. بمقدم هذا الشهر الكريم - شدَّ منهم فئة من الناس، تخلت عن حقيقة إيمانها، وأصابتها بمقدم هذا الشهر الذعر والفرع والحزن؛ لأن أحبهم وأصحابهم من الشياطين قد تخلوا عنهم - كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله - حين سُلِّسوا وصُفِّدوا في الأغلال، فلم يستطيعوا أن يخلصوا في رمضان إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، فبقي شياطين الإنس منفردين شاذين، فأصبح الشهر ينزل عليهم نزول الألم الذي لا يكادون أن يطيقوه، يعدون أيامه ولياليه عدداً، وينتظرون خروجه بفارغ الصبر، وفي

الوقت الذي يكون رمضان فيه للمؤمنين قربة ومزيداً في الطاعة، فإن هؤلاء يكون الشهر -والعياذ بالله- عليهم وبالأومقرباً إلى سخط الله عز وجل:

فكم من إنسان يتتبع عورات المؤمنين في هذا الشهر، ويبحث عن زلاتهم وسقطاتهم، وينتظر غفلاتهم، فيفضي إلى ما حرم الله -عز وجل- إلى مال حرام، أو نظرة حرام، أو جريمة يتمكن منها في غفلة الناس، وفي غفلة من أعين الرقباء، ومثل هؤلاء أمرهم عجب؛ فإنهم قد رضوا لأنفسهم طريقاً غير طريق المؤمنين، وانسلخوا عن هذه الأمة، فإن فرحت حزنوا، وإذا سرت ابتأسوا؛ لأنهم اختاروا طريقاً آخر غير طريق الإيمان وغير طريق التوبة.

مضى رجبٌ فما أحسنتَ فيه وولّى شهرُ شعبان المباركُ
 فيا من ضيَع الأوقاتَ جهلاً بحُرمتها أفقٌ واحذر بواركُ
 فسوف تُفارق اللذاتِ قسراً ويُخلى الموتُ كُرْهاً منك داركُ
 تداركُ ما استطعتَ من الخطايا بتوبةٍ مُخلِصٍ واجعل مداركُ
 على طلب السلامة من جحيمٍ فخير ذوي الجرائم من تداركُ

معاينة النفس

أيها الأحبة.. ألا ترون أنه جديرٌ بنا جميعاً أن نعاتب أنفسنا في مثل هذه الليلة، والله إن نفوسنا لجديرة بالعتاب، يا نفس، كم شهراً صمت؟!!

كم سنة أدركت رمضان، ثم خرجت منه كما دخلت فيه، بل ربما كنت على حالٍ أقل مما دخلت فيه في رمضان؟!!

كم سمعت في هذا الشهر من موعظة؟!!

بل كم حفظ الناس من أحاديث وآيات وموعظات وآيات سمعوها في مدخل هذا الشهر الكريم وفي لياليه العامرات، بالذكر والعبادة؟!!

لا أقول: كم موعظة سمعت؟! بل كم موعظة رأيت بعينيك؟!!

كم جنازة شيعت؟!!

كم من إنسان واريناه في حفرته ثم خرجنا من المقابر وقد أنكرنا قلوبنا، ما تغيرت إلا إلى أقل مما كنا نصبو إليه؟!!

بل كم من موعظة أدر كناها في نفوسنا؟!

رُبَّ إنسان منا أشرف - يوماً من الأيام- أو كاد أن يقع في حادث، وربما أصابه مرض شديد ظن أن فيه حتفه وهلاكه، وربما شاهد أباه أو أخاه أو قريبه وهو يلفظ أنفاسه، وربما وضع الإنسان يديه على رأسه - يوماً من الأيام- وهو يظن أنه في آخر أيامه ولياليه، أو آخر ساعاته ودقائق عمره، ثم خرج من ذلك كله، والقلب لا يزداد إلا قسوة، والنفس لا تزداد إلا إعراضاً، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

جدير بك أن تحتلي بنفسك لحظةً وتتساءل: هذه المواعظ التي سمعتُ وأعظمها مواعظ الله - عزَّ وجلَّ- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

هذه المواعظ التي سمعت، بل هذه المواعظ التي رأيت أين كان مصيرها؟!

هل زادت العبد قرباً من الله عزَّ وجلَّ؟!

هل زادته بصيرة في نفسه؟ هل زادته خوفاً من الله؟!

هل زادته رغبة في الجنة؟!

هل زادته خوفاً من النار؟!

هل زادته إقبالاً على الطاعة؟!

هل زادته إعراضاً عن المعصية؟!

هل زادته زهداً في الدنيا؟!

أم أن العبد يسمع بأذن ويخرج الكلام من الأذن الأخرى، ولربما تلهب سياط الموعظة ظهره لحظات، ثم بعد ذلك يغفل في الغافلين، ويشرد في الشاردين، ولا يتذكر من ذلك شيئاً قط، إلا أنه يقول: طالما سمعنا هذه المواعظ فمللنا منها، نعم يا أخي الحبيب سمعت الكثير، سمعت الخطباء في أيام الجُمُع، وسمعت المواعظ في المساجد، وسمعت الكلام في مطلع شهر رمضان، لكن السؤال الكبير الذي يجب أن تسأله نفسك: ماذا كان أثر هذه المواعظ في قلبك؟ هل حركت ساكناً؟ هل قومت معوجاً؟ هل أصلحت فاسداً؟ أم أن هذه المواعظ لا تزيد الإنسان إلا غفلة؟!

ألم تسمع -يا أخي!- كلام حبيبي وحببيك محمد -عليه الصلاة والسلام- وهو يقول فيما رواه مسلم ، عن أبي مالك الأشعري ، أن النبي ﷺ كان يقول: {الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك}.

رُبَّ إنسان أخذ القرآن بيده فأدخله الجنة، ورُبَّ آخر دفع القرآن في قفاه إلى النار، فهو حجة لك أو عليك.

فهذه المواعظ هي حجة للعبد إن آمن بها وعمل، أو حجة عليه إن أعرض عنها وتنكر لها.

فيا أخي! لا تظن أن المسألة مجرد استماع، أو برامج اعتاد الناس أن يسمعوها، إنما القضية أنك تُسأل يوم القيامة عن أمر علمته، فماذا عملت فيه، سوف يُقال لك: عَلِمْتَ فما عَمِلْتَ؟ وليس صحيحاً، أن الحل هو الإعراض عن الموعظة؛ لئلا تكون حجة عليك، بل إن الذي يعرض عن الموعظة خشية أن تكون حجة عليه، هو أعظم إثماً وجرماً ممن يستمع للموعظة ولا يعمل بها، إنما قد يُعذر إنسانٌ لم يجد مَنْ يَعِظُهُ، ولا من يذكره، ولا من يقرأ عليه كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولا من يقرأ عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من يبين له الحلال والحرام فهذا قد يكون معذوراً من بعض الوجوه، أما من وجد السبيل، ووجد مجالس الذكر والعلم، ووجد الموعظة، فهذا ينبغي له أن يبادر ويسارع إليها، وأن يجعل من هذه الموعظة سبيلاً إلى القربى إلى الله عزَّ وجلَّ.

الأمة تعيش أحداثاً جساماً قبل رمضان

أيها الإخوة! يقبل رمضان على الأمة في هذا العام، وفي هذه السنة، يقبل ووجوه الناس غير الوجوه التي كان يعرف، سيتنكر لرمضان كثيرون، وسيتغيرون عليه عما كانوا عليه بالأمس.

لقد عاشت أمة المسلمين من رمضان في العام الماضي إلى رمضان في هذا السنة عاشت أحداثاً جساماً، سبحان من يرث الأرض ومن عليها! وسبحان من يعلم الغيب! لا يعلم الغيب إلا هو، من كان يدري ماذا سيحري لهذه الأمة بعد شهر رمضان؟

لقد تغيرت أشياء كثيرة، وتبدلت أحوال، ونزلت بالأمة نكبات وملمات وأزمات ومصائب عظام، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل عاقبتها للمسلمين خيراً، وأن يعوض المسلمين عنها خيراً مما فقدوا.

لقد عاش المسلمون آمناً جسيمة منذ الحج في العام الماضي، ثم مروراً بشهر الله المحرم، حيث حصل فيه اجتياح العراق للكويت، وما ترتب على ذلك من آثار وأحداث، إلى هذا اليوم الذي لا زال المسلمون يضعون أيديهم على قلوبهم، خوفاً مما يُخبأ في أيامٍ وليالٍ الله تعالى أعلم ما يكون فيها، وفي هذا عبرة أيُّ عبرة، فإن الأمم تقيس مدى تقدمها أو تأخرها ليس بالسنة، بل أحياناً باليوم، وربما بالساعة أو الدقيقة، أما المسلمون فإن الأيام والليالي تجعلهم دائماً وأبداً، يعيشون في خوف وترقب، ويعيشون في وجل مما قد يكون، وعلى كل حال فإن المؤمن مهما نزل به من بلاء، ومهما ألمت به من مصيبة إلا أنه يعلم أن ذلك بقضاء الله تعالى وقدره، وقد قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: {عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له} فرمما يتساءل كثير من الناس، كثير من المؤمنين يتساءلون: ماذا بين هذا الشهر الكريم الذي نعيشه الآن وبين الشهر الذي قد يدركه منا من كتب الله تعالى له أن يدركه في العام القادم ماذا تُرى سيقع للمسلمين، أفراداً وشعباً وأممًا؟ ماذا سيحدث لهم؟

إن المؤمن الذي ينظر بعين التفاؤل والأمل والثقة بوعد الله عزَّ وجلَّ هو على يقين أن الله تعالى سيجعل هذا العام والأعوام المقبلة، للمسلمين خيراً في دنياهم ودينهم، وسيجعل منها سبباً إلى وصول المسلمين إلى ما يصبون إليه، من عز ونصر وتمكين، وستكون -بإذن الله تعالى- سبباً إلى إقبال الناس إلى ربهم، وتوجههم إلى الله عزَّ وجلَّ، فإننا جربنا أن الهزائم والنكبات التي تعيشها الأمة تكون دائماً عكس ما يريد أعداؤها، تكون سبباً إلى إيقاظ الأمة، وإحياء قلوبها، وإقبالها إلى ربها، وقد حصل للمسلمين خير كثير من جراء الهزائم والنكبات التي ألمت بهم مما واجهوا عدوهم اليهود، أعداء الله ورسوله.

ولا شك أن الناس يترقبون إعلان هذا الشهر، فنحمد الله تعالى على أن بلغنا هذا الشهر الكريم، ونسأل الله تعالى أن يكتب لنا أجر صيامه وقيامه، ونسأله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلنا فيه من عتقائه من النار، إنه على كل شيء قدير، اللهم بارك لنا في هذا الشهر، اللهم ارزقنا صيامه وقيامه، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم أعنا على نفوسنا،

اللهم أصلح فساد قلوبنا، اللهم وفقنا لما تحب وترضى من صالح الأقوال والأعمال، يا حي يا قيوم
يا ذا الجلال والإكرام.
والحمد لله رب العالمين.
وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

النية أساس العمل

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب: ٥٦].
اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد:

أيها الإخوة الصائمون، هذه الليلة الثانية من ليالي شهر رمضان المبارك لعام: (١٤١١هـ).

نظرة إلى وجه صائم

أيها الإخوة! كل مَنْ رأى وجه أحد من الصائمين في هذا المساء؛ عرف أنه قد أمسى صائماً، وكيف لا يعرف ذلك، وهو يرى شفثيه وقد يُسْتَا وتقلصتا من أثر الصيام والجوع والعطش، وقد يرى أثر السكينة والإيمان ظاهراً جلياً على محياه، فإن كل مسلم يمسي في مثل هذه الأيام صائماً، حتى العصاة، حتى أولئك الذين بلغت بهم قلة الدين ورقة الورع وضعف التقوى، أن يُفَرِّطُوا في صلواتهم، فإنهم لا يجرعون على ترك الصيام، بل تجدهم صائمين مع المسلمين، فمن باب أولى أن يكون رؤود المساجد، وأهل حلق الذكر والمصلون، أن يكونوا هم أيضاً من الصائمين، وهذا مما ليس فيه شك ولا ارتياب، لكن الأمر الذي لا أدري هل هو منك على بال، أم أنك عنه من الغافلين؟!.

إنه ليس كل صائم صائماً، فرب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب، وفرق أي فرق بين من يصوم عادة، وبين من يصوم عبادة، فرق أي فرق بين من يصوم طمعاً في ثواب الله وجنته وخوفاً من ناره وسخطه، وبين من يصوم انسجاماً مع قوانين المجتمع، أو مراعاة للعرف العام والوضع العام للمجتمع، أو حياءً من الناس، أو خوفاً من السلطان، فرق بين هذا وذاك.

النية تبارك الأعمال

أيها الإخوة: إن النية والاحتساب هي التي يبارك الله تبارك وتعالى بها العمل ويزكيه وينميها؛ فيجعل بها القليل كثيراً، واليسير خطيراً، وما دخل أهل الجنة الجنة بكمبر عمل عملوه، ولا بعظيم جهد بذلوه، أكثر من كونهم محتسبين مخلصين، فيما يأخذون وفيما يدعون، وكان أحدهم يقول: إنما أريد ما أريد، أن أعمل ما أعمل احتساباً لوجه الله، وأترك ما أترك احتساباً لوجه الله.

إذاً: فصلاح النية، وحسن القصد، وظهور الاحتساب عند العبد، هو من أعظم أسباب القرب، وأكبر الأشياء التي يتضرع بها العبد إلى دخول الجنة.

وهذا الاحتساب المطلوب ليس خاصاً في الصيام، بل هو عام في كل عمل، حتى الأعمال الدنيوية العادية البحتة إذا دخلها الاحتساب كان هذا سرّاً أو (إكسيراً) - كما يقولون - يضاف إليها فيحولها إلى قُرْبَات وطاعات وأعمال صالحة.

صوم العادة وصوم العبادة

اسأل نفسك - يا أخي الحبيب - حين تصوم: هل تصوم إلفاً وعادة؟ أم تصوم وفي أذنك حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي رواه البخاري وغيره، عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: {من صام يوماً في سبيل الله باعد الله تعالى بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً} أي: سبعين سنة فأنت اليوم صمت، فاعقد خنصرَكَ على أنك صمت يوماً، صمتَ صوماً مظهرياً من حيث الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، لكن بقي الشرط الثاني: (في سبيل الله)، فهل كان صومك في سبيل الله؟ إذا فأبشر أن هذا اليوم الوحيد الذي صمته الآن، قد بَعُدَ - بمقتضى موعود رسول الله ﷺ وصدق حديثه - بَعُدَ وجهك عن نار جهنم سبعين خريفاً، فما بالك بمن يصوم ثلاثين يوماً، فما بالك بمن يصوم عشرات السنين، كل سنة يصوم فيها شهر رمضان، ويصوم ما يسر الله تعالى له من صيام النفل المشروعة، فهل تصوم هذا اليوم وأنت تستذكر هذا الموعود، وتحسب هذا الأجر عند الله تبارك وتعالى؟ أم تصوم مع الصائمين دون استحضار نية ولا تصوُّر قصد؟

وقل مثل ذلك في كل عمل، يبدأ ذلك بأصل الدين والتوحيد الذي يدخل به الإنسان في زمرة المؤمنين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قد يقولها المنافق رياءً وسمعة، أو خوفاً من السيف، ويقولها المؤمن رجاء ثواب الله تعالى؛ فيحرم الله تعالى عليه النار، ويوجب له الجنة، بكلمة واحدة، فأنت إذا قلت: لا إله إلا الله، هل تقولها عادة جرت بها عادتك ومضت على لسانك؟ أم ترطب لسانك بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وأنت تتذكر ما رواه عتيان بن مالك رضي الله عنه، قال: {غدا عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، -أي: أتاه في منزله- فقال -عليه الصلاة والسلام-: ما من عبد يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك ما عند الله، إلا حرم الله عليه النار} حرم الله عليه النار بكلمة واحدة، مع أن هناك من قالها رياءً وسمعة، فلم تغن عنه شيئاً قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

إذاً: قضية الاحتساب في الشهادة في أصل الإيمان، هي السر الذي يكون به العبد مؤمناً مسلماً، ويدخل الجنة ويُحرَّم على النار.

وقل مثل ذلك في الصلوات الخمس مثلاً، فهل أنت تؤدي الصلوات الخمس بحسب العادة، أو كما يقول بعض الشباب: من أجل أن يثبت الإنسان شخصيته، وأنه فردٌ مُنتَمٍ إلى هذا المجتمع، موافق له في عاداته وأخلاقياته وتقاليده؟ أم أنك تؤدي هذه الصلوات الخمس احتساباً، وتذكر حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي رواه أصحاب السنن بسند صحيح، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: {خمس صلوات كتبهن الله على العباد، مَنْ أتى بهن، ولم يضع شيئاً منهن استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة}.

إذاً: أنت تؤدي الصلوات الخمس، احتساباً لوجه الله تعالى، وبقيناً بما أخبر به الرسول ﷺ، من أن مهر دخول الجنة بعد الشهادتين أداء هذه الصلوات الخمس، وبين من يصلي بهذه العقيدة وبهذه النية، وبين ذلك الذي يصلي رياءً أو سمعةً كما بين السماء والأرض، بل كما بين الجنة والنار، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وأنت تتوضأ وضوءاً للصلوة، هل تتوضأ وضوءاً عادياً مألوفاً، ربما تنتهي من الوضوء وأنت لم تذكر أنك تتوضأ؟ أم أنك تقوم بهذا العمل الجليل وأنت تسمع بأذنك وتؤمن في قلبك، بما أخبر به النبي ﷺ فيما رواه: مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء} أبواب الجنة الثمانية تفتح لك خلال دقيقتين فقط، تقوم بهما بعمل الوضوء بنية واحتساب، فتفتح لك أبواب الجنة الثمانية، تختار أيها شئت لتدخل منها، والحديث رواه الترمذي وزاد: {أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين}.

وأنت تقرأ القرآن، سواء كنت تقرأه في مثل هذا الشهر الكريم، الذي هو شهر القرآن، أم تقرأه في أي وقت من ليل أو نهار، هل تقرأ هذا القرآن هَذَا كَهَذَا الشعر، هُمَّكَ الوصول إلى نهاية السورة أو إلى نهاية الجزء، أو إلى نهاية المصحف، أو أن تقول للناس: ختمت القرآن مرةً أو عشرةً أو مائة؟ أم أنك تقرأ وأنت تعلم أن لك ما أخبر به الصادق المصدوق -عليه صلوات الله تعالى وسلامه- في حديث ابن مسعود، الذي رواه الترمذي بسند صحيح: {من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة،

والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول: "ألم" حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ}.

إذاً: احسب وأنت تقرأ القرآن، أن الحساب يوم القيامة على قراءتك القرآن، ليس بعدد السور التي قرأتها، ولا بعدد الأجزاء، ولا بعدد الصفحات، ولكن بعدد الحروف، فاحسب كل حرف تلفظ به فمك عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وبإمكانك أن تحسب سورة من أقل سور القرآن الكريم عدداً في الآيات، كسورة العصر -مثلاً- أو سورة الكوثر، واحسب عدد آياتها، ثم عدد حروفها، واضرب ذلك في عشرة لتعرف مقدار ما أعد الله لك من جزيل الثواب، إذا كان هدفك الأجر والاحتساب في مثل هذا العمل العظيم.

صيام رمضان وقيامه إيماناً واحتساباً

وأنت تصوم في شهر رمضان أو في غيره، هل تتذكر قول رسول الله ﷺ: { من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه }.

من صام رمضان إيماناً بوجوب الصيام، وإيماناً بأنه من أركان الإسلام، وإيماناً بأنه قرابة إلى الملك العلام، واحتساباً للأجر عند الله تعالى على ذلك الصيام، أي: أن الإنسان يجوع، يمسه الجوع ويمسه العطش، وقد يصيبه الصداع في رأسه، وقد يصيبه الضعف في بدنه؛ لكنه يفعل ذلك كله احتساباً وهو يفرح به، يفرح بهذا الجوع، وبهذا العطش، يفرح بما يلقاه في سبيل الله؛ لأنه أثر العبادة، وقد كان الناس أهل الدنيا وأهل الماديات يفرح أحدهم بما يصيبه من أجل حبيبه.

إن كان سرهم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

أفلا تقول هذا أنت لرب العالمين؟ إذا كان هذا الألم الذي تلقاه هو من أجل الله ولوجه الله واحتساباً، فإنك تفرح وتُسرُّ به؛ لأنه أثر العبادة، وهو يُرضي الربَّ جلَّ وعلا، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الصحيح المتفق عليه: {لَخُلُوفُ فَمِّ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ}.

الرائحة الكريهة للناس، من أثر خلو المعدة من الطعام، أطيب عند رب العالمين من رائحة المسك الفواح.

وهكذا الحال بالنسبة للقيام، هل تقوم موافقة للناس أو معهم، أو استحساناً لأصوات القراء الفضلاء؟ أم أنك تقوم ابتغاء ما عند الله، ورجاء أجره وثوابه، وتطلباً لما أخبر به ﷺ في الحديث

المتفق عليه، عن أبي هريرة : { من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه } قد يقول كثير من الإخوة: وهل يقوم الإنسان إلا إيماناً واحتساباً؟

فأقول: مع أن أكثر المصلين إنما يصلون إيماناً واحتساباً، والذين يأتون لغير ذلك من الأغراض، سواء كانت أغراضاً دنيوية، أم أغراضاً سيئة، هم - بحمد الله - قليل، إلا أن الذين يأتون إيماناً واحتساباً، بينهم من التفاوت في المنازل بون عظيم وفرق شاسع: فمنهم من يأتي بنية، ولكنها نية غامضة مبهمه غير محددة، ومنهم من يستحضر النية في كل عمل، وفي كل حركة، وفي كل ليلة، ويتذكر هذه الأحاديث، وهذا من بركة حضور مجالس الذكر، وسماع المواعظ، أن العبد إذا سمع ما وعد به الله تعالى، أو ما وعد به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - كان إقباله على العمل والعبادة إقبالاً بصدق ونية واحتساب، وليس إقبالاً بحكم العادة والإلف.

ولهذا يقول الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه في كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، يقول: فدخل فيه الإيمان كما سبق: { من قال: لا إله إلا الله يتنغي بذلك وجه الله } والوضوء - كما سبق أيضاً - والصلاة - كما سبق - والزكاة، والحج، والصوم، والأحكام، كل ذلك إنما هو بالعمل والنية، ولهذا قال النبي ﷺ: { لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيةٌ }.

ثم ساق البخاري - رحمه الله تعالى - قول الله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

كل يعمل على شاكلته أي: على نيته، فهذا يعمل للدنيا، وذاك يعمل للآخرة، العمل واحد والثمرة مختلفة، يردون مورداً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، بينهم من الفروق كما بين المشرق والمغرب، أو كما بين السماء والأرض، بل كما بين الجنة والنار، ولذلك جاء في حديث عمر رضي الله عنه: { العمل بالنية } وفي لفظ: { إنما الأعمال بالنيات }.

النية تدخل في أعمال الدنيا

أيها الإخوة! ليس هذا الأمر مقصوراً على العبادات فقط، بل حتى أعمال الدنيا، فالعبادات أمرها معروف، لكن حتى أعمال الدنيا، إذا اقترن بها الاحتساب وافتترنت بها النية تحولت إلى قُرْبَات يُثاب عليها العبد، فأما موضوع الأعمال الصالحة فحدث ولا حرج، خذ - على سبيل المثال -

القتل، هل هناك أعظم من أن يقدم الإنسان رقبته لتقطع في معركة من المعارك أو في موقف من المواقف؟ هذا أعظم الجود.

يجود بالنفس إن ضن البخيل به والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود

لكن فرق بين مَنْ يُقتل في سبيل الدنيا، أو يُقتل من أجل المغنم، أو يُقتل من أجل الزعيم والرئيس، أو يُقتل من أجل الوطن والتراب والطين، فرق بين مَنْ يُقتلون في سبيل الطاغوت وبين مَنْ يُقتل في سبيل الله تعالى صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، ولهذا في الصحيح: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: {يا رسول الله! أرايت إن قُتِلْتُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، يُغْفَرُ لي؟ فقال النبي ﷺ: نعم، ثم نزل جبريل على النبي ﷺ فتغشاه من الوحي ما كان يتغشاه، فلما سُرِّي عنه قال: أين السائل؟ قال: ها أنا يا رسول الله! قال: كيف قلت؟ قال: أرايت -يا رسول الله- إن قُتِلْتُ صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، يُغْفَرُ لي؟ قال: يغفر لك كل شيء إلا الدَّين، أخبرني بذلك جبريل آنفاً}.

إذاً: الاحتساب لا بد منه في كل عمل عظيم، كالقتل، أو عمل يسير كالخطوة التي تمشيها إلى المسجد، أو الغصن الذي تعزله عن الطريق، أو الكلمة الطيبة التي تقولها لفلان أو فلان، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: {كان رجل من الأنصار ليس بالمدينة رجل أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة مع رسول الله ﷺ، قال: فقيل له: يا فلان! لو اشتريت حماراً تركبه في الرمضاء وفي الظلماء -كان يأتي على قدميه إلى المسجد- قال الرجل: ما أحب أن بيتي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يُكْتَبَ لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي}.

إذاً، الاحتساب وارد في هذه الحالة فأنا أمشي أريد أن يُكْتَبَ لي كل خطوة أمشيها إلى الصلاة، وكل خطوة أعود بها من المسجد إلى بيتي، فلما قيل لرسول الله ﷺ ذلك، قال: {قد جمع الله لك ذلك كله} وفي رواية لمسلم -أيضاً-: {فإن لك ما احتسبت} فما دام المسألة مسألة احتساب فكل خطوة تمشيها إلى المسجد مكتوب لك أجرها وبرها وذخرها عند الله تعالى، وكل خطوة تمشيها من المسجد إلى بيتك راجعاً فهي مكتوبة لك أيضاً.

الاحتساب يدخل في ترك المعاصي

أيها الإخوة! هذا في الطاعات، أما في الكف عن المعاصي فالأمر كذلك؛ فرق بين من تجنب الخمر -مثلاً- لأنه يخشى أن تضر بصحته، أو يخشى أن تكون فضيحة له، أو يخشى أن تذهب بعقله

فحسب، فهذا عمله حسن، وهو من خصال المروءة، وقد كان بعض أهل الجاهلية يتركونها، ويقول أحدهم:

فلا والله أشربها صحيحاً ولا أشفى بها أبداً سقيماً

ولكن ليس له الأجر الذي لذلك الذي ترك الخمر وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] ويسمع حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: {من شرب الخمر في الدنيا، ثم مات ولم يتب منها، لم يشربها في الآخرة}.

إذاً يترك الخمر في الدنيا، ولو كانت نفسه تميل إليها أو تستهيبها، ويتوب منها، ويقلع عنها؛ لأنه يردُّ في اعتباره وحسابه ادخار ذلك لخمير في الجنة لا تقاس بخمر الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] إذاً: يحتسب بترك الخمر خمير الجنة ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣].

ومثله: لباس الحرير، الذي قال فيه النبي ﷺ: {من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة}.

ومثله: ترك نساء الدنيا بالحرام؛ لأنه يريد عند الله تعالى حوراً حسناً أُعِدِّدُنَ للرجال الصالحين المؤمنين الأتقياء الأعفاء، ولو تطلعت نفسه، وطاق ضميره، وتحركت شهوته، إلا أن اليقين الصادق بموعد الله تعالى في الجنة يجعله يدخر هذا الأمر، ويترك العاجل لموعد غيب لم يره، ولكنه آمن به، ولذلك كان أعظم ما مدح الله به الأنبياء أو الصالحين هو الإيمان بالدار الآخرة، والإعداد والاحتساب له، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦] خصصناهم بخصيصة، ميزة، نعمة أكرمهم الله تعالى بها وفضلهم، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦] وورد في حسابه ذكر الدار الآخرة، وذكرها، والإعداد لها، والترك من أجلها، والفعل من أجلها: ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

وأعظم ما ذم الله تعالى به الكفار والملحدين أنهم لا يؤمنون بالدار الآخرة، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

فإذا نسي الإنسان الجنة والنار، ويوم الحساب، ونسي الميزان، ونسي الاحتساب، اختللت الحسابات عنده: لماذا يترك الربا وفيه أموال هائلة طائلة سوف تحصل له؟ لماذا يتركه، إذا لم يكن عنده مبدأ الاحتساب والنية؟ لماذا يترك الحرام وقد تيسر له؟ ما دام أنه ليس عنده نية واحتساب، ولم يرد في قلبه وضميره وعقله ووجدانه الخوف من الله، أو الرجاء في ثوابه، وهذا هو سبب انحراف المنحرفين، وهو أيضاً سبب طاعة الطائعين.

احتساب الأجر عند الصبر على الأقدار

وقل مثل هذا وذاك في موضوع الصبر على أقدار الله -عزَّ وجلَّ- فإن العبد قد يتلى في نفسه، أو ماله، أو أهله، أو ولده، فهنا يصبر العبد المؤمن صبر المحتسب الراجي ثواب الله -عزَّ وجلَّ- وأجره وموعوده، لا صبر الإنسان الذي لا حيلة له، صبر المضطر الذي ليس بإمكانه الدفع والمنع، ولهذا قرن الرسول ﷺ الأجر بالصبر، ففي حديث عمرو بن شعيب، -رحمه الله- أن رجلاً مات ابن له، فكتب إليه عمرو بن شعيب -كما في سنن النسائي- كتب إليه كتاباً، يعزيه في ولده الذي هلك، ويقول له: إنه حدثه أبوه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: {إن الله تعالى لا يرضى لعبده المؤمن إذا قبضَ صفيّه من أهل الدنيا -يعني: حبيبه-، فصبر واحتسب، وقال ما أمر به بثواب دون الجنة}.

فإذا مات قريب، أو حبيب، أو ولد، أو صاحب، فصبر واحتسب، وقام بما أمر به لم يرضَ الله تعالى له بثواب دون الجنة فيصبر صبر المحتسب، لا صبر المضطر، ومثله حديث أسامة بن زيد، وهو في الصحيحين: {أن ابناً لبنت رسول الله ﷺ حضره الموت، فبعثت إلى أبيها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- تقول: إن ابني قد حضر، جاءه الموت فأتنا، فبعثَ إليها رسولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول لها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى؛ فلتصبر ولتحتسب.

فأرسلتُ إليه، تُقسِمُ عليه ليأتي -حَلَفَتْ: لَتَأْتِي يا رسول الله - فقام رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه، فيهم: سعد بن معاذ، وأبي بن كعب، وغيرهم، فلما رُفِعَ الصيُّ إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إذا نفسه تَقَعَّقَع، كأنها شَنَ أي: أصابه الموت، وروحه تخرج، وهو يعاني سكرات الموت، فبكى رسول الله ﷺ، ودمعت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله! ما هذا؟ تَعَجَّب! قال له رسول الله ﷺ: هذه رحمة، وضعها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم

الله من عباده الرحماء { المهم قوله ﷺ : { إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب } .

فأمرها بالصبر والاحتساب على ما يفوتها من عاجل الدنيا، وكذلك لو فات الإنسان شيء من ماله، بسرقة، أو خسارة مادية، أو ضياع، أو تلف، أو اصطدام سيارة، أو انقلاب سيارة، أو غير ذلك من الأسباب، فإن العبد يتذكر أنه بالصبر يكتب له ذلك صدقة في حسناته، ولهذا روى الإمام أحمد في مسنده، عن أسماء رضي الله عنها قالت: { لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي طَوًى ، وَهُوَ: مَكَانٌ قَرِبَ مَكَّةَ وَكَأَنَّ هَذَا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ - قَالَ أَبُو قَحَافَةَ - وَهُوَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مُشْرِكًا يَوْمَئِذٍ، قَالَ لُبَيْبَةُ عِنْدَهُ، وَهِيَ أَصْغَرُ أَوْلَادِهِ، قَالَ لَهَا: يَا بُنَيْتُ، اذْهَبِي بِي إِلَى جَبَلِ أَبِي قَبَيْسٍ ، فَرَقَّتْ بِهِ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ - وَهُوَ جَبَلٌ مُطِِّلٌ عَلَى الْكَعْبَةِ - فَصَعَدَتْ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ، فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيْتُ - وَكَانَ أَعْمَى - مَاذَا تَرِينَ؟ قَالَتْ: أَرَى سَوَادًا عَظِيمًا قَالَ: تِلْكَ الْخَيْلُ - هَذِهِ حَيَوشُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَحَاطَتْ بِمَكَّةَ - قَالَتْ: وَأَرَى رِجَالًا فِي وَسْطِ الْخَيْوَلِ يَذْهَبُ وَيَجِيءُ، وَيَقْبَلُ وَيَدْبُرُ قَالَ: هَذَا وَازِعُ الْخَيْلِ - أَي: الْأَمْرُ، الَّذِي يَأْمُرُ وَيُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ، وَيُنْظِمُ الْجَيْشَ - قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، قَدْ انْتَشَرَ السَّوَادُ وَعَمَّ فَقَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْجَيْشَ قَدْ دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ ، فَهَلُمَّ بِي إِلَى بَيْتِي بِسُرْعَةٍ، لَا يَدْرِكُنَا الْجَيْشُ فَذَهَبْتُ بِهِ، وَأَسْرَعْتُ، فَأَدْرَكَهُمُ الْجَيْشُ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْبَيْتِ، فَأَمْسَكَ رَجُلٌ بِهَذِهِ الْبُنَيْتِ، وَكَانَ فِي عُنُقِهَا قِلَادَةٌ مِنْ وَرَقٍ - مِنْ فِضَّةٍ، قِلَادَةٌ نَفِيسَةٌ ثَمِينَةٌ - فَقَطَعَهَا مِنْهَا وَأَخَذَهَا، فَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى وَالِدِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أَبُو قَحَافَةَ قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَأَبِي بَكْرٍ : لَوْ أَمَرْتَنِي، فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ. فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلَا غَيَّرْتُمْ هَذَا الشَّيْبَ.

وفي رواية: غيروا هذا الشيب، وجنبوه السواد.

فجاءت البُنَيْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ - وَهُوَ أَخُوهَا، زَعِيمٌ مِنْ زَعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا مَكَّةَ فَاتِحِينَ - قِلَادَتِي سُرِقَتْ، أَخَذَهَا رَجُلٌ. قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، يَقُولُ: نَاشَدْتُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ رَجُلًا أَخَذَ قِلَادَةَ

أخيتي إلا ردها. فانتظروا، وما جاءه أحد، فقال أبو بكر لأخته: -وهي بُنَيَّةٌ صغيرة، لكن يؤدبها ويعلمها- يا بُنَيَّةُ، احتسبي عند الله تعالى قلادتكِ {.

إذاً: كل قليل كل يسير، ولو كان شيئاً يسيراً لا يؤبه له، تحتسبه عند الله تعالى، فإن الله تعالى يكتب لك أجر ما احتسبت.

وهكذا كل عمل، حتى أعمال الدنيا، من بيع، أو شراء، أو زراعة، أو تجارة، أو صناعة، أو دراسة، أو إدارة، كل هذه الأعمال بالاحتساب تتحول إلى قربات وطاعات تؤجر عليها، ولهذا جاء في: سنن أبي داود وسنن الترمذي، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: {إن الله تعالى يُدْخِلُ بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب بصنعيته الخير...} هذا الصانع هو أول من سماه رسول الله ﷺ {... ومُنْبِلُهُ، والرامي به}.

إذاً: كل عمل عمله فإنه يُكْتَبُ لك بالنية والاحتساب قربةً وطاعةً إلى الله تعالى، فكيف إذا كان العمل في أصله عبادة.

فالله الله...! أيها الأحبة المؤمنون، وأيتها الأخوات المؤمنات، أن يستذكر الإنسان ويستحضر في كل شيء يفعل، وفي كل شيء يتركه، وفي كل شيء يفوت عليه، أن يحتسب النية عند الله تعالى.

العبرة بحسن العمل لا بكثرتة

والعجب كل العجب أننا قد نتنافس في أعمالنا الصالحة الظاهرة، فنتنافس أيناً أكثر صلاة، أو أيناً أكثر صياماً، أو أيناً أكثر عملاً، أو أيناً أكثر قراءة للقرآن، أو أيناً أكثر صدقة؛ لكن الله تعالى ما قال: ليلوكم أيكم أكثر عملاً، وإنما قال: ﴿لِيَلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧].

فهل نحن نتنافس في الاحتساب والنية، كما نتنافس في الأعمال لذاتها، لا؛ وذلك لأن النيات خفية، لا يعلمها إلا الله، فأنت لا تدري أن الذي إلى جنبك قد تكون نيته نية يدخل بها الجنة، وقد تكون عكس ذلك، وأنت كذلك، والآخر، إذاً: فالنية في القلب سر لا يعلمه إلا الرب -جلّ وعلا- الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم ارزقنا الإخلاص في أقوالنا وأعمالنا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علينا يا حي يا قيوم، اللهم اهدنا سواء السبيل، ربنا إنا لما أنزلت إلينا من خير فقراء، اللهم إنا فقراء إليك، ليس بنا غنى عن رحمتك، فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك.

اللهم اهدنا إلى سواء السبيل، اللهم خذ بأيدينا إلى ما تحب وترضى، اللهم خذ بأيدينا إلى ما تحب وترضى، اللهم وفقنا لصالح الأقوال والأعمال والمعتقدات، يا رب الأرض والسموات، لا إله إلا أنت، سبحانك إنا كنا من الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

نحمد الله تعالى، ونثني عليه الخير كله، ونشكره ولا نكفره.
ونصلي ونسلم على خاتم رسله وأفضل خلقه وأنبيائه عليه الصلاة والسلام.
أما بعد:

أهمية السؤال عن أمر الدين

أيها الأحبة: سيكون في كل ليلة - إن شاء الله - بعد انتهاء صلاة التراويح نحو عشر دقائق؛ للإجابة على ما يرد عنكم من أسئلة واستفسارات حول شهر رمضان، ويستوي في ذلك الأسئلة التي تأتي من الإخوة الرجال، أو من الأخوات المؤمنات، ولا شك أن سؤال الإنسان عما يُشكّل عليه من أمور دينه، من أهم الواجبات، ولا يجوز بحال من الأحوال، أن تسمع - أحياناً - بعض الناس يسأل عن حادثة وقعت له، قبل عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة، ثم يقول: لم يخطر في بالي أن أسأل عنها حتى الآن؛ فإن الله - عزّ وجلّ - يقول في محكم تنزيله في موضعين من كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فمن كان يعلم حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ، فحَسَنٌ، أما من كان يجهل هذا الحكم ففرض عليه أن يسأل من يعلم، وقد جاء أيضاً في الحديث أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً، وقد ذهب جماعة في سرية فاحتلم رجلٌ، وكان به جُرح، فسأل أصحابه، فأمروه بالاعتسال، فاعتسل فمات فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: {قتلوه - قتلهم الله-، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ وإنما شفاء العيِّ السؤال} فأمر النبي ﷺ من لا يعلم أن يسأل عما أشكل عليه من هذه الأمور؛ حتى يجد فيها الجواب الشافي والعلاج الناجح.

اختلاف الفتوى

كما أنني أحب أن أنبه إلى مسألة تُشكّل على الكثيرين، وهي: مسألة اختلاف الفتوى. فرمما يَرد إلى هذا المسجد المبارك، الذي تؤمه هذه الجموع الغفيرة، من المؤمنين المصلين الراكعين الساجدين، ربما يَرد إليه عدد من الإخوة المشايخ وطلبة العلم، وقد ترد أسئلة متكررة - أحياناً - ويكون الجواب مختلفاً بحسب اجتهاد المحيب، فيقع عند بعض الناس التباسٌ في ذلك، وتردُّدٌ وحيرة. والواقع: أن هذا مما لا ينبغي أن يكون فيه التباس؛ لأن الفتوى قد تختلف بحسب اجتهاد المتكلم، وعلى الإنسان إن كان عالماً، أو قادراً على التمييز بين الأجوبة بحسب الدليل، أن يختار من الأجوبة ما يكون الدليل مسعفاً له ومقوياً له، أما إن كان عامياً؛ فإن عليه أن يتبع من يعتقد أنه أعلم وأتقى لله - عزّ وجلّ - وأورع وأقرب إلى معرفة الكتاب والسنة، ويترك ما سوى ذلك، أما ضرب الأقوال بعضها ببعض؛ فإن هذا مما لا ينبغي ولا يليق بالمسلم، وكثيراً ما تردُّ مسائل يقع فيها مثل هذا، خاصة في هذا الشهر الكريم، وربما يَرد خلال هذه الأسئلة شيءٌ من ذلك.

حكم صيام يوم الشك

السؤال: هذا سؤال عن صيام يوم الشك؟

الجواب: يوم الشك لا يجوز صيامه على أنه من رمضان، وقد قال جمع من الصحابة، منهم: عمار بن ياسر: **[[من صام اليوم الذي يُشكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم رضي الله عنه]]** فلا يجوز أن تصوم يوم الشك على أنه احتياط لرمضان، ولكن من وافق يوم الشك يوماً كان يصومه، فصامه؛ فلا حرج، كمن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فصادف يوم الشك يوماً صيامه؛ فإنه لا بأس أن يصوم، أو صامه لأنه يوم الإثنين، أو يوم الخميس، أو ما أشبه ذلك.

تبييت النية من الليل

السؤال: أسمع أن الإنسان إذا أراد أن يصوم في غير شهر رمضان أنه يصوم بنية من الليل، فهل شهر رمضان تدخل فيه هذه النية أم لا؟

الجواب: كل صيام فرض: يجب فيه تبييت النية من الليل، سواء أكان شهر رمضان، أم كان صوم نذر، أم كان قضاءً، أم ما أشبه ذلك، يجب تبييت النية من الليل، ومعنى تبييت النية من الليل: أن ينوي الصيام ولو قبل طلوع الفجر بلحظة، فمن نوى الصيام، ولو قبل طلوع الفجر بلحظة، فإنه يكون قد بيّت الصيام من الليل، أما من لم ينو هذه النية فإنه لا ويجزئه صومه ذلك. أما بالنسبة لصوم النفل، فيجوز بنية من الليل أو من النهار، فلو نام إنسان وليس في نيته أن يصوم، ولما أصبح وطلعت الشمس تذكر أن اليوم الإثنين، وقال: أريد أن أصوم، ولم يكن قد أفطر، فإنه يجوز له ذلك ويجزئه فصوم النفل يجوز بنية من الليل أو النهار، أما صوم الفرض فلا بد فيه من تبييت النية من الليل.

نصاب المال

السؤال: هذا يسأل عن نصاب المال، وإخراج الزكاة بالريال السعودي، وغيره؟

الجواب: نصاب المال بالريالات السعودية، التي هي العملة الورقية المتداولة عند الناس يختلف بحسب سعر الفضة أو سعر الذهب، وقد قدره العلماء في الفترة الماضية بـ(سنة وخمسين) ريالاً عربياً فضياً، وليست الريالات الورقية، فإذا كان ذلك كذلك فإن هذا التفاوت بحسب سعره، سعر الفضة في الأسواق، وأما تقديره بالذهب والفضة، فإن نصاب الذهب يساوي أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنية، هذا نصابه بالذهب.

صيام النفل

السؤال: هذا يسأل عن صيام بعض الأيام الفاضلة؟

الجواب: وردَ صيام يوم الإثنين، والخميس، ووردَ أيضاً صيام يوم السبت في بعض الأحاديث - وإن كانت الأحاديث فيه متعارضة- ووردَ صيام (ثلاثة) أيام من كل شهر، ووردَ أن يصوم يوماً ويفطر يومين، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً، ونهى النبي ﷺ عن سرد الصيام، أي: أن يصوم الدهر كله، وقال: { لا صام ولا أفطر } وقال: { من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا }.

التهنئة بدخول رمضان**السؤال: التهنئة الشرعية في دخول هذا الشهر الكريم؟**

الجواب: لم يرد - في الواقع - تهنئة محددة بدخول الشهر الكريم، ولا تهنئة أيضاً بالعيد؛ ولكن إذا هنأ المسلم أخاه بأي لفظ حسن جميل فهذا طيب، مثل أن يقول: بارك الله لك في هذا الشهر الكريم، أو تقبل الله منا ومنك، أو مبارك عليكم هذا الشهر، أو ما أشبه ذلك من العبارات الحسنة المتداولة عند الناس؛ فإن هذا لا حرج فيه، ومن هُنئٍ بمثل ذلك يرُدُّ بنحوه أو أحسن منه، فيقول: بارك الله لنا ولكم، أو تقبل الله منا ومنكم، أو أعاننا الله وإياكم على صيامه وقيامه، فإن هذه من الأدعية الحسنة المشروعة.

تعويد الأولاد على الصيام**السؤال: العمر المناسب لأمر الأبناء فيه بالصيام؟**

الجواب: الرسول ﷺ أمر الصحابة أن يصوموا يوم عاشوراء، فتقول الرُبَيْعُ وهي إحدى الصحابيات الأنصاريات رضي الله عنها- تقول: [[كنا نَصُومُهُ ونُصُومُ صبيانا -أي: نأمرهم بالصيام ونعلمهم عليه - حتى إذا بكى أحدهم أعطيناه اللعبة من العهن -أي من القطن- يلعب بها، حتى يكون عند الإفطار]].

فتدريب الصبيان على الصيام مع المسلمين، مع آبائهم، والإفطار معهم، هذا منهج تربوي حسن، لكن ينبغي أن يُراعى فيه أن لا يكون في ذلك مشقة على الصبي، فإذا كان فيه مشقة على الصبي، فإن هذا قد يُبعِّضُ إليه الصيام، كما إذا كان صغيراً لا يطيقه، أو كان يعجز عن مثله، فإنه يراعى في ذلك حاله، ولا بأس أن يدرّب الصبي على الصيام أياماً معلومة، وأن يُعطى على ذلك أجرة، حتى يتدرّب على الصيام إذا كان ممن يطيق ذلك، ولا يشق عليه، فإذا بلغ وحب على أبويه حينئذٍ أن يلزموه بالصيام وينهوه عن الفطر، ويبينوا له حرمة ذلك، وأنه أصبح مكلفاً بالغا يجب عليه

الصوم، ويأثم بتركه، وهو أحد أركان الإسلام الذي لا يسع مسلماً أن يفرط فيه؛ لأن كثيراً من الأطفال الصغار يسألون بعد مضي الوقت وفوات الأوان عن أشهر أفطروها في صغرهم، وخاصة النساء، وذلك لأن الفتاة قد تبلغ بالحيض وتستحي أن تخبر أهلها بذلك، فربما لا تصوم، وربما تصوم -أحياناً- وهي حائض، خشية أن تخبرهم أنها حائض، فتتظاهر لهم بالصوم، وهذا كله لا يجوز، فإن المرأة إذا بلغت المحيض وجب عليها الصوم، وإذا كانت حائضاً فإنها تفرط، وتقضي مثل هذه الأيام بعد ذلك، فعلى الأبوين أن يراقبوا أبناءهم، ذكوراً أو إناثاً، ويلزموهم بالصيام متى كانوا أهلاً لذلك.

حكم قضاء المرأة الأيام التي لم تصمها

السؤال: إذا كان هناك امرأة لم تصم أول عام بدأ فيه الصيام بجهلها -هذا مثل لما ذكرته لكم- وكان عمرها ثلاث عشرة سنة، فهل عليها وقد بلغت، وأتتها الدورة الشهرية في رمضان، فهل عليها الصيام؟

الجواب: نعم، عليها أن تصوم، عليها أن تقضي الأيام التي لم تصمها، وبالمناسبة: لو فرض أن المرأة أدركها الحيض في الخامس عشر من شهر رمضان أول مرة، فإننا نقول: يجب عليها أن تقضي الأيام السبعة أو الثمانية أو العشرة التي حاضت فيها، وتقضي إذا كانت لم تصم الأيام التي بعدها، عليها أن تقضيها، أما الخمسة عشر يوماً الأول، التي أدركتها قبل الحيض؛ فإنه لا يجب عليها قضاؤها.

استغلال الوقت في رمضان

السؤال: بم توجه الشباب الذين يقضون الليالي في رمضان بالجلوس على الأرض؟

الجواب: لا شك أن هذا الشهر فرصة ثمينة، وتحفة أسداها الله -عز وجل- بوسع فضله إلى عباده، والمحروم فيها من حرم، ومن لم يُغفر له في رمضان، فمتى يُغفر له؟! ومن لم يُتَّب في رمضان، فمتى يُتوب؟! ومن لم يُقبل على ربه في هذا الشهر الكريم، ويُقلع عن الذنوب، فمتى يُقلع عنها؟! عنها! عنها! عنها!

إن مثل هذه التجمعات الطيبة لقراءة القرآن، وحضور صلاة التراويح، وسماع الذكر، إنها تؤثر في النفوس، حتى القلوب القاسية تلين لذلك.

فعلى هؤلاء الإخوة أن يقبلوا على الله -عزَّ وجلَّ-، وأن يحضروا مواسم الخيرات، لعل أن تعمهم دعوة رجل صالح، أو تشملهم رحمة يفيضها الله تعالى على قوم، فتقول الملائكة: "يا رب فيهم فلان ليس منهم، وإنما جاء لحاجة" فيقول الله عزَّ وجلَّ: "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم" فيعْفِرُ لك معهم، فحضور مجالس الذكر، وصلاة التراويح، والقيام، وغيرها مع المسلمين من أعظم الأسباب، وكذلك حفظ الصيام من كل ما يحدشه أو يعكر فيه، والحرص على تدارك الأوقات، وملئها بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن، والإحسان إلى الخلق وغير ذلك، وكم هو محزن أن تضيع أيامنا وليالينا النفيسة في هذا الشهر في مثل جلسات طويلة على مشاهدة تلفاز أو غيره، أو أحاديث ضائعة، أو لعب كرة، أو ما أشبه ذلك، مما لا يفيد المسلم في دينه ولا في دنياه.

استغلال الموظف وقته في قراءة القرآن

السؤال: ما رأيكم في الموظف الذي يستغل وقت فراغه من العمل بقراءة القرآن؟

الجواب: هذا حسن؛ لأن الموظف، ليس المطلوب أن يضيع وقته، مطلوب منه أن يحفظ وقته، فإذا كان أمامه معاملات؛ فإنه يجب عليه أن يقوم بإعدادها وتجهيزها، وإذا كان أمامه مراجعون؛ فعليه أن يقوم بقضاء أعمالهم، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك فاستغل وقته بقراءة القرآن أو ذكر الله -عزَّ وجلَّ- فهذا حسن، لكن الشيء الذي لا يسوغ ولا يجوز هو أن يكون همُّ بعض الإخوة -وهُم قليل بحمد الله- إذا وجد شيئاً من الفراغ أن يستغله في النوم، وربما يكون ذلك سبباً في فوات بعض المصالح التي يحتاجها المراجعون.

علاج النسيان

السؤال: قرأت عدة أحاديث عن تسهيل حفظ القرآن الكريم للذي ينسى كثيراً، وهي تقول: إن على من ينسى أن يُصلي أربع ركعات في ليلة الجمعة، الأولى: الفاتحة ويس، ثم الفاتحة والدخان، ثم الفاتحة والسجدة، ثم الفاتحة وتبارك، الرجاء شرح ما يمكن عمله لتسهيل حفظ القرآن الكريم؟

الجواب: هذا الحديث الذي أشار إليه الأخ السائل، لا يصح، رواه: الترمذي، والحاكم، وغيرهما، وتساهل بعضهم في تحسينه، بل هو حديث ضعيف، بل هو ضعيف جداً، لا يصح عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في صلاة النسيان شيء، وإنما على العبد الذي يريد أن يحفظ القرآن أمور:

أولها: التضرع إلى الله تعالى بالدعاء: يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، وأن يسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يرزقه حفظ القرآن، وأن لا ينساه، فيقول: اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكّرنا منه ما نُسِينا، هذا أولاً.

ثانياً: عليه أن يكثر من تكرار القرآن الكريم، فإن الرسول ﷺ يقول -فيما رواه أصحاب السنن -: {تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلّثاً، أو تفصيّاً من الإبل في عُقلها}.

فإنسان إذا غفل عن القرآن نسي، فعليه أن يكثر ويردد القرآن الكريم.

ثالثها: كما عليه أن يتجنب المعاصي، فإنها من أسباب سواد القلب، ونسيان العلم.

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي

بركة السحور

السؤال: قال النبي ﷺ: {تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً} ما المقصود ببركة السحور؟

الجواب: بركة السحور:

أولاً: طاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- فإن طاعته هي بركة كلها.

ثانياً: مخالفة أهل الكتاب، ولذلك جاء: {فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكلة السحَر} فإن أهل الكتاب كأنهم لا يتسحرون، فمخالفتهم خيرٌ وبرٌّ وبركة.

ثالثاً: من بركة السحور: أنه يعين المسلم على الاستفادة من وقته، فإذا كان قد تسحَّر يكون في بدنه قوة، ويكون لديه رغبة وإقبال على العبادة، بخلاف ما إذا لم يتسحَّر، فإنه يكون في جسده ضعف يحول بينه وبين القيام ببعض العبادات والأعمال.

شروط لباس المرأة وقص شعرها

السؤال: هل يجوز للمرأة أن تجعل جيبها خلف ظهرها؟ وهل يجوز أن تقصَّ شعرها من أمامها؟

الجواب: بالنسبة لموضوع لباس المرأة: يسأل الناس أسئلة كثيرة عن ملابس النساء، والواقع: أن الشرع لم يأتِ بلباس محدد للمرأة، إنما أتى بشروط معينة للباس، مثل:

- أن يكون اللباس ساتراً.

- أن يكون واسعاً: لا يكون ضيقاً يصف حجم المرأة.

- أن يكون مباحاً في نفسه.

- أن لا يكون زينة في نفسه.

وما أشبه ذلك من الشروط التي يجب أن تتوفر في ثياب المرأة المسلمة.

أما أنواع الملابس التي قد يسأل عنها الكثيرون: فإن الضابط العام في ذلك: أن الملبس ما لم يكن تشبهاً بالكفار، ولا تشبهاً بالرجال، فإنه جائز، فإذا لم يكن في الثوب تشبه بالكفار، ولا تشبه بالرجال، فإنه يجوز للمرأة أن تلبسه.

أما قصُّ الشعر: فالأمر فيه كذلك لا بد له من شروط:

الشرط الأول: إن كان على سبيل التشبه بالكافرات، مثل: ما تفعله بعض النساء من أخذ تسريحات معينة، رأيتها عند بعض الممثلات أو بعض المغنيات، ويسمونها بأسماء خاصة، يروِّج بين الفتيات في وقت معين قصّة معينة، ثم تنتقل إلى أخرى، وهذه قصّة فرنسية، وهذه قصّة بريطانية، وهذه أمريكية، وهذه قصّة فلان، وهذه قصّة فلان، وهذه قصّة الأسد، وهذه قصّة الديك، وهذه قصّة الدجاجة، وهذه كذا، وهذه كذا، فإن هذا كله لا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ يقول: {من تشبه بقوم فهو منهم}.

الشرط الآخر: أن لا يكون تشبهاً بالرجال، فإن بعض الفتيات تبالغ في إهناك قصّ شعر رأسها حتى تصبح كأنها رجل، بل يُسمّونها أيضاً القصّة الولادية، تصبح المرأة كأنها فتى، كأنها شاب، ثم تنفش شعرها كأنها رجل والعياذ بالله، والرجل يتشبه بالمرأة، فيطيل شعره وقد يقصه قصاً نسائياً، وهكذا فتن بعض الناس والعياذ بالله ذكوراً أو إناثاً بتغيير خلق الله تعالى، ومخالفة الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها، فالرجل يشبه المرأة، ويطيل ثوبه، حتى يسحبه في الأرض شبراً، أو أكثر من ذلك، والمرأة قد تقصر ثوبها، حتى يظهر بعض ساقها، وهذا من تلاعب الشيطان ببني آدم، ومخالفتهم للفطرة، ومخالفتهم لشريعة الله عزّ وجلّ.

أما إذا لم يكن فيه تشبه بالكفار ولا تشبه بالرجال: فلا أعلم في ذلك حرجاً، وقد جاء في: صحيح مسلم أن أمهات المؤمنين كنّ يأخذن من رعوسهن حتى تكون كالوفرة، وإن كان قد نصّ كثير من الفقهاء على أن قصّ الشعر مكروه.

أسأل الله -عزّ وجلّ- بمَنته وكرمه، أن يكتب لنا أجر هذا المجلس، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

وقفات في شهر رمضان

وقفات في شهر رمضان

تحدث الشيخ -حفظه الله- عن بعض الأمور التي يحتاجها الصائم، فوقف ثلاثين وقفة في مطلع شهر رمضان بين فيها فضل هذا الشهر الكريم وأهمية التزود من فضائله ونفحاته، لأن تزكية النفس في شهر رمضان مطلب كل مسلم لا سيما أن للقرآن فيه طعاماً خاصاً ولذة قاهرة ومعاني أصلية، ويعيش المرء فيه مع الله.

وقفة مع آية الصيام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

هذا هو المجلس السابع في سلسلة الدروس العلمية العامة، وينعقد في ليلة الإثنين، التاسع والعشرين من شهر شعبان لعام ألف وأربعمائة وعشرة للهجرة، ومن المحتمل أن تكون هذه الليلة هي آخر ليلة في شهر شعبان، فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا للصيام والقيام، وأن يوفقنا للتوبة النصوح، وأن يجعل ما نستقبل من أيامنا خيراً مما استدبرنا، إنه على كل شيء قدير.

أيها الإخوة الأكارم: درسنا هذه الليلة درسٌ جديدٌ تحت عنوان: (عشر وقفات في مطلع شهر رمضان) فاعتباراً من هذه الليلة، وعلى مدى شهر رمضان المبارك، فسوف تكون الدروس -إن شاء الله- دروساً أو جلسات رمضانية، نتحدث عن بعض الأمور التي يحتاجها الصائم، وفي هذه الليلة لنا عشر وقفات في مطلع هذا الشهر، وبإذنه تبارك وتعالى في الأسبوع القادم لنا عشر وقفات أخرى، فالوقفات في الأصل عشرون لكن نأخذ منها الليلة عشراً، وسيكون موعد الدرس -إن شاء الله- بعد صلاة التراويح في هذا المسجد في ليلة الإثنين، أي في مثل هذه الليلة من كل أسبوع إن شاء الله تعالى.

الوقفة الأولى -أيها الإخوة- هي وقفة مع النص القرآني.

الأصل في وجوب صيام رمضان

يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ { [البقرة: ١٨٣-١٨٤] فهذه الآية أصل في وجوب صيام رمضان، ولذلك أجمع أهل العلم كافةً على أنه يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان، ومن أنكر وجوبه أو جحدده فهو كافر مرتد؛ إلا أن يكون جاهلاً حديث عهد بإسلام فيعلم، فإن أصر على جحوده فإنه يكون كافراً؛ وذلك لأنه ثابت بنص القرآن { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } [البقرة: ١٨٣] أي: فرض وأوجب وألزم عليكم.

العلة من الصيام

ثم قال: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣] إشارة إلى العلة والحكمة من مشروعية الصيام، وهي تحقيق التقوى للصائم { أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ } [البقرة: ١٨٤] فهي قليلة بالقياس إلى السنة، فإنها شهر من السنة فهي أياماً معدودة قليلة ليس فيها على الإنسان مشقة ولا ثقل،... إلى آخر الآيات.

أصناف الناس في رمضان

الوقفة الثانية: أصناف الناس في رمضان.

والناس في استقبالهم لرمضان على صنفين:

أناس فرحون

الصنف الأول من الناس: من يفرحون بهذا الشهر، ويسرون بقدمه، وذلك لأسباب: أولاً: لأنهم عودوا أنفسهم على الصيام، ولهذا تجدون في السنة النبوية -مثلاً- استحباب صيام أيام كثيرة، كالإثنين والخميس وأيام البيض ويوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده، وصيام شعبان، وغير ذلك من الأشياء التي شرعها النبي ﷺ لأمتهم؛ حتى يعتادوا الصيام ولا يصبح الصيام غريباً عليهم.

ولذلك تجدون أن الذي يصوم النفل، وعلى الأقل يصوم أيام البيض -مثلاً- لا يستثقل صيام رمضان، بل يعتبر صيام رمضان بالنسبة له أمراً طبيعياً لا تكلف فيه ولا ثقل، لكن الإنسان الذي لا يصوم، لا ستاً من شوال ولا الأيام البيض ولا غيرها؛ فإنه يحسب لرمضان حساباً ويجد فيه شيئاً من الثقل والمشقة؛ لأنه لم يعود نفسه على الصيام.

ولذلك ينقل عن السلف رضي الله عنهم من ذلك شيء عجيب.
يروى أن قوماً من السلف باعوا جارية لهم فاشتراها رجل، فلما أقبل رمضان بدأ يتهياً
بألوان المطعومات والمشروبات لاستقبال شهر رمضان - كما يصنع الناس في هذا
الزمان - فقالت لهم: لماذا تصنعون هذا؟!

قالوا: نصنعه لاستقبال رمضان. قالت: وأنتم لا تصومون إلا في رمضان! والله لقد
جئت من عند قوم السنة عندهم كأنها رمضان، لا حاجة لي إليكم ردوني إليهم.
فرجعت إلى سيدها الأول.

ويروى أن الحسن بن صالح وكان من الزهاد العباد الورعين الأتقياء، كان يقوم الليل
هو وأخوه وأمه أثلاثاً، يقوم ثلثاً ويقوم أخوه ثلثاً آخر وتقوم أمه الثلث الباقي، فلما
ماتت أمه تناصف هو وأخوه الليل، فصار يقوم نصفه ويقوم أخوه النصف الآخر، فلما
مات أخوه نقل عنه أنه كان يقوم الليل كله.

قيل: إن الحسن بن صالح هذا باع أمةً له، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد، قامت
في وسط الدار وصاحت: يا قوم، الصلاة الصلاة، فقاموا فزعين، وقالوا: هل طلع
الفجر؟! قالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة!! فلما أصبحت رجعت إلى سيدها،
وقالت: لقد بعني على قوم سوء، بعني على قوم لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون
إلا الفريضة، لا حاجة لي إليهم ردوني ردوني، فردها.

إذاً: إذا اعتاد الإنسان على الصيام لم يجد في صيام رمضان ثقلاً ولا مشقةً، وهذا من
أسباب فرح المؤمنين بشهر الصوم، حيث يصومون فيه شهراً كاملاً، ويوافقهم الناس
كلهم على صيام هذا الشهر.

الأمر الثاني من أسباب رغبتهم فيه وفرحهم به: أنهم يعرفون أن الامتناع من اللذات في
هذه الدنيا سببٌ لحصولها في الدار الآخرة، فإن امتناع الصائم عن الأكل والشرب
والجماع، وسائر المفطرات في نهار رمضان طاعةً لله عز وجل، يكون سبباً في حصوله

على ألوان الملذات في الجنة، فلقوة يقينهم بذلك يفرحون بهذا الشهر الكريم، والعكس بالعكس، فإن الإنسان الذي يقبل على الملذات المحرمة في الدنيا يكون هذا سبباً في حرمانه منها يوم القيامة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: {من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة} وإنما لم يشرب الخمر في الآخرة -أي وإن دخل الجنة- عقاباً له على تمتعه بخمرة الدنيا، وهي خمرة محرمة حرم الله على عباده المؤمنين أن يتعاطوها، وقد ورد في حديث آخر أيضاً: {من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة}.

السبب الثالث: أنهم يدركون أن هذا الشهر من أعظم مواسم الطاعات والتنافس في القربات: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦] ويعلمون أن الله عز وجل يجري فيه من الأجر ما لا يجري في غيره من الشهور، ولذلك يفرحون بقدمه فرح الغائب بقدم غائبه وحببيه، وهؤلاء لا شك هم المؤمنون الصادقون، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

قومٌ كارهون

وفي مقابل ذلك تجد طائفةً أخرى من الناس يستثقلون هذا الشهر الكريم، ويستعظمون نزوله بهم إذا نزل، فهو كالضيف الثقيل، ثم يعدون أيامه وساعاته ولياليه، وهم يعيشون على أعصابهم، ويفرحون بكل يوم يمضي وليلة تفوت، حتى إذا قرب العيد بدأت قلوبهم ترفرف فرحاً بقرب خروج هذا الشهر، وذلك لأنهم لم يقدره حق قدره؛ لأنهم أولاً: اعتادوا على اللذات، والشهوات، من التوسع في الأكل والمشرب والملبس والمنكح، وغيرها... فضلاً عن اللذات المحرمة، فوجدوا في هذا الشهر مانعاً وقيداً يجبسهم ويحول بينهم وبين لذاتهم؛ فاستثقلوه واستطالوا أيامه ولياليه.

ثانياً: لأنهم قومٌ عظم تقصيرهم في الطاعات، حتى إن منهم من لا يؤدي الصلاة، ومنهم من يقصر كثيراً في حقوق الله، فإذا جاء هذا الشهر التزموا ببعض العبادات، فوجدت كثيراً من الناكثين القاسطين المقصرين بدعوا يترددون على المساجد، ويشهدون الجمع والجماعات إلى غير ذلك، فيستثقلون هذا الشهر؛ لأنهم يلتزمون فيه ببعض الطاعات التي قصروا فيها في غيره.

لذلك يذكر المؤرخون - كابن رجب وغيره - أن ولداً لهارون الرشيد كان غلاماً سفيهاً، فلما أقبل رمضان ضاق به ذرعاً وبدأ يقول:

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الأنام بقوة على الشهر لاستعديت قومي على الشهر
فهو يدعو على رمضان ويقول: عسى ألا أصوم شهراً بعده آخر الدهر، ولو كان يمكن أن أستعين
بالناس على هذا الشهر لأتغلب عليه لاستعنت بهم، قال: فأصيب بمرض الصرع، فكان يصرع في
اليوم عدة مرات، وما زال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر بعد ما قال ما قال.
وهكذا الذين يستثقلون رمضان لأنهم سيفارقون فيه مألوفهم من الشهوات، ويلتزمون ببعض
العبادات، إضافة إلى ضعف يقينهم بما أعد الله تبارك وتعالى للمؤمنين، فإنهم لا يدركون فضل هذا
الشهر ولا يتصورون عظمة الأجر المكتوب لهم، فيه فلا يجدون فيه من اللذة والفرح والسرور ما
يجده أصحاب الإيمان.

من معاني الصيام

الوقفة الثالثة: من معاني الصيام.

وللصيام - أيها الإخوة - معاني ومقاصد عظيمة لو تأملناها لطلعت عجبنا منها:

ارتباط الصيام بالإيمان الحق بالله سبحانه

أولاً: من معاني الصيام: أنه مرتبط بالإيمان الحق بالله جل وعلا. ولذلك جاء أن الصوم عبادة
السر، لأن الإنسان بإمكانه ألا يصوم لو شاء، حتى لو لم يأكل ولم يشرب، فمجرد فقد النية
يكفي في ألا يصوم الإنسان، فإن من شرط الصوم - خاصة صوم الفرض كما سيأتي - النية. فلو
لم ينو الإنسان الصيام حتى لو ظل ممسكاً طيلة نهاره فإنه ليس بصائم، فالصيام قضية قلبية بين العبد
وبين ربه، فكون الإنسان يمتنع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، على رغم أنه يستطيع أن
يصل إليها في خلوة وبعد عن أعين الناس، دليل على أنه يتعامل مع رب يؤمن به، ويعلم أنه مطلع
على سرائره وخفائيه ولذلك يمتنع، ففي هذا تربية لقوة الإيمان بالله جل وعلا.

وقل مثل ذلك في سائر العبادات، انظر - مثلاً - إلى الوضوء أمر إلى الغسل، فكون الإنسان يتعمد
أن يتوضأ ويغتسل ليرفع حدثه الأصغر والأكبر، فلولا إيمانه بالله جل وعلا، وأن الله رقيب عليه؛ لما
كان يفعل ذلك. وانظر إلى الصلاة، فكون العبد يقول وهو قائم: " الحمد لله رب العالمين "، أو

يقول وهو راعع: سبحان ربي العظيم، أو يقول وهو ساجد: سبحان ربي الأعلى، أو يقول بين السجدين: رب اغفر لي، أو يقول في التشهد: التحيات لله، والرجل الذي إلى جواره لا يسمعه، فلو لم يكن مؤمناً بإله يراقبه ويعلم حتى همسات لسانه ووساوس قلبه وخواطره، فلو لم يكن مؤمناً بهذا الرب؛ لما دعا وذكر الله عز وجل سراً، في حين أن جاره في الصلاة قد لا يسمع همساته وكلماته.

إذاً فالصوم من أعظم معانيه: تربية الإيمان بالله العليم الخبير المطلع على العبد في سره ونجواه: {وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه:٧].

التربية على التطلع إلى الدار الآخرة

المعنى الثاني من معاني الصيام: أنه يربي العبد على التطلع إلى الدار الآخرة، وذلك لأن الناس موازينهم دنيوية في الغالب، فإذا أراد الإنسان -مثلاً- أن يشتري صفقة أو يبيع؛ فإنه يجري عملية حسابية لينظر هل هذه الصفقة رابحة أو خاسرة، وبناءً على ذلك يتصرف على حسب ما تصل إليه حساباته، فهم يقيسون بالأموال الدنيوية البحتة؛ لكن المؤمن عنده مقياس آخر وهو أنه يدرك أن هناك داراً آخرة فيها حساب، ولذلك قد يتخلى عن بعض الأشياء الدنيوية تطلعاً إلى ما عند الله.

فمثلاً: بمقياس الماديين فإن الأكل يقوي الجسم، وفيه تحصيل للذة، والشبع، والسعادة، والشرب كذلك، وإتيان النساء كذلك، لكن المؤمن عنده مقياس آخر: أن هذه الأشياء وإن كانت تحقق بعض ما ذكر، إلا أن هناك مقياساً آخر وهو مقياس الآخرة.

فإذاً من الممكن أن يترك المؤمن -مثلاً- الأكل لأنه ينتظر أن يجازي على هذا الترك في الآخرة وليس في الدنيا، ويترك الشرب لذلك ويترك المحرمات لذلك، فيتربى في قلبه الإيمان بالدار الآخرة، التي هي في الحقيقة دار الجزاء والحساب.

أما ما يلقاه المؤمن في هذه الدنيا من النعيم بسبب الطاعة، فإنما هو عربون فقط، فما تجده -مثلاً- من أثر الصوم في الدنيا، من الصحة والسعادة، والفرح، ... إلى آخره، إنما هو عربون، والجزاء الحقيقي والثمن الحقيقي لهذا العمل إنما تجده في الدار الآخرة، فيربي الصوم الإنسان على التطلع إلى الدار الآخرة التي فيها الجزاء الحقيقي، وفيها نهاية المطاف، وليست نهاية المطاف في هذه الدار الدنيا.

الاستسلام والاستشعار للعبودية

المعنى الثالث من معاني الصيام: الاستسلام لله تعالى. وذلك بأن تشعر بأنك عبد فعلاً، والعبودية لله هي كمال الحرية، ولذلك يقول عياض رحمه الله:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا
فهو يعتبر أن من أعظم الشرف أنه مخاطبٌ بقول الله تعالى: يا عبادي.
ويقول الآخر:

أطعت مطامعي فاستعدتني ولو أي قنعت لكنت حرا

إذاً: كمال الحرية في كمال العبودية لله جل وعلا، والصوم يربي العبد على العبودية، وانظر كيف، يقول لك الله عز وجل: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ} [البقرة: ١٨٧] فيكون في هذا أمر لك بالأكل، فتجد أن من العبادة أن تأكل، ولذلك يستحب للإنسان أن يأكل -مثلاً- عند السحور وعند الإفطار كما هو معروف، ويكره له الوصال؛ بحيث يواصل الإنسان يوماً أو يومين فلا يفطر بينهما، فتكون العبادة حينئذٍ بأن تأكل وتشبع شهوتك من الأكل والشرب، وفي وقتٍ آخر يأمرك الله عز وجل بضد ذلك فيقول: {ثُمَّ أَمَّا الصَّيَامُ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: ١٨٧] فتمسك من طلوع الفجر إلى الليل، عن الأكل والشرب وسائر المفطرات طاعة لله عز وجل، فتتربى حينئذٍ على العبودية الحقيقية لله، إذا قال لك: كل فإنك تأكل، وإذا قال لك: اشرب فإنك تشرب، وإذا قال لك: صم وأمسك؛ فإنك تصوم وتمسك. ففي هذا يتربى العبد على أن القضية ليست مجرد أذواق وشهوات وأمزجة يتعاطاها؛ بل هي طاعة لله عز وجل، فإن أمرنا بالأكل أكلنا وإن أمرنا بالإمساك أمسكنا. ولذلك تجد العبد -مثلاً- في صلاته أحياناً يقف، وأحياناً يركع، وأحياناً يسجد، وأحياناً يقعد، لأن هذا هو الأمر الذي أراده الله، وهذا هو التعليل.

وفي الإحرام مثلاً حين يحرم الإنسان ليس منهيّاً عن الأكل ولا عن الشرب، ولكنه منهيٌّ عن الجماع ودواعيه، ومنهيٌّ عن تغطية الرأس، وعن الطيب وعن تقليص الأظافر، وعن قص الشعر، وعن جميع ألوان الترفه، فيمتنع عن جميع هذه الأشياء ما دام محرماً؛ لأن الله تعالى هكذا أراد منا إرادة شرعية، لكن له أن يأكل، ولو امتنع المحرم عن الأكل والشرب لأنه محرم لكان مبتدعاً في ذلك.

فإذا انتهى إحرامه يقال له: مطلوبٌ منك الآن -وجوباً- أن تحلق أو تقصر رأسك، ومطلوبٌ منك أن تقلم أظفارك، وأن تترين وتطيب وتغتسل قال الله: {ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} [الحج: ٢٩].

فهذه تربيةً على العبودية الحقيقية لله جل وعلا، يأمرك بالشيء فتمثل ويأمرك بنقيضه فتمثل أيضاً، وليس من الضروري أن ندرك علة أو حكمة لهذا الأمر أو لذاك النهي، فالعلة والحكمة تتلخص في أن الله تعالى أمر فأطعنا وامتثلنا، ونهى فانتهينا وامتثلنا، وهذا هو معنى العبودية الحقيقية.

تربية المجتمع

المعنى الرابع من معاني الصيام: تربية المجتمع.

ربما يكون الكثير منا -بل لعل الجميع- صام يوماً من الأيام نفلاً، إما أيام البيض أو يوم عاشوراء أو يوم عرفة، أو ما أشبه ذلك.

فما هي المقارنة بين صوم النفل وصوم الفرض؟

صوم النفل يتعب فيه الإنسان بعض الشيء ويجد شيئاً من المشقة، أما صوم الفرض فإن الإنسان يقول فيه: سبحان الله! كيف يسر الله تبارك وتعالى لنا الصوم، والله ما كأننا صائمين. هكذا لسان الجميع، ما هو السبب؟

لا شك أن الله تعالى يعين العبد في فرض الصيام ونفله، وإن كانت الإعانة في الفرض أكثر، لكن الإعانة موجودة في الجميع، وإنما من أهم الأسباب -في نظري-: أن الله تعالى جعل صوم رمضان فرضاً على الجميع، ولذلك كلما تلفت الإنسان وجد أن المجتمع صائم، فأنت تخرج للسوق فتجد الناس صائمين، وتذهب لسوق الخضار فتجد الناس صائمين، وتدخل البيت فتجد أهل البيت

صائمين، وتذهب إلى المدرسة فتجد زملاءك صائمين، وتذهب للعمل فتجدهم صائمين، فالكل صائم.

ولذلك يحس الإنسان بأن الأمر الذي يفعله هو أمر يفعله الجميع، وهذا لا شك مما يجعل الموضوع غير ثقيل على النفس، ولهذا فالإخوة الذين يصومون في مجتمعاتٍ مفطرة، كما يقع لبعض الذين يعيشون في بلاد الغرب، إما لمرض -عافانا الله وإياكم- أو لحاجة أو لضرورة، فإنهم يجدون مشقة عظيمة في صيام رمضان؛ لأن الناس مفطرون هناك، فهو يجد الناس يأكلون في كل مكان، ولا يراعى أن يكون صائماً، فهو مطالب بأن يعمل كما يعمل غيره، ويخرج كما يخرج غيره، ويدخل كما يدخل غيره، من غير مراعاة لكونه صائماً، فيجد في ذلك مشقةً عظيمة، كما حدثنا الإخوة الذين عاشوا هناك في شهر الصيام، لكن في المجتمعات المسلمة الصائمة لا يجد الإنسان هذه المشقة، وفي هذا تربيةٌ للمجتمع.

ولذلك رأينا -أيها الإخوة- بأعيننا أن الإنسان حين يذهب في شهر الصيام حتى للمجتمعات المنهكة في الفساد، ولكن عليها آثار الإسلام وفيها بقايا الإسلام؛ يجد دخول الشهر الكريم مميز تماماً، فإذا دخل الشهر وجدت آثار رمضان ظاهرة على الجميع، حتى الفساق يظهر عليهم آثار الشهر الكريم، ففي ذلك تربية للمجتمع.

ولهذا تلاحظون دائماً أن الإسلام يُعنى عنايةً كبيرةً بإصلاح المجتمعات من الفساد -مثلاً- كحادثة فردية، فإن هذه الأخطاء الفردية واقعة في كل مجتمع لا بد منها، حتى المجتمع النبوي مجتمع الصحابة، وقع فيه حالات من الانحراف، وجد إنسان زنا وآخر سرق وثالث شرب الخمر مثلاً، لكن المشكلة حين تتحول هذه المنكرات إلى منكرات معلنة موجودة على الملأ، فتتلوث البيئة العامة، ويصبح الإنسان الذي يريد الخير قد لا يهتدي لأن المجتمع يضغط عليه، ولهذا -أيضاً- تلاحظون أن أعداء الإسلام حريصون على إفساد المجتمع وتلويث البيئة.

ولعلكم سمعتم -مثلاً- بما يسمى بالبث المباشر، وكثيراً من تُحدث عن هذا الموضوع، وهو محاولة الدول الغربية أن ترسل بثاً تلفزيونياً إلى البلاد الإسلامية يكون مثل قنوات الراديو -تقريباً- بحيث يكون من الممكن في التلفاز أن يشاهد الإنسان أي محطة، وهذا ليس -كما يتصور البعض- أنه أمر قاب قوسين أو أدنى، لا شك أنه أمر فيه صعوبة وأمامه عقبات، لكنه أمر متوقع، فهم حين

يفعلون ذلك وغيره كثير، يحاولون أن يلوثوا البيئة العامة حتى تفسد وتنحرف؛ بحيث أن الذي يريد الصلاح لا يصلح لأن المجتمع يعارضه، فهو إن صلح يصبح ضد التيار كما يقال. وهذا من أعظم مقاصد الصيام، أن الله عز وجل يربي المجتمع الإسلامي بالصيام، بحيث يتحول إلى مجتمع صائم، ولذلك تجد الصغار عندنا يصومون، وتجد الفساق يستترون، وتجد الكفار لا يستطيعون أن يعلنوا الأكل والشرب في الأسواق وعلى الملأ، لأن المجتمع يفرض عليهم هذا الأمر.

فضائل الصيام

الوقفه الرابعة: فضائل الصيام.

الصوم جنة من النار

أولاً: الصيام جنة من النار.

كما جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح، عن جابر أن النبي ﷺ قال: {الصوم جنة يستجن بها العبد من النار} وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً}.

إذاً: فالصوم جنة ووقاية من النار، وكلما صام العبد بعد عن النار، فإذا كان من صام يوماً أبعد سبعين خريفاً -أي سبعين عاماً- فما بالك بمن يصوم شهراً، وما بالك بمن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وما بالك بمن يصوم أكثر من ذلك! لا شك أنه أبعد ما يكون عن النار.

الصوم جنة عن الشهوات

ثانياً: الصوم جنة عن الشهوات.

ولذلك جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء} فأمر النبي ﷺ الشباب بالزواج،

وإذا لم يستطيعوا أرشدهم إلى الصيام، وبين عليه الصلاة والسلام أن الصوم وجاء يمنع الشهوة أن تتحرك وتبلغ مبلغها في الإنسان.

فإلى الشباب الذين يشتكون من الشهوات - وهم كثيرٌ خاصة في هذا العصر المليء بالمغريات، فالشاب - مثلاً - يشتكي أنه إن خرج إلى السوق وجد النساء المتبرجات، وإن دخل البقالة وجد المجلات التي فيها صور النساء الكاسيات العاريات، وإن ركب في السيارة سمع الغناء، وإن ركب الطائرة كذلك، وإن ذهب أو دخل أو خرج وجد الشهوة والفتنة تلاحقه في كل مكان، مع ما جبل عليه وركب من الشهوة الغريزية التي تتحرك في نفس كل إنسان، ومع ضعف الرادع والوازع عند الكثيرين - إلى هؤلاء الشباب نهدي هذه النصيحة النبوية: {ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء} وهذا طب نبوي للذين يشتكون من الشبق وشدة الشهوة، وقد جرب هذا الطب فوجد أنه علاج ناجع ودواء نافع، وهو كافٍ عن غيره من العلاجات والأدوية المادية، إضافة إلى أدوية أخرى شرعية في هذا المجال.

الصوم سبيل إلى الجنة

الفضيلة الثالثة: إن الصوم سبيل إلى الجنة.

ولذلك روى النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه، أنه قال: {يا رسول الله دلني على عملٍ يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال له النبي ﷺ: عليك بالصوم فإنه لا مثل له} فبين أنه لا شيء يقرب العبد من الجنة ويباعده من النار مثل الصيام.

بل إن في الجنة باباً خاصاً للصائمين، كما في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {إن في الجنة باباً يقال له الريان} ولاحظ اسم الباب، فإنه يتناسب مع صفة الصائم، فإن الصائم يصيبه العطش والجوع في سبيل الله؛ فجوزي بأن يدخل من باب الريان، والجزء من جنس العمل: {إن في الجنة باباً يقال له الريان،

يدخل منه الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد غيرهم { فهذا جزاء الصائمين.

الصوم شافع مشفع

الفضيلة الرابعة: أن الصوم شافع مشفع في الصائم.

ولذلك روى الإمام أحمد والحاكم بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: { القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: يا رب منعتك الطعام والشراب فشفعني فيه. ويقول القرآن: يا رب منعتك النوم بالليل فشفعني فيه، قال عليه الصلاة والسلام: فيشفعان }.

فالأعمال التي يعملها العبد في هذه الدنيا لا مانع أن تكون يوم القيامة أشياء حسية تشفع للعبد، وتتكلم وتوزن إلى غير ذلك مما ورد في النصوص الشرعية، وهاهنا أثبت النبي ﷺ أن الصوم يكون ذاتاً يوم القيامة يتكلم ويقول: يا رب منعتك الطعام والشراب والشهوة فشفعني فيه، فيشفع الصوم في صاحبه، سواء أكان صوم فرض أم كان صوم نفل.

الصوم كفارة للذنوب

ومن فضائله: أنه كفارة للذنوب ومغفرة.

ولذلك قال الله عز وجل: { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود: ١١٤] فالصوم فيه حسنات كثيرة، والحسنات تذهب السيئات، فكل عمل صالح فهو سبب في مغفرة الذنوب وستر العيوب وتجاوز الله تبارك وتعالى عن العبد، ولكن ورد في الصوم خاصة أحاديث كثيرة:

منها: حديث حذيفة المتفق عليه، بل رواه الستة، أن النبي ﷺ قال: { فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة } أي: أن ما يحدث منك من

أخطاء، سواء أكانت كلمة نائية، أم اعتداءً أم إيذاءً لأهلك أم خطأ عليهم، أم في مالك، أم في حيرانك، أو ما أشبه ذلك من الصغائر، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة. وفي الحديث المتفق عليه -أيضاً- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} أي: إيماناً بالله عز وجل، واحتساباً لأجر الصوم، ومعرفة بما أعد الله تبارك وتعالى للصائمين، فهو يصوم ويتوقع الأجر الذي سيعطاه على هذا الصيام، غفر له ما تقدم من ذنبه.

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أيضاً، أن النبي ﷺ قال: {الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر}.

فالصوم مكفر لما قبله بشرط اجتناب الكبائر، فإن جمهور علماء أهل السنة وجمهور علماء السلف على أن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة؛ وإنما الصوم والصلاة وغيرها تكفر صغائر الذنوب، ولذلك قال الله عز وجل {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء: ٣١].

الصوم سبب للسعادة في الدارين

ومن فضائل الصوم: أنه سبب للسعادة في الدارين.

ولذلك جاء في الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: {للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه} أما فرحة الصائم عند فطره فهي فرحة دنيوية وفرحة عاجلة، وهي سعادة لأن السعادة في الحقيقة هي فرح القلب، فالذين يبحثون عن السعادة لا يجدونها إلا في طاعة الله تعالى وتقواه، وهذا نموذج للسعادة.

فالذي يفطر يفرح عند فطره، وفرحه يكون من وجهين:

الأول: فرحه بأن الله تعالى أباح له الأكل والشرب، والنفس مجبولة على حب الأكل والشرب، ولذلك تعبدنا الله تبارك وتعالى بتركهما، كما يترك الإنسان الجماع، مع أنه

يرغبه وقد ركب في طبعه وجبلته، فيتركه طاعة لله تعالى، فإذا أذن له في ذلك فرح بأنه سوف يأكل ويشرب.

والأمر الآخر الذي يفرح به، وهذا فرح أعلى وأسمى من الفرحة الأولى: أنه يفرح لأن الله تعالى وفقه لإتمام صيام ذلك اليوم، فيفرح بإكمال هذه العبادة وإتمامها على الوجه المطلوب، فهو فرح من الوجهين.

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

ومن فضائل الصوم: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك. وخلوف فم الصائم هي الرائحة التي تخرج من الفم، وهي في الواقع من المعدة، لكن تخرج عن طريق الفم في آخر النهار، بسبب خلو المعدة من الطعام، وهي رائحة مكروهة للخلق؛ لكنها محبوبة للخالق، ولذلك قال ﷺ في الحديث المتفق عليه: {وخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك} وفي صحيح مسلم: {أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك} وفي هذا دليل على أنه لا بأس أن يتسوك الإنسان بعد الزوال.

وهذا هو الرأي الراجح والصحيح في المسألة؛ بل يستحب للإنسان أن يستاك بعد الزوال ولو كان صائماً، فيستاك عند الصلاة وعند الوضوء، ويستاك عند دخول المنزل، وعند الاستيقاظ من النوم.. إلى غير ذلك من المواضع التي يستحب فيها السواك، لأن الخلوف هذا -أولاً- ليس من الفم وإنما هو من المعدة، وثانياً: أنه أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك.

وقد ورد في أثر إسرائيلي: إن الله عز وجل لما أمر موسى أن يأتي إليه، أمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصام ثلاثين يوماً، فلما انتهى منها وجد رائحة الخلوف في فمه فكأنه أظطر أو استاك، فأمره الله عز وجل أن يصوم عشرة أيام بعدها، وقال له: يا موسى، أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك. فأتمها الله تعالى عشرة أيام، فتم ميقات ربه أربعين ليلة.

المهم أن من فضائل الصوم: أن خلوف فم الصائم -وهو أمر مكروه للخلق- أطيب عند الله تبارك وتعالى من ريح المسك، وهكذا جاء في الحديث عن دم الشهيد - مع أن الدم بحد ذاته أمر مستقبح مستقذر، بل هو نجس عند أكثر الفقهاء، لكن قال الرسول ﷺ: {إن الشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يدمي، اللون لون الدم والريح ريح المسك}.

ولذلك فإن بكاء المذنبين بين يدي الله عز وجل، هو من أعظم السرور لهم والقربى إلى الله عز وجل، وربما يكون -أحياناً- خيراً من كثير من العبادات والطاعات التي يدل بها العبد ويستعظمها، ويعتبر أنه فعل من حرائها شيئاً عظيماً، بخلاف المنكسرين الباكين بين يدي ربه، فإن قلوبهم منكسرة، ولذلك ورد في أثرٍ -وإن كان ليس بالقوي- أن الله عز وجل قال لبعض رسله وأنبياؤه حين قالوا: أين تكون يارب؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

ولهذا لا أعظم من الدعاء؛ لأن الدعاء يتحقق فيه انكسار العبد، وافتقاره إلى الله جل وعلا، وخاصة إذا كان دعاءً عن ضرورة وعن اضطرار: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل: ٦٢].

فضائل شهر رمضان

الوقفة الخامسة: فضائل الشهر الكريم، شهر رمضان.

وما سبق إنما هو فضائل الصيام فرضاً أو نفلاً، أما فضائل رمضان فهي:

رمضان شهر القرآن

أولاً: رمضان شهر القرآن قال الله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥] وإنزال القرآن فيه، يحتمل أن يكون المعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما جاء عن ابن عباس، ويحتمل أن يكون المعنى أنه ابتداء فيه إنزال القرآن، إذ إن القرآن أول ما أنزل في ليلة تقابل ليلة القدر، وليلة القدر من رمضان، وقيل إن قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥] يعني أنزل القرآن في مدحه وفضله والثناء عليه ووجوب صيامه، لكن القول الأول أقوى.

رمضان شهر الصبر

ثانياً: رمضان شهر الصبر.

فإن الصوم نصف الصبر، والصبر جزاؤه الجنة، وكما قال الله عز وجل في القرآن: {إِنَّمَا يُوفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] فإن الصبر لا يتجلى في شيء من العبادات كما

يتجلى في الصوم، حيث يجبس الإنسان نفسه عن الأكل والشرب والجماع وغيرها، طيلة هذا الشهر الكريم.

تغلق فيه أبواب النيران

ثالثاً: من فضائل شهر رمضان: أنه تغلق فيه أبواب النيران، وتفتح فيه أبواب الجنان، وتصفد فيه الشياطين ومردة الجن، كما جاء في الحديث المتفق عليه، أن النبي ﷺ قال: {إذا جاء رمضان غلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنة وصفدت الشياطين} وفي لفظ: {وسلسلت الشياطين} أي: جعلت في الأصفاد والسلاسل، بحيث لا يصلون إلى ما كانوا يصلون إليه في غيره.

ولذلك تجدون أن وسوسة الشيطان وكيدته وتلبيسه على الناس في رمضان أقل منه في غيره، بل إن الشيطان يخاف من رمضان كما يخاف من الأذان والإقامة فيولي، ولهذا تلاحظون -أيضاً- أنه قبل أن يدخل رمضان يبدأ الناس العصاة يستعدون للتوبة، وكثيراً ما يسأل الناس فيقول أحدهم -مثلاً-: أنا عندي مظلمة وأريد أن أخرج منها، أو عندي مال حرام وأريد أن أتخلص منه، أو عندي أمور لا ترضي الله أريد أن أتوب منها. يقولون هذا قبل رمضان، ومعنى ذلك أن الشيطان يخاف من قدوم رمضان فيضعف كيدته وتأثيره، فما بالك إذا دخل رمضان، وسلسل الشيطان وصفد بالأغلال، فإنه لا يكاد يصل إلى الناس إلا في أقل القليل من الذنوب والآثام.

إلا أن هناك أناساً أصبحت نفوسهم شريرة؛ بسبب تقبلها لوسوسة الشيطان، فحتى حين يضعف تأثير الشيطان عليها فإنه يكون فيها شرّاً بذاتها، ولذلك لا تعجب أن تجد والعياذ بالله من الناس من يكون انحرافه في رمضان، فقد وقفت على أقوامٍ كان انحرافهم في رمضان، بل وربما في ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، وربما اجتمع فيها أقوامٌ على لهو وشرب وغناء وزنا -عافانا الله وإياكم من ذلك- وهذا من مسخ القلوب وانسلاخها.

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ليلة القدر

ومن فضائل هذا الشهر الكريم: أن فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر قال الله: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: ٣] وقد حسب بعض أهل العلم ألف شهر، فوجدوها تزيد على ثلاث وثمانين سنة، وقد ورد في موطأ مالك بسند مرسل، أن النبي

أرى أعمار أمته فكأنه تقالها بالنسبة إلى أعمار الأمم الأخرى، فأعطي ليلة القدر، وهي خيرٌ من ألف شهر؛ تعويضاً عن قصر أعمار أمته عليه الصلاة والسلام، فإذا أدرك العبد ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، فمعنى ذلك أنه أدرك فضل ثلاث وثمانين سنة، وهذا فضل عظيم لا يقدر قدره إلا الله جلا وعلا.

في رمضان دعاء مستجاب

ومن فضائل شهر رمضان: أن فيه دعاءً مستجاباً. ولذلك روى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه بسند جيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لكل مسلم دعوة مستجابة يدعو بها في رمضان}. وقد ورد في أحاديث عديدة أن هذه الدعوة عند الإفطار، فليحرص العبد عند إفطاره على أن يستجمع جوامع الدعاء ويدعو بها، وسأتحدث -إن شاء الله- عن جوامع الدعاء في الوقفات القادمة بإذنه تعالى.

من أحكام الصيام

الوقفه السادسة: وقفة سريعة على بعض أحكام الصيام. ولا شك أن الكلام عن أحكام الصيام يطول بل فيه مصنفاتٌ خاصة، ولذلك سأتحدث باختصارٍ وبسرعةٍ -أيضاً- عن بعض هذه الأحكام.

كيف يثبت دخول رمضان

أولاً: لا يثبت رمضان إلا بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، أو برؤية هلال رمضان، كما قال عليه الصلاة والسلام: {إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له} وفي لفظ: {فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً} ولا يتم بغير ذلك، ولهذا لا يعتمد -مثلاً- على الرؤى.

وقد ذكر العراقي في طرح الثريب، أن القاضي حسين وهو من فقهاء الشافعية، جاءه رجل فقال له: يا إمام أنا رأيت النبي ﷺ البارحة في المنام، فقال لي: إن الليلة من رمضان. -انظروا تلبس الشيطان، وانظروا كيف يكون الفقه- فقال له القاضي حسين

: الذي تزعم أنك رأيته في المنام، رآه أصحابه في اليقظة وقال لهم: {صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته} إي: فلا عبرة بهذا الذي رأيته في المنام، ولم يأتك رسول الله ﷺ لكن لبس عليك.

كذلك لا يجوز للإنسان أن يصوم احتياطاً لرمضان، فمن صام آخر يومٍ من شعبان احتياطاً لرمضان فهذا لا يجوز على الراجح، أما من صامه لأنه وافق يوماً كان يصومه، فلا حرج في ذلك، كما إذا صامه لأنه يوم الإثنين -مثلاً- أو أنه يصوم يوماً ويفطر يوماً فوافق يوم صومه، فلا حرج في هذا.

النية

لا بد من النية في صوم الفرض، ولذلك روى أصحاب السنن، وابن خزيمة بسند صحيح، عن حفصة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: {لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل}.

فلا بد أن يبيت الإنسان الصوم من الليل، أي ينوي صوم الفرض من الليل، أما النفل فيجوز بنية من الليل أو النهار، فلو استيقظت بعد طلوع الشمس -مثلاً- ثم نويت صيام اليوم، فلا بأس بذلك إذا كان نفلًا، لكن الفرض لا بد له من نية من الليل. وهاهنا أنبه إلى أمور: بعض الناس يوسوسون في النية، والوسواس في النية من أردأ وأحط أنواع الوسواس، فأنت مسلم عرفت أنه دخل رمضان، واستقر عندك نية أنك سوف تصوم جميع رمضان، وهذا يكفي.

التنبيه الآخر: إن قولنا من الليل، يمتد حتى طلوع الفجر، فلو فرض أن الإنسان نام ليلة من الليالي ولم يعلم أن الليلة من رمضان، ثم استيقظ قبل الفجر بدقائق، وعلم أن الليلة من رمضان فشرب جرعة من ماءٍ ثم صام فإن هذا يكفي، وليس معنى تبييت النية أن ينام وفي نيته أن يصوم كما يتوهمه بعض الجهال.

السحور

السحور أمر به الرسول ﷺ ، كما في الحديث المتفق عليه عن أنس ، أن النبي ﷺ قال: {تسحروا فإن في السحور بركة} وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص ، أن النبي ﷺ قال: {فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر} أي: أن اليهود والنصارى كانوا لا يتسحرون، فأمر النبي ﷺ المؤمنين بأن يتسحروا لمخالفة أهل الكتاب في ذلك.

فينبغي للإنسان أن يتسحر، ولو على شربةٍ من ماء إذا لم يجد غيرها أو لم يتمكن من غيرها.

الفطور

يستحب للإنسان أن يؤخر السحور ويعجل الفطر، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح، الذي جاء من طرق عن العباس وغيره: {لا تزال أمي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور} ويقول الرسول ﷺ : {إن الله تعالى يقول: أحب عبادي إلى أعجلهم فطراً} وفي صحيح مسلم [[أن عائشة سئلت عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ : أحدهما يؤخر الفطور ويؤخر الصلاة، والآخر يعجل الفطور ويعجل الصلاة، أيهما أفضل؟

فقلت: الذي يعجل الفطور ويعجل الصلاة أفضل]].

فيستحب للعبد أن يعجل الإفطار بمجرد ما يتيقن غروب الشمس، ويفطر على رطب، فإن لم يجد أفطر على تمر، فإن لم يجد حسا حسواتٍ من ماء، كما ذكره أنس عن النبي ﷺ : {أنه كان يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء} والحديث رواه أبو داود ، وأحمد ، وابن خزيمة ، والترمذي ، وسنده صحيح.

ويستحب عند الإفطار أن يقول الصائم: الحمد لله، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى. وهذا هو أصح ما ورد عن النبي ﷺ في دعاء الإفطار، فقد رواه أبو داود والدارقطني، وقال الدارقطني: إسناده حسن، أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: {الحمد لله، ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى} ولا يثبت في أدعية الإفطار إلا هذا، لكن للإنسان أن يدعو بما أحب من خير الدنيا والآخرة.

المفطرات

والمفطرات هي:

أولاً: الأكل والشرب والجماع.

فإذا تعمد الصائم شيئاً من هذه الأشياء فإنه يفطر بإجماع أهل العلم، وهي مذكورة في القرآن الكريم، ولذلك قال الله عز وجل: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ} [البقرة: ١٨٧] - أي: النساء بالجماع - {وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: ١٨٧] فأجمع أهل العلم على أن الأكل والشرب والجماع، هي من المفطرات إذا تعمد الإنسان شيئاً منها، من غير إكراه ولا نسيان.

ثانياً: من المفطرات -أيضاً-: القيء عمدًا.

فإذا استقاء الإنسان وتعمد أن يستفرغ ما في بطنه فإنه يفطر بذلك، وهذا لقوله ﷺ: {من استقاء عامداً فليقض، ومن ذرعه القيء فلا قضاء عليه} والحديث رواه أبو داود والترمذي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتاب حقيقة الصيام: إنه حديث صحيح. ومعنى الحديث: أن من تقياً من غير إرادة فخرج منه القيء من غير قصد فهذا لا قضاء عليه، لكن لو تعمد كأن أدخل أصبعه أو شم شيئاً عن عمدٍ ليتقياً فإن عليه القضاء، كما أفتى بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

ثالثاً: ومن المفطرات بالإجماع -أيضاً-: الحيض والنفاس، فإن المرأة إذا حاضت أو نفست فإنه لا يصح منها الصوم، ولذلك جاء في حديث عائشة: ﴿كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة﴾ فدل على أن الحائض لا تصوم ولا يصح منها ذلك.

هذه هي المفطرات المشهورة، ويدخل فيها ما كان في معناها، فمثلاً: يدخل في الأكل الإبر المغذية التي يستغني بها الإنسان عن الأكل والشرب، ويدخل في الجماع -من حيث أنه مفطر- الاستمناء عمداً بأي وسيلة كانت فإنه يفطر ولا شك في هذا، ولا ينبغي أن يكون في هذا خلاف.

ومن أظفر، فإن كان إفطاره بالجماع في نهار رمضان؛ فإن عليه أربعة أمور: الأول: أن يمسك بقية اليوم؛ لأن هذا الفطر غير مشروع، فيمسك بقية اليوم فلا يأكل ولا يشرب شيئاً.

الثاني: التوبة لأن هذا إنثمٌ عظيم، فهذا العمل كبيرة من الكبائر يجب التوبة منه.

الثالث: أن يقضي يوماً مكان اليوم الذي أفسده.

الرابع: الكفارة، وهي عتق رقبة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يجد أطعم ستين مسكيناً، فإن لم يجد سقطت عنه الكفارة.

أما إن كان فطره بغير الجماع، بأكلٍ أو شربٍ؛ فإن عليه التوبة والاستغفار، وأن يقضي يوماً مكانه على الراجح من أقوال أهل العلم.

رخص الصوم

الوقفة السابعة: رخص الصوم.

فإن في الصوم رخصاً عديدة رخص الله تبارك وتعالى فيها لنا، منها:

للأكل والشرب نسياناً

من أكل أو شرب ناسياً، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : {من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه} والراجح عند جمهور العلماء، أن من أكل أو شرب ناسياً فصومه صحيح ولا قضاء عليه، خلافاً لـمالك رحمه الله؛ لكن ينبغي أن ينتبه إلى أنه لو فطن وفي فمه شيء فإنه ينبغي أن يلفظه ولا يتمه، فبعض الناس من العوام يتناقلون قصة الرجل الذي كان معه شيء من العنب فأكله وهو صائم ناسياً، فلما بقي له حبة تذكر أنه صائم فقال: إذا لم يفطر هذا الكثير فهذه الحبة الواحدة لن تفطر فأكلها.

وهذا المسألة اختلف فيها أهل العلم، فبعضهم قال: أفطر بها، وبعضهم قال: لم يفطر لأنه جاهل. والصحيح أنه يفطر بذلك، فإذا تذكر وفي فمه شيء وجب أن يلفظه، وكذلك إذا رآه إنسانٌ يجب عليه أن يعلمه؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا رأيت من يأكل أو يشرب في نهار رمضان ناسياً، فقل له: أنت صائم أو نحن في رمضان.

صحة صيام الجنب

ومن الرخص -أيضاً-: أن من أصبح جنباً فإنه يصوم ولا شيء عليه. فمن أتى أهله أو احتلم في الليل، ثم طلع عليه الفجر قبل أن يغتسل، فالصحيح في ذلك أنه لا شيء عليه، ويصوم ويغتسل بعد ذلك، وينوي الصيام وهو جنب ولا حرج في هذا؛ خلافاً لما أفتى به أبو هريرة أول الأمر، فإن هذا كان ثم نسخ.

السواك بعد الزوال والمضمضة والاستنشاق

من الرخص: السواك بعد الزوال -كما أسلفت- بل هو مستحب في مواضعه، ومن ذلك أيضاً المضمضة، والاستنشاق للصائم، ولكن يستحب ألا يبالغ فيها، لحديث لقيط بن صبرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: {وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً} وفي بعض الروايات: {وبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً}

فبمضمض الصائم ويستنشق للوضوء وغيره، لكن لا يباليغ فيهما خشية أن يصل شيء من الماء إلى حلقة يفطر بذلك.

جواز الفطر في السفر

ومن الرخص: أن المسافر له أن يتمتع برخصة الله تعالى له في الفطر، فإن كان الصوم يشق عليه فالفطر أفضل له، حتى ولو كان مسافراً في سيارة مكيفة، أو مسافراً في طائرة -مثلاً- أو غير ذلك، فإنه يجوز له أن يترخص برخص السفر.

أخطاء الصائمين

الوقفة الثامنة: أخطاء الصائمين ومثالبهم.

ولا شك أن الصائمين من أفضل العباد، لكن مع ذلك لا بد من التنبيه على بعض الأخطاء التي يقع فيها الصائمون:

الإقبال على العبادة في رمضان وتركها فيما سواه

فمن ذلك أن كثيراً من الناس يقبلون على العبادة في رمضان ويدعونها في غيره، ولذلك تمتلئ المساجد في رمضان، بل من المؤسف جداً أن المساجد تمتلئ في وقت المغرب خاصة، ثم يقلون حتى إن آخر رمضان يصبح مثل غيره من الشهور تقريباً، وهذا أمر خطير ويجب على الأئمة والدعاة والوعاظ أن ينبهوا الناس إليه، ويستغلوا فرصة خروجهم من بيوتهم ومخابئهم إلى المسجد؛ لينبهوهم إلى خطورة مثل هذا العمل وفداحة أمر التهاون بالصلاة، التي قال عنها الرسول عليه الصلاة والسلام: {العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر} فمن الأخطاء أن بعض الناس لا يعرفون الله إلا في رمضان، ويهجرون العبادات في غير هذا الشهر الكريم.

الصوم عما أحل الله والفطر على ما حرم الله

من الأخطاء: أن بعض الناس يصومون عما أحل الله ويفطرون على ما حرم الله، فيصومون عن الأكل والشرب والجماع، لكنهم يرتكبون أشياء محرمة، مثل الغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب، والسب والشتم... وغيرها من المحرمات، سواء أكانت قولية أم فعلية. وهذا لا شك أنه انتكاس في مفهوم الصيام؛ لأن الصوم تربية،

وليس من المعقول أن يربيك الله تعالى على ترك بعض المباح، ثم تذهب لترتكب أشياءً محرمةً في الصوم.

ولذلك ذهب بعضهم إلى أنه يفطر بذلك؛ لكن الصحيح أنه لا يفطر بذلك، والحديث الوارد في هذا ضعيف، وهو قصة المرأتين اللتين غلبهما الصيام فجيء بهما إلى النبي ﷺ فقال لهما: {قينا فقاءتا قيحاً ودماً عبيطاً، فقال عليه الصلاة والسلام: إن هاتين أفطرتا على ما حرم الله وصامتا عما أحل الله} هذا الحديث لا يصح، وقد احتج به ابن حزم وغيره على أن الغيبة والنميمة تفطر وهو حديث ضعيف.

التركيز على الفوائد الدنيوية

ومن الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس، خاصة المتحدثين عن الصيام: أنهم يركزون في حديثهم على الفوائد الدنيوية للصوم، فيتكلمون -مثلاً- عن أثر الصوم في حفظ الصحة، ويأتون بالحديث الضعيف: {صوموا تصحوا} أو أثر الصيام في حفظ الجسم وفي الحمية، أو أثر الصيام في تحقيق سعادة دنيوية، وينسون ضرورة تنبيه الناس إلى أثر الصيام في الدار الآخرة، وضرورة أن يعلم الناس أن الصوم عبادة، سواء أكانت تضرك أم تنفعك، فأنت ينبغي أن تصوم حتى لو فرض جداراً أن الصوم يضرك، فتصوم طاعةً لله جل وعلا.

ولذلك إذا كان الإنسان يخوض المعركة وقد تذهب روحه في سبيل الله تعالى ولا يفطر؛ لأن هذه طاعة وعبادة وقربة، فليس المقصود أن الإنسان يصوم حتى يصح جسمه، أو يسلم من الأمراض والآفات والعاهات، أو يحصل على سعادة عاجلة، وإن كانت هذه الأمور كلها تأتي تبعاً، لكنه يصوم طاعةً لله عز وجل.

سوء الخلق

ومن مثالب الصوم: سوء الخلق.

فإن كثيراً من الصائمين يصبح عنده سوء في خلقه بسبب امتناعه عن الأكل والشرب، فيغلظ على أهله ويقسو عليهم، وكذلك إن كان موظفاً يغلظ ويقسو على من يليه، ويعاملهم بأسلوبٍ فظٍّ غليظ، ويستخدم ألفاظاً نابية لا تليق.

والرسول ﷺ أخبرنا، كما في الحديث المتفق عليه: {الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمته فليقلل إني صائم} فأرشدك إذا كنت صائماً إذا سبك أحدٌ أو شتمك ألا ترد عليه، بل تقول له: إني صائم.

فما بال بعض الناس إذا صاموا عكسوا القضية، فربما يكون الواحد منهم في غير الصوم هادئاً وديعاً خلوقاً، لكن إذا صام اشتدت أعصابه وتوترت، وأصبح يرمي بالعبارات النابية الغليظة هنا وهناك، لأهله وأولاده وجيرانه وزملائه إلى غير ذلك.

اتخاذ رمضان فرصة للكسل

ومن مثالب الصوم: أن بعضهم يتخذ رمضان فرصة للكسل والخمول ويحتج بأنه صائم. ونحن نجد أن المسلمين الأول كانوا عكس ذلك، فكثير من المعارك الإسلامية الشهيرة كانت في رمضان، ولم يكن الصيام فرصة للنوم، وبعضهم يحتجون في ذلك بأحاديث ضعيفة مثل: {نوم الصائم عبادة} ولو فرض أنه صحيح فإنه لا يدل على ما ذهبوا إليه، فالحقيقة أن الصائم ينبغي أن يعود نفسه على النشاط والإقدام والقيام بالأعمال الصالحة.

المبالغة في تناول الأطعمة

وأخيراً: من مثالب الصائمين: المبالغة في تناول الأطعمة. فإننا نجد أن كثيراً من الناس يستعدون لاستقبال رمضان بألوان المطاعم والمشروبات، ويعدون لسحورهم وفطورهم وعشائهم، من أطيب الطعام ما لا يعرفه الناس في غير رمضان، وهذا لا شك أنه يتنافى مع الحكمة الأساسية من مشروعية الصيام، ولذلك تعجبي كلمة ذكرها أحد المصنفين وهو يوبخ الناس، فيقول لهم: "إنكم تأكلون الأبطال، وتشربون الأسطال، وتنامون بالليل ولو طال، وترعمون أنكم أبطال". وهذا في الواقع حكاية الحال التي يعيشها كثير من الجهال فالإنسان عليه أن يكون مقتصدًا في أكله وشربه في رمضان.

وقفه مع بعض الأحاديث الضعيفة

الوقفه التاسعة: وقفه مع بعض الأحاديث الضعيفة التي يتداولها الناس في رمضان.

نوم الصائم عبادة

فمن هذه الأحاديث حديث: {نوم الصائم عبادة} وقد رواه ابن مندة عن ابن عمر ، ورواه البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى ، وهو حديث ضعيف ضعفه الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين ، فهو حديث لا يصح.

من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر

ومن الأحاديث الضعيفة -أيضاً- حديث: {من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر لم يجزه صيام الدهر كله ولو صامه} وهذا حديث مشهور على الألسنة، رواه البخاري تعليقاً، ورواه الأربعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، من طريق أبي المطوس عن أبيه عن أبي هريرة ، وهو حديث ضعيف فيه ثلاث علل:

الأولى: أبو المطوس مجهول .

الثانية: احتمال الانقطاع بينه وبين أبي هريرة .

الثالثة: فيه اضطراب. فالحديث ضعيف .

صوموا تصحوا

ومن الأحاديث الضعيفة حديث {صوموا تصحوا} فإن هذا الحديث -أيضاً- لا يصح، رواه ابن عدي والطبراني في معجمه الأوسط ، وهو حديث ضعيف، بل لعله ضعيف جداً.

حديث سلمان في استقبال رمضان

ومن أكثر الأحاديث شهرة، وهي أحاديث لا تصح: حديث سلمان الفارسي المشهور، الذي يقرأ به الناس في الدروس والكتب، وهو حديث طويل في استقبال شهر رمضان، وفيه أن النبي ﷺ قال لأصحابه : {أتاكم شهر رمضان.. إلى قوله: قد أظلكم شهر عظيم مبارك، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من أتى فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره

عتق من النار . إلى آخره { فهذا الحديث - أيضاً - لا يصح، بل هو ضعيف في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، بل قال أبو حاتم : هذا حديث منكر . وكذلك نقل غيره تضعيفه عن أئمة آخرين .

الوقفه العاشرة

وهي أن ثمة موضوعات رمضانية في طائفةٍ أخرى من القضايا، مثل: قيام رمضان، والتراويح، والعمرة، والعشر الأواخر من رمضان، وكذلك العيد، والدعاء في رمضان والنفقة، وما أشبه ذلك، وهذه سوف أفرد لها جلسة في الأسبوع القادم - إن شاء الله - في مثل هذه الليلة بعد صلاة التراويح .

نسأل الله أن يلحقنا وإياكم خيراً .

فصل قراءة القرآن

الوقفه الحادية عشرة: هي مع قول الله عز وجل: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥] .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: { من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف } رواه الترمذي وهو حديث صحيح .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: { اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه } رواه مسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: { الماهر في القرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران } .

وقد أمر الله عز وجل بتلاوة كتابه، وبين أن هذا دأب الصالحين السابقين، فقال سبحانه: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } [فاطر: ٢٩-٣٠] .

أسباب اعتناء الرسول ﷺ في رمضان بالقرآن

قراءة القرآن الكريم هي التجارة الراجحة التي لا تبور، وهذا في جميع الدهور وعلى مدى الأيام والشهور؛ لكنه في رمضان خاصة له وضع آخر، فإن النبي ﷺ كان يعتني بالقرآن في رمضان أكثر مما يعتني به في بقية شهور العام، وذلك لأسباب:

أولها: أن ابتداء نزول القرآن كان في رمضان، أي أن الليلة التي نزل فيها جبريل على النبي ﷺ بقوله تعالى: { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم** } [العلق: ١-٤] كانت في رمضان، في الشهر الذي هو في الحقيقة شهر رمضان، وقد جاءت قصة نزول جبريل على النبي ﷺ في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: { أن النبي ﷺ أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد يتحنث -وهو التبعذ- قبل أن ينزع إلى أهله، ثم ينزع إلى أهله ويتزود لمثلها، حتى جاءه الملك فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، قال عليه الصلاة والسلام: فأخذني فغطني أو فغطني -يعني ضغطه- حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، -أي: أنا لا أحسن القراءة، لأنه كان أمياً عليه الصلاة والسلام- ثم فعل به ذلك ثلاثاً، ثم أرسله فقال: { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** } [العلق: ١].

فرجع بها رسول الله ﷺ إلى حديجة ترجف بوادره، يقول: زملوني زملوني، فزملوه وغطوه حتى سكن ما به، ثم أخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت له: { **أبشر فوالله لا يجزيك الله أبدأ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق** }.

ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، فهو يقرأ من الإنجيل بالعبرانية، ويكتب ما شاء الله أن يكتب، فأخبره الخبر، فقال: هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. قال: أو مخرجي هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم يلبث ورقة أن مات، وفتّر الوحي فترة { فهذه الحادثة كانت في رمضان على ما ذكره ابن إسحاق ، وأبو سليمان الدمشقي ، كما نقله ابن الجوزي في كتابه: زاد المسير في علم التفسير .

إذًا: فأول آيات أنزلت من القرآن الكريم كانت في رمضان، وعلى هذا حمل بعض أهل العلم قوله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥] أي: ابتداء إنزاله، ويحتمل -أيضاً- أن يكون هذا هو معنى قوله عز وجل: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر: ١] وفي الآية الأخرى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان: ٣] فهي ليلة القدر وهي من رمضان.

السبب الثاني: في أن عناية الرسول ﷺ بالقرآن في رمضان تتضاعف: أن رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وأطبق عليه السلف ، أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة في السماء الدنيا في رمضان، وفي ليلة القدر، ثم كان ينزل على الرسول ﷺ منجماً بحسب الوقائع والأحوال والملابسات، كما هو معروف في أسباب النزول، ولذلك جاء عن جابر رضي الله عنه أنه قال: [[إن صحف إبراهيم أنزلت في أول يوم من رمضان، وإن التوراة أنزلت على موسى بعد مضي ستة أيام من رمضان، وإن الزبور أنزل على داود بعد مضي اثني عشر يوماً من رمضان، وإن الإنجيل أنزل على عيسى بعد مضي ثمانية عشر يوماً من رمضان، وإن القرآن أو الفرقان أنزل على محمد ﷺ بعد مضي أربعة وعشرين يوماً من رمضان]] وقد نقل هذا المعنى عن جماعة من الصحابة، كـوائلة بن الأسقع ، وعائشة رضي الله عنهما وجاء عن النبي ﷺ مرفوعاً وموقوفاً، ونقل أيضاً أن الحسن بن علي رضي الله عنه، لما قتل أبوه رضي الله عنه قال: [[لقد قتلتم رجلاً في ليلة أنزل فيها القرآن على محمد ﷺ ،

ورفع فيها عيسى إلى السماء، وقتل فيها يوشع بن نون، وتيب فيها على بني إسرائيل]] والآثار في ذلك عن السلف كثيرة جداً، خلاصتها أن القرآن الكريم أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر في رمضان.

السبب الثالث: -لتضاعف اهتمام الرسول ﷺ بالقرآن في رمضان-: أن جبريل كان يأتيه في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة، كما في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: {كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان يلقاه في كل ليلة، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، وفي العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل بالقرآن مرتين} فقد خصص جبريل عليه السلام شهر رمضان من الحول؛ لينزل إلى الرسول ﷺ في كل ليلة فيتدارس معه ما أنزل من القرآن، أي من الحول إلى الحول، فكان رمضان فرصةً لمراجعة ما سبق نزوله من رمضان الماضي إلى رمضان الحاضر مع الرسول ﷺ، وكان يعارض النبي ﷺ بالقرآن فيقرأ النبي ﷺ وجبريل يستمع إليه، ويتم من خلال هذه العرضة إثبات ما أمر الله بإثباته، ونسخ ما أمر الله بنسخه: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩].

كما أنه قد يكون من ضمن ذلك شرح معاني القرآن ومدارستها بين النبي ﷺ وبين جبريل، ومن هذا أخذ أهل العلم مشروعية ختم القرآن في رمضان، لأن جبريل مع النبي ﷺ كانا ينهيان ما سبق نزوله من القرآن الكريم، وفي آخر سنة تم ختم القرآن مرتين من خلال المعارضة والمدارسة بين جبريل والنبي ﷺ، فهذا دليل على أنه يستحب للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم في رمضان مرةً أو أكثر، بل إن السنة للإنسان أن يجتم القرآن في كل شهر مرة، بل إن استطاع في كل أسبوع مرة، بل لو استطاع أن يجتم القرآن في كل ثلاث ليال لكان مستحباً له ذلك، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يخصصون جزءاً كبيراً من رمضان لقراءة القرآن، حتى قال الزهري رحمه الله: إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام، وكان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على قراءة القرآن الكريم من المصحف.

ونقل عن جماعة من السلف كالنخعي، والأسود وغيرهم، أنهم كانوا يجتُمون القرآن في كل ثلاث ليال مرة، فإذا دخل رمضان ختموه في كل ليلتين مرة، فإذا كان في العشر الأواخر ختموه في كل ليلة.

أخطاء الناس في قراءة القرآن

وحول موضوع القرآن ورمضان، أريد أن أشير إلى بعض الملاحظات الجوهرية. فمن الملاحظات: أن بعض الناس يظنون أن ختم القرآن مقصود لذاته، فيهد الواحد منهم القرآن هذ الشعر، لا يقف عند معانيه ولا يتدبره ولا يتخشع، ولا يرق قلبه عند معاني القرآن الكريم، إنما يهد هذا، وهم الوصول إلى آخر السورة، أو الوصول إلى آخر الجزء، أو أن ينتهي من قراءة القرآن الكريم، ولا شك أنه ليس لهذا نزل القرآن، فإن الله يقول في القرآن نفسه: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩].

إذاً المقصود هو التدبر والاعتاظ والاعتبار قال الله: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: ٥٠] {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} [الجمانية: ٦] ويقول الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً [المزمل: ٤] فمن الخطأ الكبير أن بعض الناس يهمل أن يهد القرآن هذا ويحتم، وإذا سمع هذه الآثار عن السلف أنهم ختموا في كل يوم مرة أو في كل يومين مرة، قال: لا بد أن أقتدي بهم، فأصبح يهد القرآن هذا، لا يقف عند معانيه ولا يتدبره، ولا يخرج الحروف من مخارجها، ولا يعطي الأحكام التجويدية حقها، وهم أن يحتم القرآن، ولا شك أن ختم القرآن ليس مقصوداً لذاته، ولا شك أن كون الإنسان يقرأ بعض القرآن أو جزءاً أو سورة منه، بتدبر وتفكر وتمعن خير من أن يقرأ القرآن كله دون أن يفهم منه شيئاً.

وقد ثبت في موطأ مالك - رحمه الله - أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه جلس في تحصيل سورة البقرة عشر سنوات، فلما أمتها، نحر بدنة.

هل ترى أن ابن عمر رضي الله عنه جلس عشر سنوات يتحفظ سورة البقرة؟ كلا! فإن صبيان الكُتَّاب عندنا يحفظون القرآن كله في سنة أو في سنتين، فلم يكن ابن عمر بحاجة إلى أن يجلس عشر سنين يحفظ سورة البقرة. إنما كان رضي الله عنه عشر سنين يحفظ السورة ويتعلم أحكامها ومعانيها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها، ويقف عندما ورد فيها، وهذا هو الذي جعله يستغرق في ضبطها عشر سنين.

الملاحظة الثانية: أنه في بعض البلاد يوجد عادات شكلية حول قراءة القرآن، ومن ذلك مصر. فمثلاً: عندهم - خاصة في الماضي وربما اندرست هذه العادة الآن - عادة يسمونها المساهر، حيث يجلسون في رمضان خاصة بعد صلاة التراويح إلى السحور، فيأتي ذوو اليسار والغنى الذين أوجد الله عليهم ورزقهم، فيستأجرون قارئاً يقرأ لهم القرآن في بيوتهم، فيجتمع الناس على هذا القارئ، ويرفعون أصواتهم بعد قراءة كل آية بلفظ الجلالة - الله الله - أو الله يكرمك، ربنا يكرمك ويعطونه من هذه الدعوات، ويرفعون أصواتهم بهذه الصيحات، ولا شك أن هذا مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم لعدة أمور:

أولاً: قراءة القرآن بالأجر لا أصل لها، وهذا الذي يقرأ بالأجر الدنيوي ليس له أجر عند الله تعالى مادام قصده من القراءة الأجر من الناس.

ثانياً: أن جمع الناس بهذه الطريقة لا تتم به الفائدة، فإن الأصل أن يقرأ الإنسان وحده ليتدبر ويخشع ويتمعن، ولذلك قال الرسول ﷺ - في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله - قال: {ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه}.

ثالثاً: أن رفع الأصوات عند قراءة القرآن ليس من عادات المؤمنين، ولا يجوز ولا يسوغ، فإن الله عز وجل قال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ} [فصلت: ٢٦] صحيح أنهم لا يرفعون أصواتهم عند القراءة، إنما يرفعونها بعد ما يسكت، لكن أيضاً هذا فيه سوء أدب مع القرآن، ولم يكن الرسول ﷺ ولا أصحابه يفعلونه، ففي الصحيح أن الرسول ﷺ قال لعبد الله بن مسعود: {اقرأ عليّ القرآن}. قال: قلت يا رسول الله! اقرأ عليك وعليك أنزل؟!!

قال: إني أحب أن أسمع من غيري. فقرأ عليه سورة النساء حتى وصل إلى قول الله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١] قال: حسبك الآن، يقول ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان {ﷺ}.

هذا هو الخشوع والتأثر بالقرآن، وهذا هو الاعتبار والأدب الواجب مع قراءة القرآن. ومن الأشياء التي تحتاج إلى وقفة فيما يتعلق بالقرآن الكريم: ما يسمى عند الناس اليوم بالختمة، وقد تحدثت عنها في مناسبات أخرى؛ لكن في هذا المناسبة أذكرها، فإن الناس في هذا - كما يقال - طرفان ووسط، وأعني بالختمة: إتمام قراءة القرآن في صلاة التراويح والقيام، ثم الدعاء المعروف، فمن الناس من يقول: هذه بدعة ولا يفصل، ومن الناس من يقول: الختمة سنة ويعمل بها - أيضاً - دون تفصيل.

والذي أراه صواباً أنه لا بد من التفصيل في ذلك، فأقول:

أولاً: إتمام قراءة القرآن الكريم في صلاة التراويح والقيام مشروع، كما سبق.

ثانياً: الدعاء عند ختم القرآن الكريم - أيضاً - مشروع، وقد ثبت من حديث جابر عند أحمد وأبي داود، ومن حديث عمران بن حصين عند الطبراني، وهما حديثان صحيحان، أن النبي ﷺ قال: {اقرأوا القرآن وادعوا الله به} وفي لفظ: {وسلوا الله به، فإنه يأتي قوم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه} فأمر النبي ﷺ أن نقرأ القرآن ونسأل وندعو الله به.

إذاً: فالدعاء عند ختم القرآن مستحب، وفي سنن الدارمي بسند جيد أن أنساً رضي الله عنه [[كان إذا ختم القرآن الكريم جمع أهل بيته فدعا بهم]].

ثالثاً: هذا الدعاء الذي يقال عند ختم القرآن الكريم ينبغي أن يكون في صلاة الوتر، سواء في التراويح أو في القيام، وذلك لأن الوتر هو المكان الذي ثبت شرعاً أنه مكان للدعاء، فكان الرسول ﷺ يدعو، ويقنت في وتره، وعلم الحسن كما في سنن الترمذي بسند حسن، أنه ﷺ علمه أن يقول: اللهم اهديني فيمن هديت.. إلى آخر الدعاء المعروف.

فالسنة في الدعاء أن يكون في الوتر، قبل الركوع أو بعده، فكلاهما ثبت عن الرسول ﷺ، وإن كان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم بعد الركوع.

رابعاً: هذا الدعاء لا مانع من إطالته بمناسبة ختم القرآن، بمعنى أن يضاعف الإنسان الدعاء بمناسبة ختم القرآن، ويضيف أدعية تتعلق بالقرآن الكريم، مثل قول بعضهم: اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن

الكريم، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعل القرآن لنا شفيحاً.. إلى آخر الأدعية الخاصة بالقرآن، وهذه مناسبة جيدة، أن يختار الإنسان أدعية تتعلق بالقرآن الكريم.

أما الدعاء الشائع عند الناس الذي يبدأ عندهم بقوله: صدق الله العظيم الذي لم ينزل عليماً قديراً... إلى آخر الأدعية التي تبدأ عندهم بصدق الله العظيم، صدق الله، ومن أصدق من الله قيلاً، أو صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ما قال ربنا من الشاهدين، ولما أوجب وألزم غير جاحدين. فهذه لا أصل لها، والأولى بالإنسان أن يتجنبها، خاصة وقد انتشرت عند الناس حتى ظن بعضهم أنها من السنن، فلو تركها أحد لأنكروا عليه وقاموا في وجهه، وقالوا: لقد خالفت السنة!! وليس لها أصل صحيح.

ومما يدخل في المنع: أن بعض الناس يزيد في دعاء ختم القرآن مواعظ وأذكاراً تتعلق بذكر القبر وما يقع فيه من عذاب، وكذلك ذكر الصراط والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار وما يقع فيها، ولا شك أن هذا ليس محله، وهو من الاعتداء المنهي عنه، وربما أوصل بعضهم إلى أن تبطل صلاته، لأن بعضهم يحول الدعاء إلى موعظة ويخاطب المصلين بالخطاب المباشر، وهذا يبطل الصلاة بلا شك.

فينبغي أن يفرق بين هذا وهذا، فمن يقول: إن الختمة بدعة أو الختمة سنة، كلاهما ينبغي أن لا يتسرع في إطلاق هذه الكلمة، بل لا بد أن يفصل ويبين ما يكون سنة وما ليس بسنة، مع أن الأمر لا ينبغي التشديد فيه -فيما يظهر لي- حتى إن الذين يقرءون دعاء الختمة في التراويح، أعني في صلاة ثنائية في غير الوتر، يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت في صلاة الفجر، كما ثبت عنه مرات، وثبت عنه القنوت في غير صلاة الفجر، في صلاة الظهر والعصر والعشاء في أحاديث كثيرة، فيقولون هذا من هذا، وإن كان هذا لا يقاس عليه، والعبادات ليس فيها مجال للقياس، ولذلك لا أصل للدعاء في صلاة ثنائية فيما أعلم.

القيام

الوقفة الثانية عشرة: هي مع القيام.

فكما أن رمضان شهر الصيام فهو شهر القيام، يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا

ثَقِيلًا } [المزمّل: ١-٥] ويقول عز وجل في صفة عبادة المحسنين: { كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الذاريات: ١٧-١٨].

ولذلك ثبت في صحيح مسلم ، أن النبي ﷺ قال: {أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل} وفي سنن الترمذي بسند صحيح، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: {لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سمعت الناس يقولون: جاء محمد جاء محمد، وانجفل الناس إليه -أي هرعوا وركضوا وأسرعوا إليه، وكان عبد الله بن سلام يهودياً لم يسلم بعد- قال: فأتيت النبي ﷺ فنظرت في وجهه، فلما استثبت في وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب. قال: فسمعتة يقول: يا أيها الناس، أطمعوا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام}.

وفي رمضان خاصة قال النبي ﷺ - كما في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة -: {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} وقد ثبت أن النبي ﷺ قام بأصحابه، كما ثبت ذلك من حديث عائشة في الصحيحين: {أن النبي ﷺ صلى ليلة فصلى رجال بصلاته، فلما كان من الليلة الثانية كثر الناس فصلوا بصلاة النبي ﷺ ، فلما كان من الليلة الثالثة أو الرابعة كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم النبي ﷺ حتى أصبح ثم قال لهم: قد عرفت مكانكم، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم، ما منعي من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم، فصلوا -أيها الناس- في بيوتكم} فثبت أن النبي ﷺ صلى بأصحابه صلاة القيام في رمضان ليلتين أو ثلاثاً.

وكذلك حديث أبي ذر ، الذي رواه أهل السنن وسنده صحيح، قال: {لم يقم بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى بقي سبع ليال، فصلى بنا حتى كان ثلث الليل، فلما كان من الليلة الثانية لم يصل بنا، فلما كان من الليلة الثالثة صلى بنا حتى مضى شطر الليل، فقلنا: يا رسول الله! لو نفلتنا بقيّة ليلتنا -أي: لو صليت بنا بقيّة الليلة- فقال النبي ﷺ : إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة. ثم قام بهم بعدها ﷺ الليل كله، قال: حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح} والفلاح هو السحور، يعني صلى بهم النبي ﷺ حتى خشوا أن يفوتهم السحور.

وهاهنا في موضوع قيام الليل في رمضان خاصة، لنا عدة ملاحظات:

عدد صلاة التراويح

الأولى: حول عدد التراويح، فالناس مختلفون اختلافاً كثيراً من إحدى عشرة إلى تسع وأربعين ركعة، وما بين ذلك، اختلافات طويلة عريضة في عددها، ولا يعنينا ذكر هذه الاختلافات، إنما يهمنا أمور:

منها: كم صلى رسول الله ﷺ؟

أصح ما ورد عنه ﷺ ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: { ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة } فالتبني ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة، لكن يطيلها ويحسنها، ويطيل القراءة والركوع والسجود عليه الصلاة والسلام.

ثم ما الذي فعله الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة الرسول ﷺ؟

فإنه لما مات الرسول ﷺ؛ زال الخوف أن تفرض صلاة التراويح والقيام على الناس، فأمر عمر رضي الله عنه المسلمين أن يجتمعوا على الصلاة، حيث دخل المسجد فوجدهم أوزاعاً، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرجل والرجلان والرهط، فرأى عمر أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبي بن كعب وتميم بن أوس الداري أن يصليا بالناس، فصليا بهم، فيا ترى كم صلاة تميم بن أوس وأبي بن كعب؟ ورد في ذلك روايتان كلتاهما صحيحة، وهما من طريق السائب بن يزيد .

الرواية الأولى: أن عمر رضي الله عنه أمرهم أن يصلوا بالناس إحدى عشرة ركعة. والرواية الثانية: أن تميم بن أوس وأبياً قاما بالناس بإحدى وعشرين ركعة، وفي رواية بثلاث وعشرين ركعة. ورواية إحدى عشر ركعة في موطأ مالك وسندها صحيح، ورواية إحدى وعشرين في مصنف عبد الرزاق وسندها صحيح، ورواية ثلاث وعشرين في سنن البيهقي وسندها صحيح.

إذاً: ما هو المخرج من ذلك؟

بعض أهل العلم حكموا على رواية إحدى وعشرين وثلاث وعشرين بالشذوذ، لكن لا داعي لهذا؛ لأن الجمع بينها ممكن، فنجمع بين رواية إحدى عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، بما جمع بينها الحافظ ابن حجر رحمه الله قال: إنه يحمل على التسوع والتعدد بحسب الأحوال وحاجة الناس، فأحياناً كانوا يصلون إحدى عشرة ركعة، وأحياناً إحدى وعشرين، وأحياناً ثلاثاً وعشرين، بحسب نشاط الناس وقوتهم. فإن صلوا إحدى عشرة أطلوا حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وإن صلوا ثلاثاً وعشرين خففوها بحيث لا يشق ذلك على الناس، وهذا جمع حسن. وانقدح في نفسي جمع آخر، لعله أن يكون معقولاً أيضاً وهو أن عمر رضي الله عنه أمرهم أن يصلوا بالناس إحدى عشرة ركعة، وهذا لم تختلف الرواية فيه أن الأمر صدر من عمر بإحدى عشرة، ولكن تيمماً و أبياً صلوا بالناس إحدى وعشرين، أو ثلاثاً وعشرين.

فالأمر بإحدى عشرة والفعل الذي حدث إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، وذلك قد يكون بناءً على أمر عرض لهما، رأياً أن المصلحة أن يصلوا إحدى وعشرين أو ثلاثاً وعشرين؛ لحاجة الناس إلى ذلك، أو أن الناس يستطيعون القيام بإحدى عشرة فرأوا أن تكون إحدى وعشرين أو ثلاثاً وعشرين، ويخففون في القيام والركوع والسجود، ليكون أمكن لهم في العبادة، هذا -أيضاً- ممكن وبه تأتلف النصوص.

على كل حال: سواء صلى الناس إحدى عشرة، أم إحدى وعشرين، أم ثلاثاً وعشرين، إلا أنه ينبغي أن أنه إلى أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أنه لا تجوز الزيادة في التراويح على إحدى عشرة ركعة، أنه قول ضعيف جداً، وينبغي عدم الالتفات إليه، وذلك لأن الأعرابي الذي جاء يسأل النبي ﷺ عن صلاة الليل، قال له النبي ﷺ: {
مثنى مثنى} والحديث في الصحيحين، وهذا الرجل ما كان يعرف صفة صلاة الليل

فضلاً عن أن يعرف عددها، وقال له النبي ﷺ: {مثنى مثنى} أي تسلم من كل ركعتين، ولم يحدد له في ذلك عدداً محدوداً، بل أطلق الأمر، هذا أمر.

الأمر الثاني: أن النوافل المطلقة جائزة مطلقاً، ليلاً أو نهاراً، إلا في أوقات النهي، ولم يرد لها حد معلوم، فلو صلى الإنسان قبل الظهر أو بعده، أو بعد العشاء أو في الضحى، ما تيسر له لما كان ملوماً في ذلك ولا معتبواً عليه، فهذه نوافل مطلقة جماهير الأمة، بما في ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم، على أنها لا تحد بحد لا يجوز الزيادة عليه، وإن كان منهم من يقول هناك عدد أفضل من عدد.

الصلاة إنما شرعت لتهديب النفوس

الملاحظة الثانية في صلاة التراويح: أن الصلاة عموماً بما في ذلك النافلة، إنما شرعت لتهديب النفوس، وتصفية القلوب وتطهيرها من الحقد والحسد والبغضاء، وجعل قلوب المؤمنين متحابية متقاربة، وهذا من أعظم مقاصد العبادات، ففيها تهديب وتطهير وتصحيح للنفوس، وهذا أمر ملحوظ، فإن العبد إذا أقبل على صلاته صفت نفسه ورق قلبه، واستغفر ربه من ذنبه، فكيف يجوز ويسوغ في منطق العقل؛ أن نجعل هذا الأمر الذي شرعه الله تعالى لتصفية القلوب وتطهير النفوس، وتحييب المؤمنين بعضهم إلى بعض، ميداناً للخصام والتنافر والتباغض والتحاسد فيما بيننا؟!!

هذا يقع من بعض طلبة العلم؛ حينما يسودون الصفحات الطويلة في الخصام في صلاة التراويح، كم هي، ورد بعضهم على بعض، وهجوم بعضهم على بعض، وتشهير بعضهم ببعض، ويقع هذا عند طلبة العلم، وعند العامة في المساجد، فإذا جاء رمضان بدأ الخصام والشجار في التراويح، فمن قائل: صلّ عشرًا وآخر صلّ عشرين، واختلفت الجماعة على الإمام، فبعضهم نريد عشرًا وبعضهم يقول نريد خمسًا، وبعضهم يريد أقل وبعضهم يريد أكثر، وبعضهم يقول: طول وبعضهم يقول: أسرع.

وهكذا تتحول العبادة التي شرعها الله عز وجل لتهديب النفوس والأفراد والمجتمعات وجمع الكلمة، في نفوس المسلمين المتأخرين المتخلفين في هذا العصر، إلى ميدان للتنافر والتطاحن والتباغض والتباعد، فتنعكس الآية ويضعف تأثير هذه العبادات في نفوس كثير من الناس.

أهمية التوسعة في هذه الأمور

الملاحظة الثالثة في موضوع التراويح: أهمية التوسعة في هذه الأمور على الناس. فإننا نعلم من هدي الإسلام أنه دين اليسر والسماحة، خذ على سبيل المثال: الحديث المتفق عليه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وغيرهما، أن الرسول ﷺ حين حج حجة الوداع، كان واقفاً للناس في منى لا يسأله أحد عن شيء قدم ولا أحر إلا قال: افعل ولا حرج. قال قائل: رميت بعد ما أمسيت؟

قال: افعل لا حرج. حلقت قبل أن أرمي؟

قال: افعل ولا حرج... ولم يسأل ﷺ عن شيء قدم ولا أحر، من أعمال الحج مثل الرمي التي تفعل في يوم العيد، والنحر والحلق والطواف، إلا قال: افعل ولا حرج. سألوه عن قدم الطواف؟ فقال: لا حرج، وسألوه عن قدم الحلق؟ فقال: لا حرج، وسألوه عن قدم النحر؟ فقال: لا حرج، لم يسأل عن شيء قدم ولا أحر إلا قال: لا حرج.

فكان ﷺ يحب التوسعة على أمته، وهذا مسلك نجده لعلماء أهل السنة عبر العصور، يكرهون المشقة على الناس، وهكذا يجب علينا في هذا العصر أن نتبعد عن المشقة على الناس في التراويح وغيرها.

ومن الابتعاد عن المشقة أن يراعي الإنسان حال المأمومين، فإن كان يشق عليهم أن يصلي بهم عشر تسليمات، صلى بهم خمساً، وهذا أوفق وأقرب للسنة، وإن كان أكثرهم اعتاد على العشر وهي أخف عليهم، لأنه يشق عليهم طول الوقوف فيصلي بهم، عشر تسليمات ولا حرج في ذلك؛ لأنه ليس في صلاة التراويح حد محدود، المهم أن تكون مثنى مثنى، تسلم من كل ركعتين ولا تقرن أربعاً، ثم صل ما يناسبك، وإن كان الأصل في ذلك أن يكون العامة تبعاً لعلمائهم وأئمتهم وطلاب العلم، فليس الأصل أن العامة هم الذي يفرضون على الناس عدد الصلوات، لكن إن كان في ذلك مشقة أو اختلاف فينبغي تجنب ذلك.

رمضان شهر الجهاد

الوقفة الثالثة عشرة: إن رمضان شهر الجهاد.

والجهاد - كما تعلمون - ذروة سنام الإسلام، وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال: {إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة والتي تليها كما بين السماء والأرض، أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله، وأعلى ذلك الفردوس، فإذا سألتم الله؛ فسلوه الفردوس الأعلى، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تتفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن عز وجل} ففي الجنة مائة درجة هي للمجاهدين في سبيل الله عز وجل، ولذلك فإن رمضان ليس شهر النوم والكسل والبطالة، بل هو شهر الجهاد.

خذ على سبيل المثال: حياة الرسول ﷺ ، فأعظم معركتين في حياة النبي ﷺ كانتا في رمضان، أولاهما: معركة بدر الكبرى، فإنها كانت في شهر رمضان، ومعركة بدر هي الفرقان الذي فرق الله تعالى بما بين عهد الذل والاستضعاف، وبين عهد العزة والتمكين للرسول ﷺ وللمؤمنين، ولذلك كان الرسول ﷺ في يوم بدر يرفع يديه إلى السماء ويتهل إلى الله عز وجل، حتى سقط رداؤه عن منكبه، وهو يقول: {اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم في الأرض. حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه من ورائه فالتزمه، ووضع رداءه على منكبيه، وقال: يا رسول الله! كفاك مناشدة ربك -أي ارفق بنفسك- فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك} فنصر الله تعالى رسوله والمؤمنين نصراً مؤزرًا تحدثت به الركبان، وكان فرقاناً وفيصلاً بين عهد الذل والاستضعاف، وبين عهد القوة والنصر والتمكين قال الله: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٣].

المعركة الثانية: هي معركة فتح مكة ، وكانت من أخطر وأهم المعارك في حياة الرسول ﷺ ، لأن مكة كانت مركز الجزيرة العربية ، ومكان الحج والعمرة، والناس يأتونها من كل مكان، فكانت الوثنية تسيطر على مكة على مدى ثمان سنوات بعد هجرة الرسول ﷺ، حتى منعوا الرسول ﷺ يوم الحديبية من دخول مكة وأداء العمرة، فلما ذهب عليه الصلاة والسلام إلى مكة ودخلها فاتحاً؛ دانت له الجزيرة العربية كلها.

وكان فتح مكة في السنة الثامنة، وفي السنة التاسعة جاءت الوفود إلى الرسول ﷺ من أنحاء الجزيرة العربية تباعه على الإسلام، ولهذا يصح أن نقول: إن فتح مكة هو الوقت الذي زالت فيه غربة الإسلام، وأصبح الإسلام عزيزاً في أنحاء الجزيرة ، وسقطت سلطة الوثنية في هذه البلاد. وكان فتح مكة -أيضاً- في رمضان.

وهناك كثير من الفتوحات والمعارك الفاصلة في الإسلام كانت في رمضان، أذكر منها معركة عين جالوت ، المعركة التي نصر الله فيها عباده المؤمنين بقيادة المماليك على التتار، وانكسر مداهم وانهمزوا بعد ذلك هزيمةً منكراً لم يقيم لهم بعدها قائمة.

فرمضان هو شهر الجهاد، وهذا يذكرنا بأمرين:

انعكاس المفاهيم في نفوس المسلمين

أولهما: أن كثيراً من المسلمين اليوم انعكست هذه المفاهيم في نفوسهم، فلم يعد رمضان شهر الجهاد والعمل والتضحية.

بل هو شهر البطالة والكسل والنوم، وهذا خطأ، فإن الجهاد باب واسع، فهناك الجهاد بالكلمة، والجهاد بالعلم، والجهاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبال دعوة إلى الله عز وجل وبالمال، وكل أنواع الجهاد مشروعة في رمضان وغيره، وهي في رمضان أولى من غيره.

وجوب نصرة المجاهدين

الأمر الثاني: أننا نعلم أن كثيراً من المسلمين الآن يحملون السلاح، مدافعين عن الحوزة ومنافحين عن الملة.

يحدث هذا في أفغانستان ، وفي فلسطين ، وفي إريتريا ، وفي الفلبين ، ويحدث -أيضاً- في بلاد إسلامية أخرى، وفي جميع هذه البلاد التي ذكرت، توجد أمم وطوائف من أهل السنة والجماعة ، المشهود لهم بالصلاح والورع والتقوى ولزوم الجادة وصلاح المعتقد، وهم يقاتلون عدواً كافراً خاسراً، يهودياً أو نصرانياً أو شيعياً، وهم بأمس الحاجة إلى أن يكون إخوانهم المسلمون معهم، بالدعاء وبالحماية والنصر، والمال، وبغير ذلك من الوسائل.

رمضان شهر الإنفاق

الوقفه الرابعة عشرة: أن رمضان شهر النفقة والإنفاق.

والنفقة عموماً من أعظم أسباب القرب من الله تعالى ودخول الجنة.

الإنفاق زيادة لا نقصان

يكفي أن تعلم أن هذا الإنفاق الذي ينفقه الإنسان لا ينقص من ماله بل تزيده، كما

قال النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: { ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله

عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه} فأثبت عليه الصلاة والسلام أن الصدقة لا تنقص المال بل تزيده، وهذه الصدقة التي لا تنقص مالك هي تزيد في أعمالك وقربك من الله عز وجل.

الصدقة من أعظم أسباب دخول الجنة

وهي من أعظم أسباب دخول الجنة، وسمع بعض هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى أبو كبشة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: {أحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقصت صدقة من مال، ولا فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله تعالى عليه باب فقر، ولا تواضع أحد لله إلا رفعه - ثم قال -: وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو ينفق ماله في علمه، ويتصدق، ويصل رحمه، وينفق في سبيل الله؛ فهو أفضلهم، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول: لو أن لي مثل مال فلان لعمت مثل ما عمل. فهما في الأجر سواء. ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمه فهو يخبط فيه ولا يتقي الله عز وجل، ولا يصل به رحمه ولا يعطي منه المسكين، فهو أخبثهم منزلةً. ورجل لم يؤته الله تعالى مالاً ولا علماً، فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لعمت مثل ما عمل. فهما في الوزر سواء}. والحديث رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وذلك يدل على أن نية المؤمن الصادقة على الإنفاق في سبيل الله وغير ذلك من أبواب الخير، أنها تبلغه منازل العاملين، متى كانت نية صادقة من أعماق قلبه، وليست مجرد أمنية، ففرق بين النية والأمنية، لأن بعض الناس يقول: لو عندي، لكن لو أعطاه الله عز وجل لكفر: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ} [التوبة: ٧٥-٧٧] ففرق بين الأمنية وبين النية الصادقة

المبيته الجازمة، أنه لو أعطاك الله مالاً لفعلت مثل فلان، أو لو رزقك الله علماً لفعلت به مثل فلان.

وفي صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة : { أن رجلاً من بني إسرائيل سمع صوتاً في السحاب يقول: اسق حديقة فلان اسق حديقة فلان. فلما توسطت السحاب المزرعة أمطرت ما فيها، فذهب الرجل فإذا فلاح يحول الماء بمسحاته، فاستوعبت الشريحة ذلك الماء كله، فقال له الرجل: ما اسمك يا عبد الله؟

قال: اسمي فلان -بالاسم الذي سمعه في السحابة- فقال: وماذا تصنع؟
قال: وما ذاك؟

قال: سمعت صوتاً في السماء يقول: أسق حديقة فلان أسق حديقة فلان، فلما توسطت السحاب مزرعتك أمطرت. فقال: أما إن قلت ذاك، فإنني إذا أخذت ثمرة هذه الحديقة تصدقت بثلتها، وجعلت ثلتها فيها، -أي رده في بذرها وإصلاحها- وأكلت أنا وأولادي ثلتها.

فمن أجل ذلك وسع الله على هذا الرجل، وبارك له في رزقه وفيما أعطاه، حتى إن ملكاً موكلاً بالسحاب، يقول: اسق حديقة فلان اسق حديقة فلان، يخصصه دون غيره من الناس، ولذلك لا تعجب إذا رأيت الناس الذين أصيبوا بالكوارث والمصائب والنكبات، إنما أتوا من قبل أنفسهم.

يقول لي أحد الإخوة القضاة: إنه جاءه رجل يشتكي إليه أن صاعقةً نزلت على غنمه فأتلقت منها مئتاناً -أكثر من سبعمائة رأس- فهو يأتي للمحكمة حتى تسجل له ويعوض عنها، يقول: فقلت له ذات مرة: ما سبب هذه المصيبة التي نزلت بك؟

لعلك لا تخرج الزكاة؛ قال: فرأيت الرجل تأثر ثم خرج من عندي ولم يعد بعد ذلك، وكان هذه الكلمة وقعت من الرجل موقعاً، وعرف أن ما أصابه بسبب ذنوبه، فلم يرد

أن يأخذ تعويضاً أو مقابلاً لذلك، ولعله تاب إلى الله عز وجل، ولذلك ينبغي علينا جميعاً أن نحرص على أن نتقي النار بالزكاة والصدقات والنفقات.

وقد جاء في الحديث المتفق عليه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: { ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة } وفي الحديث الآخر المتفق عليه - أيضاً: { أن النبي ﷺ لما أتى النساء وعظهن وذكرهن، وقال: يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار } فبين عليه الصلاة والسلام أن الصدقة من أعظم أسباب الوقاية من عذاب النار، ولو من الحلي، ولو بشق تمرة، فيجود الإنسان بقدر ما أعطاه الله عز وجل.

الصدقة برهان الإيمان

والصدقة دليل على صدق إيمان صاحبها، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام، في حديث أبي مالك الأشعري، في صحيح مسلم: { والصدقة برهان } لأن النفس مجبولة على حب المال، فإذا تخلص الإنسان من الشح وحب المال وأخرج المال، دل على أنه يقدم مرضات الله تعالى ومحبوب الله تعالى على محبوب نفسه، ويتخلص من شح نفسه قال الله: { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٩] والأحاديث الواردة في الصدقة كثيرة جداً؛ لكن ينبغي أن يحرص الإنسان على أن يستتر بصدقته.

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الطبراني بسند حسن - كما يقول الدمياطي في المتجر الرابع - عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: { صنائع المعروف تقسي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصللة الرحم تزيد في العمر } فليحرص الإنسان على الاستكثار من هذه الأشياء، وعلى أن تكون صدقته سراً.

ومن الخطأ أن يتصدق الإنسان بمائة ألف ريال أو بخمسمائة ألف ريال من أجل أن يكتب اسمه في الجريدة، أو يكتب اسمه في دفتر التبرعات، أو يذكر عنه أنه المحسن

الفلاي، اللهم إلا أن يكون قصده أن يكون في ذلك حثاً وتشجيعاً للناس على الصدقة، وإثارة المنافسة بينهم في العمل الصالح فهذا جيد، أما إن كان القصد الرياء والقييل والقال؛ فهذا -والعياذ بالله!- خسارة الصحابة في الدنيا ووبال عليه في الآخرة.

جود النبي ﷺ في رمضان

وفي رمضان خاصة ينبغي الإكثار من الجود اقتداءً بالرسول ﷺ، كما سبق في حديث ابن عباس: {كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان} وإنما كان جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان خاصة أكثر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: لمناسبة رمضان، فإن رمضان شهر تضاعف فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات، فيتقرب فيه العبيد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

السبب الثاني: كثرة قراءته ﷺ للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب الإنسان لأن ينفق في سبيل الله، وحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

السبب الثالث: أن النبي ﷺ كان يلقي جبريل -كما سبق- في كل ليلة، ولقاؤه لجبريل من باب مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان وتحث على الطاعة، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصدقة في رمضان.

وأنواع جوده ﷺ لا تنحصر، والكلام في جوده يبدأ ولا ينتهي، فهو أجود الناس على الإطلاق، يتفنن ﷺ في أنواع الجود، ويعطي كل من سأله، لا يرد سائلاً إلا أن لا يجد، حتى إنه ﷺ قد يسأله رجل ثوباً عليه فيدخل بيته ويخرج وقد خلع ثوبه وأعطاه إياه، وحتى إنه ﷺ يعطي غنماً بين جبلين، ويعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، وربما اشترى الشيء فأعطى ثمنه ورده على بائعه، وربما اشترى وأعطى الثمن وزاده، وربما استسلف شيئاً فرده بأكثر وأطيب وأكبر منه، وربما أهدي وتصدق، وأعطى، وربما قبل الهدية

وأثاب عليها أكثر منها وأعظم وأوفر، وكان ﷺ يفرح بأن يعطي أكثر مما يفرح الآخذ بما يأخذ، وفرحه ﷺ بالعطاء أعظم من فرح الآخذ بالأخذ، حتى إنه ليصدق عليه وحده عليه الصلاة والسلام قول القائل:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وكان يجود ﷺ بنفسه وماله، ويصفح عمن ظلمه ويعطي من حرمه، ويعفو عمن أساء إليه، وله في ذلك شيء كثير يطول ذكره عليه الصلاة والسلام.

بعض مصارف الصدقة

وفي موضوع الصدقة أود أن أشير إلى مصارف مهمة:

المصرف الأول: مصرف المجاهدين في سبيل الله قال الله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة: ٦٠] فالمجاهدون في سبيل الله هم أحد الأصناف الثمانية الذين تدفع لهم الزكاة، وقد بينت لكم أن في بلاد الأفغان وفلسطين وإريتريا والفلبين مسلمين ومجاهدين ومرابطين على الثغور، وإذا كنا لم نجاهد معهم، ولم نحمل السلاح معهم، ولم نخلفهم في أولادهم وأزواجهم بنحير، فلا أقل من أن نعينهم بما تجود به أيدينا من المال، وهذه أعظم مصارف الزكاة في هذا العصر خاصة، ولذلك ينبغي دعم هؤلاء الإخوة المجاهدين، وبالأَسباب والوسائل التي من الممكن أن تصل من خلالها الأموال إليهم بيسر وسهولة.

ومن المصارف التي أود أن أشير إليها: الفقراء والمحتاجين من الشباب وطلاب العلم، فإنني أعلم كثيراً من طلاب العلم -وقد يكون بعضهم من بينكم، من بين المستمعين- من هم بحاجة إلى مساعدة إخوانهم، من لعوز، أو فقر أو حاجة أو إعسار، أو لأنهم يريدون أن يتزوجوا ولا يجدون ما يكمل لهم مهر الزواج وموؤنته، وفي ذلك إعفاف لهم وتحصين لفروجهم وإكمال لنصف دينهم، وفيه من المصالح ما لا يخفى، كما أنه يعين على طلب العلم وتحصيله.

وأود أن أشير إلى أن من الجهات التي تتقبل الصدقات والنفقات هي: الجمعيات الخيرية، فإذا وجدت جمعيات خيرية موثوقة، فلا بأس أن يعطيها الإنسان، لأن هذه الجمعيات تتحرى، وعندها ملفات خاصة بالأسر المحتاجة، وتعطيهم رواتب شهرية وتنفق عليهم، وفي هذا البلد أعلم أن

القائمين على جمعية البر الخيرية من الناس الموثوقين المعروفين بالخير والاستقامة، والحرص على تحري وضع المال في موضعه الصحيح الشرعي، فينبغي للإنسان الذي يجد المال وربما لا يعرف مصارفه الصحيحة، أن يوكلهم في صرف هذا المال إلى مستحقه.

رمضان شهر التوبة

الوقفه الخاصة عشرة: رمضان شهر التوبة، وفيه يرجع العباد إلى ربهم.

أسباب كون رمضان شهر التوبة

وإنما كان رمضان شهر التوبة لأسباب:

أولها: جود الله تبارك وتعالى وصفحه عن عباده في هذا الشهر، حتى إنه صح أنه لله تعالى في كل ليلة عتقاء من النار.

ثانيها: أن الشياطين تصفد وتسلسل، قال ﷺ: {إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النيران، وصدت الشياطين} وفي لفظ: {وسلسلت الشياطين} فالعباد يقتربون إلى الله في هذا الشهر، فهو فرصة ذهبية ليتوب التائبون من ذنوبهم.

أيها الأخ إذا لم تتب في رمضان فمتى تتوب؟!

وإذا لم تتب في مثل هذه الساعات فمتى تنيب؟!

وإذا مضت أيام عمرك ولياليك ضياعاً فلا يجوز أن يضيع منك شهر رمضان.

شروط التوبة

إخواني الكرام: للتوبة شروط ستة لا بد من توفرها، أسردها سرداً:

أولها: الإخلاص لله عز وجل، وأن تكون توبة العبد صالحة خالصة لا يشوبها مقصد دنيوي.

ثانيها: أن تكون في زمن الإمكان، أي قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم وتغرغر، فإن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

ثالثها: أن تكون مصحوبةً بالإقلاع عن الذنب، فلا يصح أن يدعي الإنسان التوبة وهو مقيم على المعصية.

رابعها: أن يندم الإنسان على ما مضى، فإن التائب نادم، ولذلك صح عن النبي ﷺ أنه قال:

{الندم توبة} فالندم يأكل قلب التائب أكلاً.

خامسها: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرةً أخرى، وهذه هي حقيقة التوبة.
سادسها: إن كان الذنب يتعلق بحقوق المخلوقين رده إليهم، من مال أو عرض أو أي شيء.

رمضان شهر الدعاء

الوقفه السادسة عشرة : رمضان شهر الدعاء.

والله تعالى يجيب عباده في كل وقت، وخاصةً في رمضان، فقد سبق أن الله تعالى يجيب دعاء الصائم، وللصائم عند فطره دعوة لا ترد.

وأود أن أشير إلى خمسة أسباب -ذكرتها في درس بلوغ المرام - لإجابة الدعاء:

السبب الأول : اختيار الزمان الفاضل، وذلك كأوقات السحر، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وما بين الأذان والإقامة، وفي آخر ساعة من الجمعة، وعند دخول الإمام إلى أن تقضى الصلاة، وعند الإفطار، فإن هذه من أوقات إجابة الدعاء.

السبب الثاني : اختيار المكان الفاضل، وذلك كالمساجد والأماكن الفاضلة، كـ مكة وغيرها.

السبب الثالث : صفة الداعي، كأن يكون الداعي مسافراً، فإن المسافر مستجاب الدعوة، وكونه أباً يدعو لولده، وكونه صائماً يدعو الله عز وجل، وكونه مقاتلاً فإن الدعاء عند التحام الصفيين مستجاب، وكذلك كونه مظلوماً فإن دعوة المظلوم لا ترد، يرفعها الله فوق السحاب، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين.

وكذلك كون الداعي مضطراً، ومعنى الاضطرار وحقيقته: أن يقطع العبد جميع الأسباب والوسائل إلا عن الله جل وعلا، فينقطع إلى الله تعالى بقلبه انقطاعاً تاماً، ويفوض الأمر إليه تفويضاً تاماً، وحينئذٍ يجيبه الله بلا شك ولا امتراء، يقول الله عز وجل: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } [النمل: ٦٢].

مر موسى عليه الصلاة والسلام برجل يدعو الله جل وعلا، فقال موسى: يا رب، والله لو كانت حاجة هذا الرجل عندي لقصيتها. فقال الله عز وجل: يا موسى، أنا أرحم به منك، ولكنه يدعوني وقلبه عند غيري. فأخبر موسى الرجل، فانقطع إلى الله بقلبه، فأجاب الله تعالى دعاءه.

فينبغي أن يكون الداعي على حال من الإخبات والانكسار والاضطرار، وألا يكون دعاؤه على سبيل التجربة، يقول عليه الصلاة والسلام: { ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من دعاه بقلب غافل لاهٍ } والحديث جاء بإسنادين يقوي أحدهما الآخر، فهو حديث حسن.

السبب الرابع : صفة الدعاء، مثل أن يكون الداعي متوضئاً متطهراً، مستقبلاً القبلة رافعاً يديه، يدعو بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم، ويكرر الدعوة ثلاث مرات، ويدعو الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فإن هذا من أسباب إجابة الدعاء، وأن يحرص على التزام الأدب النبوي في دعائه، وقد سبق أن تكلمت تفصيلاً عن ذلك في محاضرة عنونها: آداب الدعاء، وكانت في مثل هذا الشهر من رمضان في العام الماضي.

وأود أن أشير في موضوع الدعاء، إلى الاعتداء الذي يقع من كثير من الناس في الدعاء خاصة في هذا الوقت:

فمن الناس من يعتدي في إطالة الدعاء بما لا لزوم له، والرسول ﷺ كان يدعو بجوامع الدعاء، فمن الاعتداء: أن يطيل الإنسان في الأدعية ويفصل بما لا لزوم له، فتجد بعض الناس يقول: اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، وأجدادنا وجداتنا، وأخواننا وخالاتنا، وأعمامنا وعماتنا، ثم يبدأ يعدد الأقارب، فإذا انتهى منهم انتقل إلى الجيران، فإذا انتهى منهم انتقل إلى الزملاء، وهكذا. وهذا قد يستغرق عشر دقائق، وكان يستطيع أن يقول اللهم اغفر لنا وإخواننا، ولمعارفنا ولأقاربنا ويكتفي. فهذا التفصيل الذي لا لزوم له هو من الاعتداء في الدعاء.

ومن الاعتداء: أن يدعو الإنسان بإثم أو قطيعة رحم.

ومن الاعتداء: أن يدعو الإنسان بأسماء الله تعالى لم ترد في القرآن ولم ترد عن الرسول ﷺ، مثل قول بعضهم: يا غفران يا سلطان، فإن هذا ليس من أسماء الله جل وعلا.

ومن الاعتداء في الدعاء: المبالغة في رفع الصوت، حيث وجد في هذا العصر مكبرات الصوت، فتجد الداعي يدعو -أحياناً- في شرق البلد فيسمعه من في غربها، وهذا لا يليق، فالداعي يدعو إن كان لنفسه سرّاً قال تعالى: { ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً * إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً } [مريم: ٢-٣] وقال النبي ﷺ: { ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه } فالعبادة كلما كانت سرّاً كانت أقرب للصدق والخشوع والإجابة، فإن كنت تدعو لنفسك فادع سرّاً، أما إن

كنت تدعو لغيرك - كأن تكون إماماً تدعو للناس - فادع وارفع صوتك بقدر ما يسمعه المصلون، أما أن تدعو ويسمعك من بشرق الأرض وغربها، فهذا ليس بجيد، وأخشى أن يكون هذا باباً إلى الرياء والإعجاب بالعمل فينبغي تجنبه والحذر منه.

السبب الخامس: زوال المانع، فإن الله لا يجيب الإنسان الذي يأكل الحرام، كما ورد في صحيح مسلم: {ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب له!} فالذي يأكل الحرام من ربا، أو يأكل أموال اليتامى ظلماً، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو بالغش أو بالهلف الكاذب، أو ما أشبه ذلك فلا يستجاب له.

وكذلك من أعظم موانع استجابة الدعاء: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله تعالى يقول - كما ورد في حديث مروى من طرق -: {يا أيها الناس! مروا بالمعروف واهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيب لكم، وتستنصروني فلا أنصركم، وتسالوني فلا أعطيكم} فإذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يأمرون أنفسهم ولا أولادهم ولا جيرانهم، ولا يأمرون الناس عامة في المجتمع، فإن الله تعالى يجرمهم من إجابة الدعاء.

مع النبي ﷺ في رمضان

الوقفة السابعة عشرة: مع الرسول ﷺ في رمضان:

صيام النبي ﷺ لعاشوراء

وذلك {حين قدم المدينة فوجدهم يصومون عاشوراء، فسأل عن سبب صيامه ف قيل: يوم نجى الله فيه موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فقال: نحن أحق بموسى منهم، فصامه وأمر بصيامه}.

حتى قال جماعة من أهل العلم: إنه كان واجباً، وثبت في صحيح مسلم من حديث الربيع أنها قالت: {كنا نصوم عاشوراء ونصوم صبيانا، حتى يبكي أحدهم على الطعام فنعطيه اللعبة من العهن يلعب بها حتى يكون عند الإفطار، وقد أرسل الرسول ﷺ إلى

القرى التي حول المدينة : من أصبح صائماً فليصم، ومن أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فلما فرض رمضان كان يوم عاشوراء سنة من شاء صامه ومن شاء لم يصمه} .
 وأول ما فرض رمضان كان على التخيير، إن شاء صام وإن شاء أطمع، ثم ألزم الناس بالصيام قال الله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥] وصار الإطعام للشيخ الكبير والمريض، والمرضع والحامل إذا خافتا ومن في حكمهما، لكن كان الإنسان إذا أفطر في المغرب ثم نام العشاء -مثلاً- لا يجوز له أن يأكل، وفي صحيح البخاري أن رجلاً من الأنصار كان يعمل طيلة النهار في مزرعته، فلما جاء الليل قال لزوجته: هل عندك شيء؟

قالت: لا، لكن أذهب أبحث لك، فذهبت تبحث له عن طعام فلما جاءت وجدته نائماً، فقالت له: يا حيية لك! لأنه نام ومعنى ذلك أنه لا يجوز له بعد نومه أن يأكل شيئاً، وكان متعباً، فلما كان في النهار أغمي على هذا الرجل لشدة الجوع والتعب والإعياء، فنزلت الرخصة، وأذن الله تعالى للمسلمين أن يأكلوا ويشربوا حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، واستقرت الشريعة على ذلك.

وكانت فريضة رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وصام النبي ﷺ تسع رمضان، وكان عليه الصلاة والسلام يكثر من العبادة في رمضان، حتى إنه ربما واصل اليومين والثلاثة لا يأكل خلاهما تفرغاً للعبادة، فلما واصل أصحابه قال: {إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقين} وقد تكلم الإمام ابن القيم في زاد المعاد في أول الجزء الثاني عن هذا الحديث، وفصل وبين ما معنى قوله: "يطعمني ويسقيني". بما لا داعي لذكره هاهنا لضيق الوقت، والمقصود أن النبي ﷺ واصل في رمضان ليتفرغ لعبادة ربه، وكان يكثر من قراءة القرآن، كما سبق أنه كان مع جبريل يدارسه القرآن.

من أحواله ﷺ في رمضان

وكان ﷺ إذا أراد أن يفطر يعجل في الإفطار، فيفطر قبل صلاة المغرب ثم يصلي، وكان يؤخر السحور أيضاً، فيتسحر ثم لا يكون بين سحوره وصلاة الفجر إلا وقت يسير.

وسافر النبي ﷺ في شهر رمضان أسفراً، منها سفر لغزوة بدر، ومنها سفر لفتح مكة وغيرها، فرمما صام وربما أفطر في سفره عليه الصلاة والسلام، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: {كنا في سفر، في يوم شديد الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة} وفي السنن عن ابن عباس بسند صحيح، أنه قال: {كان رسول الله ﷺ لا يدع صيام أيام البيض في حضر ولا سفر} وربما أفطر ﷺ في سفره، فكان يفعل هذا تارة وهذا تارة، وأمر أصحابه مرة بالفطر، ولما أصر بعضهم على الصيام قال: {أولئك العصاة أولئك العصاة} كما في صحيح مسلم .

ومما حدث له عليه الصلاة والسلام في رمضان أنه كان يزداد جوده، كما ثبت في حديث ابن عباس كما سبق، ومن الأحكام التي بينها ﷺ بفعله: أنه كان يدركه الفجر وهو جنب ثم يغتسل ويصوم كما ذكرت عائشة .

السواك وأحكامه

الوقف الثامنة عشرة: تتعلق بالسواك.

والسواك مشروع في كل وقت، خاصة في المواضع التي ورد النص عليها، وهي ستة مواضع.

مواضع السواك

أولاً: عند الصلاة.

ثانياً: عند الوضوء.

ثالثاً: عند دخول المنزل.

رابعاً: عند الاستيقاظ من النوم.

خامساً: عند قراءة القرآن.

سادساً: عند تغير رائحة الفم.

مشروعية السواك وأدلته

وأدلة ذلك كثيرة ثابتة في السنة، منها: حديث أبي هريرة في الصحيحين {لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة} وفي لفظ: {عند كل وضوء}.

ومنها: قول عائشة وقد سئلت: {بأي شيء كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك}.

ومنها: قول حذيفة: {أن النبي ﷺ لما قام من الليل كان يشوص فاه بالسواك}.

ومنها: قوله عليه ﷺ: {السواك مطهرة للفم مرضاة للرب} إلى غير ذلك من الأدلة.

فينبغي للمسلم أن يتعاهد السواك في كل وقت، خاصة في هذه الأوقات، قبل الزوال وبعده، فإن القول الصحيح أن السواك مشروع للصائم قبل الزوال وبعده، عند الوضوء والصلاة، وعند دخول المنزل، وعند قراءة القرآن، وما أشبه ذلك، هذا هو القول الراجح، لأن قوله عند كل صلاة وعند كل وضوء؛ يشمل ما قبل الزوال وما بعده.

أما الأحاديث الواردة في المنع كحديث علي: {استاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي} فهو ضعيف، بل هو ضعيف جداً، ومثله: {رأيت النبي ﷺ ما لا يحصى يستاك وهو صائم} فهو ضعيف أيضاً؛ لكن الصحيح أن السواك مشروع للصائم كما هو مشروع لغير الصائم، قبل الزوال وبعد الزوال.

وقت المسلم في رمضان

الوقفة التاسعة عشر: وقت المسلم في رمضان.

ووقت المسلم عموماً ثمين، وفي رمضان خاصة أثن وأعظم، ولذلك فإنني أنبه على بعض النقاط المتعلقة بأوقاتنا في رمضان.

سهر الليل

بعض الناس يسهرون الليل كله وهذا خطأ، ولا بد أن يجعل الإنسان له جزءاً من الليل ينام فيه، لأن نوم الليل لا يقابله شيء من نوم النهار، وساعة أو ساعتين ينامها الإنسان في الليل يعوضان البدن خيراً كثيراً، هذه ملاحظة.

استغلال الوقت في قراءة القرآن

الملاحظة الثانية: ينبغي لكل إنسان أن يستغل وقته في قراءة القرآن.

فإن كان جالساً وقرأ من المصحف فهذا حسن، وإلا قرأ من حفظه وهو ذاهب آيب، في السيارة أو مكان العمل، أو في أي مكان يكون فيه، فينبغي أن يعتنم الإنسان هذه الفرصة ويكثر من تلاوة القرآن وترديده، ويحرص على أن يجتمه -إن أمكن- كل أسبوع، أو كل ثلاثة أيام، أو كل عشرة أيام، وأضعف الإيمان -وأنا أعتبر أن هذا من التفریط- أن لا يجتم الإنسان في رمضان إلا مرة واحدة.

ضرورة تجنب مجالس اللغو

الملاحظة الثالثة: تجنب مجالس اللغو.

فبعض الشباب بعد التراويح، بل ربما لا يصلون التراويح، يخرجون في دورات أو في سهرات، أو يجلسون عند بعضهم، ويتبادلون أطراف الحديث، وربما يكثر عندهم المهرج والمرج، والقيل والقال، وتبادل النكت والضحك، ويبالغون في ذلك، وقد يقعون في الغيبة والنميمة وقول الزور وما أشبه ذلك، وهذا لا يليق بالمسلم عموماً خاصةً في هذا الشهر الكريم، وما بال الإنسان يحصل على شيء من الحسنات ثم يتفرغ بعد ذلك لإتلافها بالمعاصي والموبقات!

رمضان ليس فرصة للعب

ومن الملاحظات: أن بعض الشباب -بل كثير منهم- يعتبرون رمضان فرصةً للهو واللعب، فتجدهم بعد صلاة الفريضة أو بعد صلاة التراويح، يذهبون في مجموعات ليلعبوا الكرة، ويجلسون على ذلك إلى وقت السحور، ويعتبرون أن رمضان إنما يفرح به لهذا، وتجدهم مستعدين بالأنوار الكاشفة وغير ذلك.

وأنا لا أمنع من ذلك إذا كان بالقدر المعقول المعتدل، أما أن يكون ليل الإنسان كله في ذلك، فلا شك أن هذا من الإهمال وتضييع الوقت في أمور لا فائدة منها، ولا شك أن نوم الإنسان أفضل بكثير من ذلك، فضلاً عن أولئك الشباب الذين يسهرون لمشاهدة التلفاز، وقد يكون فيه الغناء والموسيقى، وقد يكون فيه المسلسلات الهادمة للدين والأخلاق، والتي ينبغي للشباب تجنبها.

نوم النهار

من الملاحظات: أن كثيراً من الشباب يقضون سحابة نهارهم في النوم، فإذا كان يسهر في الليل فبعد صلاة الفجر يذهبون للتفحيط بالسيارات، وقد وجدتهم، فبدلاً من أن يجلسوا مع المسلمين في مساجدهم حتى ترتفع الشمس، ثم يصلون ركعتين، فينالون الأجر الثابت عن رسول الله ﷺ في

أحاديث عدة حيث يقول: {من صلى الفجر ثم جلس حتى تطلع الشمس وصلى ركعتين كان كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة} يذهبون فيقضون ما بعد الفجر إلى ارتفاع الشمس في التفحيط والضحك واللعب، ثم إذا ارتفعت الشمس ناموا، حتى يأتي وقت العمل أو وقت الدراسة، فيذهبون مضطرين، ثم يعودون لمواصلة النوم إلى وقت الغروب.

وهذه مشكلة كبيرة ينبغي تلافيتها، فإن الإنسان إذا كان مضطراً إلى أن يقضي جزءاً من نهاره في الدوام، معنى ذلك أنه لا بد أن يخصص جزءاً طيباً من الليل للنوم، حتى يكون نهاره معتدلاً، فيستطيع أن يجلس ويصلي الصلوات مع الجماعة، ويكر إلى المسجد، ويجلس بعض الوقت في النهار ليقراً القرآن وما أشبه ذلك.

وبعض الإخوة ينامون حتى في الدوام، إن كان طالباً فهو ينام في الفصل، وإن كان موظفاً فهو ينام في وقت الدوام، ولا شك أن الراتب الذي أعطي له ليس مقابل نومه على مكتبه؛ وإنما أعطي مرتبه ليخدم المراجعين، ويقوم في مصالح المسلمين، فلا يجوز للإنسان أن يقضي وقت دوامه في النوم.

المرأة في رمضان

الوقفة العشرون: المرأة في رمضان.

المرأة كالرجل في رمضان فهن شقائق الرجال، كما ورد عن النبي ﷺ، وما يقال في الرجل يقال في المرأة، وهي مطالبة كالرجل بقراءة القرآن والصيام والقيام، والنفقة في سبيل الله والدعاء، إلى غير ذلك من الطاعات والقربات، لكن أشير إلى بعض النقاط الخاصة بالمرأة:

الحائض والنفساء في رمضان

فمن ذلك أن الحائض والنفساء لا تصلي ولا تصم، ولكنها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومما يخفى على بعض النساء أن إحداهن قد تستخدم حبوب منع العادة، أو منع الحمل، وهذه - وإن كنت لا أنصح باستخدامها - في كثير من الحالات تكون ضارة بالمرأة، إلا أن بعض النساء تستخدمها رغبةً في الصلاة مع المسلمين والصيام معهم، أو لأنها تريد أن تعتمر، أو لأن عاداتها تختلف وتضطرب في رمضان، فتأتي يوماً وتذهب يوماً،

فتستخدم هذه الحبوب حتى تنتظم العادة وتسلم من الحرج، وربما تظن بعض النساء أنها إذا توقفت عنها العادة بسبب هذه الحبوب فإنها تقضي هذه الأيام فيما بعد، مع أنه لا قضاء عليها، فمادامت قد طهرت ثم صلت وصامت، فإنه لا قضاء عليها.

ضوابط خروج النساء إلى المساجد

وكثير من النساء يرتدن المساجد لصلاة التراويح والقيام، وهذا أمر لا بأس به - وإن كانت صلاحتهما في بيتها أفضل - لكن إذا جاءت إلى المسجد لأنها تنشط، أو لأنها لا تقرأ القرآن جيداً، أو لأنها تستعين بالجماعة على القيام فلا بأس بذلك، ولكن يجب أن تأتي بالصفة الشرعية، فلا يجوز أن تخرج المرأة متعطرة متطيبة متزينة، ولا أن تخضع بالقول أو ترفع صوتها، أو تؤذي الناس بشيء من ذلك، وبعض النساء تتبخر في بعض المساجد، وهذا من الطيب الذي نهى عنه الرسول ﷺ. كما أن رفع النساء لأصواتهن في المساجد أمر مذموم، وقد يتأذى به الرجال ويسمعونه في كثير من المساجد.

وفُرصة وجود المرأة في المسجد فرصة نادرة، ينبغي أن يستثمرها الأئمة والمحدثون في الكلام عن موضوعات تخص المرأة، في أحكام، وآداب، وتوجيه، وترغيب، وترهيب، فإن النساء قل ما تصل إليهن الموعظة، وخروجهن في رمضان أمر معروف مستقر، فينبغي استثماره بالحديث في موضوعات تخص المرأة وتعلق بها، وأن يوجه الحديث إلى النساء على الأقل في بعض الأيام.

عدم الغفلة عن الصبيان

وينبغي عدم الغفلة عن الصبيان، فإن المرأة إذا ذهبت تصلي قد تغفل عن أطفالها، فقد تصيبهم آفة دنيوية من خطف لا قدر الله أو غير ذلك، وقد يضررونه، وربما يكون لعب الأطفال بعضهم مع بعض، وبينهم ناس كبار في سن الخامسة أو السادسة عشرة، وربما العشرين أحياناً، وهذه قد تكون فرصة لبعض الخبثاء، فيروجون المخدرات ويدربون هؤلاء عليها، أو على التدخين، أو على بعض العادات السيئة، أو على اللواط أو غير ذلك، فمن الخطأ أن تشتغل المرأة أو الرجل بنافلة، ويغفلون عن فريضة وواجب في رعاية أطفالهم.

الغيبة والحذر منها

من الأخطاء التي ينبغي أن تحذر المرأة منها عموماً وفي رمضان خصوصاً: الغيبة، فإن الغيبة ذنب عظيم، بل ذكر القرطبي أن الإجماع قائم على أنها من كبائر الذنوب، قال الله عز وجل: {وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات: ١٢].

العمرة في رمضان

الوقفة الحادية والعشرون: العمرة وفضلها.

العمرة كفارة

والعمرة كفارة، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة}. فنص عليه الصلاة والسلام على أن العمرة كفارة لما قبلها من الذنوب، حتى العمرة الأخرى التي تليها، وهذا عام في كل عمرة سواء أكانت في رمضان أم في غيره.

العمرة في رمضان

أما العمرة في رمضان فلها شأن آخر، روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لأم سنان -وهي امرأة من الأنصار لقيها النبي ﷺ بعد حجة الوداع- فقال لها: {يا أم سنان، ما منعك أن تحجي معنا؟ قالت: يا رسول الله! أبو سنان -زوجها- له ناضحان -بعيران- حج على أحدهما والآخر نستقي عليه. -فاعتذرت من عدم حجها مع النبي ﷺ، بعدم وجود الراحلة التي نقلها إلى بيت الله الحرام- فقال لها النبي ﷺ: فإذا كان رمضان فاعتمري، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة. أو قال حجةً معي}.

وفي هذا من الفضل ما فيه، فإن ظاهر النص يدل على أن من اعتمر في رمضان يتغى ما عند الله، كأنما حج مع رسول الله ﷺ، ووقف معه بعرفة، وبات معه بمزدلفة،

وأفاض معه إلى مني ، وطاف وسعى معه، وهذا فضل عظيم لا يقدر قدره إلا الله جل وعلا.

ملاحظات في موضوع العمرة في رمضان

يلاحظ على سلوك الناس في موضوع العمرة في رمضان ملاحظ عديدة، منها:

الأولى: أن بعض الناس -خاصة من الموظفين- يأخذون ما يسمى بالإجازة الاضطرارية للذهاب إلى مكة ، وهذا لا يجوز، فإن الإجازة الاضطرارية -في حسب أنظمة الموظفين- إنما تمنح للموظف في حالة اضطرار، مثل حالة وفاة لقريب، أو ما أشبه ذلك، أما أن يأخذها في أمر ليس بضرورة، مثل أن يأخذها ليعتمر فهذا ظاهره أنه محرم.

الملاحظة الثانية: أن كثيراً من الناس يسافرون بنساء دون محارم، فقد تسافر المرأة مع غير ذي محرم، ومما عمت به البلوى في هذا الزمن خاصة: أن كثيراً من الأسر يسافرون بخادمتهم وهن بدون محرم، فالخادمة جاءت من بلدها من أقصى الدنيا بدون محرم، وتسافر -أيضاً- إلى بيت الله الحرام، بدون محرم وهذا لا يجوز.

ولذلك قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه : باب حج النساء ثم ساق فيه حديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: { لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها أحد إلا ومعها ذو محرم }.

فكل شيء يسمى سفر لا يجوز للمرأة أن تركبه إلا مع ذي محرم، هذا في الحالات العادية. وقال رجل عند رسول الله ﷺ : يا رسول الله! إن امرأتي انطلقت حاجَةً، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا -أي سَفَر زوجته للحج بدون محرم وذهب للجهاد- فقال له النبي ﷺ : { انطلق فحج مع امرأتك } اترك الجهاد، واذهب لتصحب امرأتك في حجها.

ثم ساق البخاري رحمه الله -أيضاً- حديث أبي سعيد الخدري ، وهو في مسلم -أيضاً- أنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ أربع كلمات فأعجبني وأنقني:

الأولى: { لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا مع ذي محرم }.

والثانية: { لا صوم في يومين يوم الفطر ويوم الأضحى }.

والثالثة: { لا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس }.

والرابعة: { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى }.

والشاهد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قول النبي ﷺ: { لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا مع ذي محرم } وجاء التقييد بيومين.

وفي حديث ابن عباس جاء مطلقاً: { لا تسافر المرأة } فكل ما سمي سفراً، ورخص للإنسان فيه برخصة السفر من القصر والفطر وغيرهما، فإنه لا يجوز للمرأة أن تركبه إلا ومعها ذو محرم. ولذلك فإن من الخطأ أن يسافر الإنسان بأجنبية عنه، سواء أكانت بنت عم له أم من الجيران أم كانت خادمة عنده في بيته.

الملاحظة الثالثة: من الأخطاء التي يقع فيها الناس في موضوع العمرة: إهمالهم لأهليهم. فبعض الناس يسافرون ويتركون أولادهم؛ فقد يسافر الأب والأم، والأولاد بحكم أنهم يدرسون في المدرسة لا يذهبون، فييقون نصف رمضان أو أكثر من ذلك في بلدهم، بدون رقابة عليهم، وقد يكونون من صغار السن، أو المراهقين، وممن يُخشى أن تحدث منهم الحوادث، وهذا من الخطأ يقول النبي: { كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول } فتذهب وتتغي ما عند الله، وتضيع من ولاك الله أمرهم من الصبية ذكوراً وإناثاً، أو من الشباب المراهقين الذين لا تؤمن غوائلهم وأخطاؤهم، وقد يستفزههم الشيطان، وقد يستجرهم قرناء السوء إلى ما لا تحمد عقباه.

ويحدث الخطأ بصورة أخرى، وهي أن الكثير يسافرون بأهليهم إلى مكة، ثم يعتكف الأب في الحرم، أو يقضي غالب وقته في الحرم، ما بين قيام وصلاة ونوم، ويترك الحبل على الغارب لأولاده وبناته، ولذلك رأينا ورأى غيرنا في البيت العتيق، وفي المسجد الحرام، وفي أطهر بقعة على وجه الأرض، من مظاهر التبرج والتفسخ وتضييع البنات الشيء الذي يندى له الجبين وهي أمور محزنة. والواقع أنني قد نبهت على هذا في أكثر من مناسبة؛ لكنني أرى ضرورة التركيز على هذا الأمر، لأنه قد عمت به البلوى في كثير من الأسر المعروفة، التي فيها دين وحياء ومراقبة، ومع ذلك تجدهم يسافرون ببناتهم ثم يتركونهن هناك بلا مراقبة.

والذي يجب على الأب والأم - إذا ذهبوا بأولادهم وبناتهم - أن يراقبوهم جيداً ويتابعوهم، فإذا كانوا عاجزين عن ذلك فلا معنى لذهابهم بهم إلى الحرم، حيث يكون هناك مجالات كثيرة

لاختلاط الرجال بالنساء، وخروج المرأة بكافة الحجج، فتخرج بحجة الذهاب للحرم، وتخرج للسوق أو لتأني بالطعام، أو إلى الشقة، وتخرج إلى مناسبات عديدة.

فإذا كان الأب رجلاً يستطيع أن يحافظ على أولاده وبناته فحبذا، ولا شك أن في الذهاب بهم إلى هناك فائدة وتربية وخير، فهو بلد طيب مبارك ووقت طيب مبارك، تضاعف فيه الحسنات، فهذا أمر محمود، لكن إن كان عاجزاً عن رعايتهم وحياتهم ومراقبتهم وضبط تصرفاتهم، فليبق حيث هو في بلده ولا داعي لأن يتسبب لنفسه ولغيره بالضرر العظيم.

الملاحظة الرابعة: من الملاحظات التي تلحظ في موضوع العمرة: أن كثيراً من الناس خاصة الأئمة، ومن يكونون مرابطين على الثغور في الأمر والنهي والتوجيه والإصلاح والإمامة والحديث؛ يتركون أعمالهم ويذهبون إلى هناك، حيث يعتمرون وقيمون في العشر الأواخر.

ولا شك أن من كان مرتبطاً بإمامة أو حديث أو وعظ، أو وظيفة يحتاج إليها المسلمون؛ فإن الأولى في حقه -بل الأوجب عليه- أن يبقى حيث هو وفي ذلك من الخير ما فيه، فإن احتاج ذهب إلى العمرة على السيارة أو الطائرة يوماً أو يومين، ثم يعتمر ويدعو ثم يعود إلى محله الذي هو فيه.

فإنه من غير المناسب أن تخلو المساجد أو المرافق من الوعاظ والمرشدين والمحدثين والأئمة، وهذا يحدث في أفضل الأوقات وهي أوقات العشر، فإذا أحب الإنسان أن يعتمر ويدرك الفضيلة؛ فبإمكانه أن يذهب يوماً أو يومين فيعتمر ويعود إلى عمله، الذي كان فيه.

وقفه مع الاعتكاف

الوقفه الثانية والعشرون حول الاعتكاف.

والاعتكاف هو لزوم مسجد بنية مخصوصة لطاعة الله تعالى، وهو مشروع مستحب مسنون باتفاق أهل العلم.

حكم الاعتكاف وإهمال الناس له

قال الإمام أحمد فيما رواه عنه أبو داود: لا أعلم أحداً من العلماء إلا قال إنه مسنون. يعني الاعتكاف.

وقد نقل عن الإمام مالك أنه قال: تأملت أمر الاعتكاف وما ورد فيه، وكيف أن المسلمين تركوه، مع أن النبي ﷺ لم يكن يتركه، فرأيت أنهم إنما تركوه لمشقة ذلك عليهم -أي أن فيه مشقة- قال مالك: ولم أعلم عن أحداً من السلف أنه اعتكف إلا عن أبي بكر بن عبد الرحمن.

وما قاله الإمام مالك متعقب؛ فإنه نقل عن جماعات من السلف أنهم كانوا يعتكفون، ومن ذلك أمهات المؤمنين كما سوف يأتي. ولذلك قال الزهري رحمه الله: عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل.

سر الاعتكاف

والاعتكاف فيه سر عظيم من أسرار العبادة، وذلك لأن المدار في حياة الإنسان وأعماله على القلب، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: {ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله}.

وأكثر ما يفسد القلب هي الشواغل والملهيات التي تلهيه عن الإقبال على الله عز وجل؛ كالاشتغال بالطعام والشراب والشهوات، وفضول الكلام وفضول النوم وفضول الصحبة، وغير ذلك من الأمور الضارة التي تصرف القلب عن الإقبال على الله عز وجل، وتفرقه وتشتته حتى لا يكاد يلتم ويجمع على عبادة أو طاعة.

سر الربط بين الصيام والاعتكاف

وشرع الله تعالى الصيام حتى يتخلص القلب ويتخفف من فضول الطعام والشراب والشهوة؛ لأن الإنسان في نهار رمضان يمتنع عن الأكل والشرب والجماع من الفجر إلى غروب الشمس، وهذا امتناع معتدل ليس فيه ما في الأديان الأخرى والمذاهب الأرضية الباطلة من الغلو، كما يفعل بعضهم فيصومون شهراً كاملاً، وبعضهم يجورون على الجسد فيمنعونه الأكل والشراب والنوم والطعام على مدى أيام وربما شهور، وبعضهم

قد يدفنونه في الأرض فيجورون على أجسادهم، فليس هذا في الإسلام بل فيه حمية معتدلة، هذا بالنسبة للصيام.

ثم شرع الله تعالى الاعتكاف؛ حتى يتخلص الجسد والقلب من فضول صحبة الناس التي لا خير فيها، والتي قد تزيد فتصبح مثل ما إذا أصيب الإنسان بالتخمة من كثرة الطعام والشراب، ولذلك قال الشاعر:

عدوك في صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

فكما أن الإنسان إذا أكثر من الطعام والشراب أصيب بالتخمة، كذلك إذا أكثر من الصحبة والمجالسة والاختلاط بالناس أصيب بالتخمة من جراء ذلك، فمرض القلب واعتل، فكان الاعتكاف حمية للقلب من كثرة الصحبة والاختلاط بالناس.

ثم فيه حمية -أيضاً- من كثرة الكلام، لأن الإنسان غالباً ما يعتكف بمفرده، فيقبل على الله تعالى بالصيام والقيام وقراءة القرآن وما أشبه ذلك.

وكذلك فيه حمية من كثرة النوم، فإن الإنسان إنما اعتكف ليعبد الله تعالى، ولم يعتكف حتى ينام في المسجد، فيكون في ذلك من الإقبال واجتماع القلب على الله تعالى ما ليس في غيره.

ولذلك استحب السلف الجمع بين الصيام والاعتكاف، حتى قال ابن القيم رحمه الله: إن جمهور السلف على أنه لا اعتكاف إلا بصوم.

بل صح هذا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **[[لا اعتكاف إلا بصوم]]** فرأوا أن الاعتكاف لا يصح إلا بالصيام، وهذا مذهب جماعة من الأئمة؛ وذلك حتى يجمع للإنسان بين الصيام وبين الاعتكاف فيحصل فضائل هذا وفضائل ذاك.

وقال الإمام ابن القيم: إنه لم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه اعتكف إلا وهو صائم.

وهذا الذي قاله رحمه الله فيه بعض النظر كما سيأتي. فقد نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في شوال، ولم يثبت أنه كان صائماً في هذه الأيام التي اعتكفها، ولا أنه غير صائم، فالأمر على ذلك غير ظاهر.

ولكن الأصح أن يقال: يستحب للإنسان ألا يعتكف إلا بصيام.

هذه إشارة إلى بعض حكمة مشروعية الاعتكاف وجمع الصيام معه، كما هو مذهب جماهير السلف كما نقله ابن القيم، وثبت عن عمر وابن عباس وعائشة رضی الله عنهم، وبه قال مالك والأوزاعي والإمام أبو حنيفة، واختلف النقل في ذلك عن الإمام أحمد والشافعي.

إطالة على النبي ﷺ في معتكفه

إذا: النبي ﷺ اعتكف؛ ولذلك يجدر بنا أن نطل إطالة سريعة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في معتكفه، فهذا رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان يلتمس ليلة القدر، ثم اعتكف العشر الأوسط من رمضان، فلما خرج الناس من معتكفهم قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب بهم، وقال: {إني أريت ليلة القدر في العشر الأواخر، وإني أريت صبيحتها كأني أسجد على ماء وطين، فمن كان معتكفاً معي فليرجع إلى معتكفه}.

والحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري، فرجع الناس إلى معتكفهم -أي: اعتكفوا عشرة أيام أخرى، وهي العشر الأواخر من رمضان-.

قال أبو سعيد: وما نرى في السماء من قرعة حتى كان تلك الليلة، فجاءت سحابة فأمطرت، وكان سقف المسجد من جريد النخل، فسال سقف المسجد، قال: ورأيت رسول الله ﷺ سجد على ماء وطين، والتفت إلينا وإن أثر الطين على جبهته وأنفه - عليه الصلاة والسلام- فتحقت نبوءته ﷺ بذلك، وتبين أن تلك الليلة كانت ليلة القدر، وكانت ليلة إحدى وعشرين، فاعتكف صلى الله عليه وسلم العشر الأواخر من

رمضان، ثم حافظ بعد ذلك على الاعتكاف في العشر الأواخر، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: { كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده }.

وفي العام الذي قبض فيه ﷺ اعتكف -أيضاً- عشرين يوماً، أي: اعتكف العشر الأوسط مع العشر الأواخر، وذلك لأسباب:

منها -والله تعالى أعلم-: أن جبريل عارضه القرآن في تلك السنة مرتين -كما سبق- فناسب أن يعتكف النبي ﷺ عشرين يوماً حتى يتمكن من معارضة جبريل بالقرآن كله مرتين.

ومنها: أن في ذلك مضاعفة العمل الصالح؛ حينما أحس عليه الصلاة والسلام بقرب أجله ودنو وفاته؛ ولهذا قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر: ١-٣] فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكثُر من التسبيح والاستغفار في آخر عمره.

وهكذا كان يفعل ﷺ، يكثُر من أن يقول في ركوعه، وسجوده: { سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي } يتأول القرآن عليه الصلاة والسلام، فاعتكف عشرين يوماً في السنة التي قبض فيها صلى الله عليه وسلم، لمناسبة قرب وفاته ليضاعف العمل الصالح. وقد يكون من أسرار مضاعفة اعتكافه: أن يكون ذلك شكراً لله عز وجل على ما أنعم به عليه من هذه الأعمال الصالحة؛ من الجهاد والتعليم، والصيام والقيام وإنزال القرآن، وغير ذلك من الأعمال التي امتن الله تبارك وتعالى بها عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من الأيام التي يريد أن يعتكفها، فإذا أراد أن يعتكف العشر الأوسط -مثلاً- دخل المعتكف قبل غروب

الشمس من ليلة الحادي عشر، وإذا أراد أن يعتكف العشر الأواخر دخل قبل غروب الشمس من ليلة الحادي والعشرين.

وذلك لأن العشر الأواخر تبدأ من غروب شمس يوم عشرين، أما ما ثبت عنه في الصحيح: { أنه ﷺ صلى الفجر ثم دخل معتكفه } فإنما المقصود أنه دخل المكان الخاص في المسجد حيث كان يعتكف في غرفة، كما ورد أنه اعتكف في مكان خاص، -في قبة تركية كما جاء في بعض الروايات- فكان يدخل هذا المكان الخاص، وإلا فقد كان في المسجد منذ غروب الشمس.

ومن طريف ما وقع للنبي ﷺ وهو في المعتكف ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها { أن النبي ﷺ كان يخرج رأسه إليها وهي في المسجد، وهو في الغرفة فترجله، وتسرحه، وتغسله، وهو معتكف ﷺ } وهي كانت حائضاً.

فكان ﷺ يتكئ كما في مسند أحمد على باب غرفتها، ثم يخرج رأسه إليها فترجله، وهذا دليل على أن إخراج المعتكف بعض جسده لا يضر، وليس كإخراج الكل، فلو أن إنساناً حلف أنه لا يخرج من هذا المسجد فأخرج يده، أو رأسه، أو رجله فإنه لا يعد خارجاً.

ومثله المعتكف، لو أخرج يده أو رجله أو رأسه، فإن هذا لا يضر، وكذلك الحائض لو أدخلت يدها أو رجلها أو رأسها في المسجد لم يكن ذلك ممنوعاً ولا حرج عليها في ذلك؛ لأن هذا لا يعد دخولاً ولا خروجاً.

ومن فوائد هذا الحديث أن المعتكف لا حرج عليه من أن يتنظف، ويتطيب، ويغسل رأسه، ويسرحه، وينظفه، وهكذا فعل ﷺ فإن هذا لا ينافي الاعتكاف.

ومن طريف ما وقع له ﷺ وهو في معتكفه، { أنه خرج يوماً ليعتكف كما في صحيح البخاري فلما أن أراد أن يعتكف رأى ﷺ الخيام منصوبة في المسجد -أخبية منصوبة- هذا خباء حفصة، وهذا خباء عائشة، وهذا خباء زينب، فتعجب ﷺ وترك

الاعتكاف، وقال لأصحابه: ألبر أردن بهذا؟! أي: هل تظنون أن ذلك من أجل البر، -
لا- إنما فعلنه من أجل الغيرة وحرصاً على القرب من رسول الله ﷺ }.

وذلك لأن عائشة استأذنت -أولاً- فأذن لها، ثم استأذنت حفصة فأذن لها، ثم فعلت زينب فلما خرج رسول الله ﷺ ورأى هذه الأخبية منصوبة، وفيها ما فيها من تضيق المسجد، وفيها ما فيها من المنافسة، كره ذلك ﷺ وأمر بهذه الأخبية فقوضت ثم ترك الاعتكاف ﷺ، فلم يعتكف تلك السنة، فلما كان في شوال اعتكف عشرة أيام، والأظهر والله أعلم أنه اعتكف عشرة أيام من بعد يوم العيد أي: تبدأ من الثاني من شوال. هذا هو الأقرب، ويحتمل أنه اعتكف من يوم العيد، وإذا صح أنه اعتكف من يوم العيد فهذا دليل على أن الاعتكاف لا يشترط معه الصيام؛ لأن يوم العيد لا يصام؛ لكن لا يلزم أن يكون يوم العيد من ضمن أيام الاعتكاف.

ومن طرائف ما وقع لرسول الله ﷺ وهو في معتكفه ما رواه الشيخان عن صفية { أنها جاءت للنبي ﷺ وهو في معتكفه ليلةً فجلست تتحدث معه ساعة، ثم قامت تنقلب إلى بيتها، فقام معها ﷺ ليقبها -أي: ربما يؤنسها، أو يزيل وحشتها في الطريق- حتى إذا وكان عند باب المسجد أي عند باب أم سلمة، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعوا.

فقال لهما النبي ﷺ على رسلكما أو على هنتكما، أرفقا إني صافية .

فقالا: سبحان الله! يا رسول الله، وكبر ذلك عليهما، وفي رواية أنهما قالا: أو فيك نظن يا رسول الله، أو فيك يشك يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، -يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم يعني في عروق الإنسان إلى القلب كالدم- إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً { قال مسلم : شراً.

فمن شدة حرصه ﷺ على صدق إيمان هذين الصحابين الأنصارين، وخشيته أن يزيغاً بأن يلقي الشيطان في قلوبهما شراً، فيشكا فيكون ذلك كفراً، أو يشتغلاً بدفع هذه

الوسوسة رأى ﷺ أنه لا حاجة لذلك أصلاً، وأنه لا مانع من كشف الموضوع، فقال لهما: إنها صفة بنت حبي، وهي زوج النبي ﷺ.

وفي هذا الحديث من الدروس الشيء الكثير؛ لكن لا أود أن أقف عندها؛ لأنها دروس خارج موضوع الاعتكاف، وخارج موضوع الصيام.

مكان الاعتكاف

ومما يتعلق بموضوع الاعتكاف أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجد النبي ﷺ.

والصواب أن الاعتكاف جائز في كل مسجد يصلى فيه، ويستحب أن يكون في المسجد الجامع؛ حتى لا يحتاج إلى الخروج إلى الجمعة.

فإن اعتكف في مسجد غير جامع فإنه يخرج ليصلي الجمعة ثم يعود؛ وذلك لقول الله عز وجل: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧] فدل ذلك على أن الاعتكاف في كل مسجد جائز، إذا كان مسجداً تصلى فيه الفروض الخمسة، فإن كان جامعاً فهو أفضل.

أما حديث {لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة} فعلى القول بصحته فإنه مؤول على أن أكمل ما يكون الاعتكاف وأفضل وأوفى ما يكون في هذه المساجد، هذا ما قاله أهل العلم.

وقد انقدح في ذهني تأويل آخر للحديث - وهو في ظني حسن - وهو أن معنى الحديث، أن من نذر أن يعتكف في مسجد يسافر إليه فإنه لا يسافر، إلا أن يكون نذر الاعتكاف في المساجد الثلاثة، فإن الإنسان إذا نذر أن يعتكف في المسجد الحرام - مثلاً - وجب عليه الوفاء باعتكافه، فيعتكف في المسجد الحرام.

ولكن لو نذر مثلاً أن يعتكف في مسجد النبي ﷺ فإنه يجوز له أن يعتكف في مسجد النبي ﷺ، ويجوز له أن يعتكف في المسجد الحرام؛ لأنه أفضل ومن باب الأولى، ولو نذر أن يعتكف في المسجد الأقصى - فك الله أسره وطهره من رجس اليهود الغادرين الخائنين - جاز له أن يسافر إلى المسجد الأقصى ليعتكف فيه، وجاز له أن يسافر إلى مسجد المدينة، وإلى مسجد مكة، ليعتكف فيهما، لأنهما أفضل من المسجد الأقصى.

لكن لو فرض -مثلاً- أنه نذر أن يعتكف في مسجد جواثا، وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة خارج المدينة وهو بالبحرين بالأحساء والمسجد معروف الآن، فهل يجوز أن يسافر إلى مسجد جواثا ليعتكف فيه؟

لا يجوز أن يسافر ويشد الرحل إليه، لكن يجوز له أن يعوض عن ذلك بأن يعتكف في مسجد من مساجد بلده، أو يسافر إلى أحد المساجد الثلاثة.

فيكون قوله عليه الصلاة والسلام: { لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة } أي: لا اعتكاف ينذر ويسافر إليه؛ ولذلك فإن الأئمة مجمعون خاصة الأئمة الأربعة، على أنه يعتكف في أي مسجد من المساجد الجوامع، ولا يلزم الاعتكاف في هذه المساجد الثلاثة.

ولم يقل أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة أحد من الأئمة المعروفين المتبوعين، لا الأربعة، ولا العشرة، ولا غيرهم، إنما نقل هذا عن حذيفة رضي الله عنه، وواحد أو اثنين من السلف.

ومن الملاحظات: في موضوع الاعتكاف، أن بعض الناس يعتبرون الاعتكاف فرصة للخلوة ببعض أصحابهم وأحبابهم، وتبادل أطراف الحديث، وكون مجموعة يعتكفون في مسجد، هذا لا حرج فيه؛ بل إن النبي ﷺ اعتكف، واعتكف معه أزواجه، حتى إن إحدى أمهات المؤمنين اعتكفت مع

رسول الله ﷺ وكانت مستحاضة؛ حتى كانت ترى الدم وهي في المسجد.

إذاً: فلا حرج أن يعتكف الإنسان مع صاحبه، أو قريبه أو حبيبه أو صديقه؛ لكن الحرج أن يكون الاعتكاف فرصة للأحاديث، والسمر، والسهر، والقيام والقال وما أشبه ذلك.

ولهذا قال الإمام ابن القيم بعدما تكلم عن الاعتكاف وما يفعله بعض الناس، وما يتوسعون فيه من الكلام وغيره قال: فهذا لون، واعتكاف رسول الله ﷺ لون آخر، -أي: مختلف تماماً عن اعتكاف هؤلاء-.

ومن الملاحظات: أن بعض الناس يعتكفون ويتركون أعمالهم وواجباتهم، وبعضهم قد يترك عمله الوظيفي الذي كلف به وألزم به، ويذهب ليعتكف.

وليس من العدل أن يترك الإنسان واجباً ليفعل السنة، ولذلك يقال لمن اعتكف وترك عمله الوظيفي، إنه يجب عليه أن يقطع الاعتكاف، ويعود إلى عمله الذي ترك.

العشر الأواخر من رمضان

الوقفة الثالثة والعشرون: مع العشر الأواخر.

وبادرنا بهذه الوقفة لأن هذا هو الدرس الأخير ضمن هذه الدروس في هذا الشهر - إن شاء الله -.

اجتهاد النبي ﷺ في العشر الأواخر

كان ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره من العبادة، ومن ذلك أنه كان يعتكف فيها - كما سبق - وكان عليه الصلاة والسلام يتحرى فيها ليلة القدر، ولذلك جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ { كان إذا دخل العشر شد المتزر، وأحيا ليله، وأيقظ أهله } وزاد مسلم : { كان إذا دخل العشر جدًّا وشدَّ المتزر } . فقولها: " شد المتزر " قيل: هو كناية عن التشمير للعبادة، وقيل: كناية عن اعتزال النساء، وهذا هو الأقرب أن معنى قولها: شد المتزر، كنايةً عن أنه لا يجامع النساء في العشر الأواخر من رمضان، بل يعتزل أزواجه ﷺ .

وهذه كناية معروفة عند العرب قال الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

فمعنى شد المتزر أنه لا يحل إزاره لجماع نسائه، وذلك لأنه كان يعتكف في العشر كما هو معروف.

وكان يجتهد في العبادة، ولذلك قالت عائشة : { شد المتزر وأحيا ليله } وهذا أيضاً كناية عن طول القيام والعبادة بالليل، وأنه كان يقوم الليل كله ﷺ .
فإما أن يكون المعنى أنه كان يقوم الليل كله من أوله إلى آخره، وإما أن يكون المعنى أنه يقوم معظم الليل.

ولذلك جاء في حديثها الآخر في الصحيح: { ما علمت رسول الله ﷺ صام شهراً كاملاً غير رمضان، ولا قام ليلةً كاملة حتى الصباح } فيحمل قولها: { وأحيا ليله } على أنه يقوم أغلب الليل، ومن المعروف أنه يتخلل ذلك العشاء، والسحور، ويتخلل ذلك أشياء مما اعتيد أنه كان يفعلها صلى الله عليه وسلم، فيكون قولها أحيا ليله، أي أغلب ليله.

نصيحته لأهل بيته ﷺ

{ وأيقظ أهله } أي: يوقظ أزواجه عليه الصلاة والسلام للقيام، ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في سائر السنة؛ لكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل.

ولهذا جاء كما في صحيح البخاري ، أن النبي ﷺ استيقظ ليلةً، فصلّى ثم قال: { من يوقظ صواحب الحجرات، يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة }.

وكذلك { كان يوقظ عائشة إذا أراد أن يوتر عليه الصلاة والسلام } لكن في العشر الأواخر كان يوقظهم أكثر وأطول مما كان يوقظهم في بقية الشهر والليالي.

وقفه مع ليلة القدر

الوقفه الرابعة والعشرون: ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر!

ليلة مباركة

فهي الليلة المباركة المذكورة في كتاب الله عز وجل، يقول الله تبارك وتعالى: { حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الدخان: ٢-٦].

فسمها الله عز وجل الليلة المباركة: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ } [الدخان: ٣] وفيها أنزل القرآن، وقد صح هذا المعنى عن جماعة من السلف ، منهم ابن عباس ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وغيرهم من علماء السلف ومفسريهم، قالوا إن الليلة المباركة هي ليلة القدر.

(فيها يفرق كل أمر حكيم)

قال الله: { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان: ٤] أي أنه تقدر في ليلة القدر مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والحاج والداج، والعزير والذليل، ويكتب فيها الجذب والقحط وكل ما أراده الله تبارك وتعالى في تلك السنة، والظاهر -والله تبارك وتعالى أعلم- أنه

ينقل ذلك في ليلة القدر من اللوح المحفوظ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: [[إن الرجل يرى يفرش الفرش ويزرع الزرع وإنه لفي الأموات]] أي: أنه كتب في ليلة القدر من الأموات.

ففيها يفرق كل أمر حكيم، أي يكتب ويفصل، وقيل: إن المعنى أنه يبين في هذه الليلة للملائكة.

سميت بليلة القدر

وقال الله عز وجل عنها في السورة الخاصة بها: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١-٥].

فسمّاها الله تبارك وتعالى ليلة القدر، وذلك لعظيم قدرها، وجلالة مكانتها عند الله عز وجل، وكثرة مغفرة الذنوب، وستر العيوب في هذه الليلة المباركة.

وقيل سميت ليلة القدر لأنه يقدر فيها وتكتب فيها المقادير.

وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت ليلة القدر، لأن الأرض تضيق بكثرة الملائكة، من القدر وهو التضيق قال الله: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ} [الفجر: ١٦] أي: ضيق.

وقال الله عز وجل تنويهاً بشأنها وعظمتها: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} [القدر: ٢] ثم أخبر عنها بأنها خير من ألف شهر، أي: ثلاثة وثمانين سنة {تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٤-٥].

تحديد ليلة القدر

وفي ليلة القدر وقفات وعبر، منها: أنها ليلة المغفرة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}.

ويستحب تحريها في رمضان وفي العشر الأواخر منه خاصة، كما قال رسول الله ﷺ: {التمسوها في العشر الأواخر} متفق عليه.

وثبت هذا من حديث عبد الله بن عمر وأبي سعيد وبالذات في أوتار العشر الأواخر، وهي ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، كما ثبت في المتفق عليه، أن النبي ﷺ قال: {التمسوها في العشر الأواخر في الوتر منها}.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه -وهو في الصحيح أيضاً- قال: {في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى} فبين عليه الصلاة والسلام أنها أرجى ما تكون في الأوتار من العشر الأواخر.

وكذلك جاء في البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خرج ليخبر أصحابه بليلة القدر فقال لهم: {إني خرجت لأخبركم ليلة القدر فتلاحا رجلان فأنسيتهما} -أي: تخاصم رجلان، وهذا يدل على شؤم الخصومة في غير حق، خاصة الخصومة في الدين، وعظيم ضررها، وأنها السبب في غياب الحق وخفائه على الناس- فقال عليه الصلاة والسلام: وعسى أن يكون خيراً، ثم أمر أن يلتمسوها في ليلة تسع وعشرين، وسبع وعشرين، وخمس وعشرين}.

وأرجى ما تكون أيضاً في السبع البواقي، ولذلك جاء في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ ، أو أن جماعة من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في السبع الأواخر، فقال النبي ﷺ : {أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر}.

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: {أرى رؤياكم قد تواطأت} أي اتفقت، فكأنهم قد رأوها في المنام إما جاءهم أحد وقال لهم: إنها في السبع الأواخر، أو رأوا في المنام أن ليلة

القدر تكون في السبع الأواخر، فأمر النبي ﷺ بتحريها في هذه السبع الأواخر، وبالذات في ليلة سبع وعشرين، فإنها أرجى ما تكون.

بل جاء عن النبي ﷺ ، من حديث ابن عمر عند أحمد ، ومن حديث معاوية عند أبي داود ، أن النبي ﷺ قال: {ليلة القدر ليلة سبع وعشرين}.

وليلة القدر أرجى ما تكون ليلة سبع وعشرين للحديثين السابقين؛ ولأن هذا مذهب أكثر الصحابة وجمهور العلماء، حتى إن أبي بن كعب رضي الله عنه، كان يحلف على ذلك كما في صحيح مسلم : [[يخلف أنها ليلة سبع وعشرين]] وكذلك ابن عباس رضي الله عنه قال: [[إنها ليلة سبع وعشرين]] واستنبط ذلك من استنباطات عجيبة، منها: أن كلمة (فيها) من السورة {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر: ٤] هي الكلمة السابعة والعشرين.

ومنها: ما ورد أن عمر رضي الله عنه، لما جمع الصحابة وجمع ابن عباس معهم، فقالوا: لعمر رضي الله عنه هذا كأحد أبنائنا فلماذا تجعله معنا؟ فقال: إنه فتى له قلب عقول ولسان سؤول، وأثنى عليه ثم سأل الصحابة عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر، فقال ابن عباس : [[إني لأعلم أين هي إنها ليلة سبع وعشرين. فقال عمر : وما أدراك؟

قال: إن الله تعالى خلق السموات سبعا، وخلق الأرضين سبعا، وجعل الأيام سبعة، وخلق الإنسان من سبع، وجعل الطواف سبعا والسعي سبعا ورمي الجمار سبعا]].
ولذلك رأى ابن عباس أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، وكأن هذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه.

وبعض العلماء قالوا: ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، لأن كلمة ليلة القدر تسعة حروف، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، والنتيجة ثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين، ولم يرد دليل شرعي على أن مثل هذه الحسابات يمكن أن يعرف بها ليلة القدر.

وهذا يذكرني بما يتحدث به بعض المعاصرين، هما يسمونه بالإعجاز العددي. وخلاصة القول أن نقول: ليلة القدر هي في العشر الأواخر وفي أوتارها وفي السبع البواقى، وأرجى ما تكون في ليلة سبع وعشرين، دون حاجة إلى مثل هذه الحسابات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومما يرحح أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين: أنه ورد أن النبي ﷺ أريها في تلك الليلة، وأري صبيحتها أنه يسجد على ماء وطين، وليلة القدر والله تعالى أعلم تنتقل من ليلة إلى أخرى، فغالباً ما تكون ليلة سبع وعشرين لكن قد تكون ليلة إحدى وعشرين -أحياناً- كما في حديث أبي سعيد السابق، وهو متفق عليه، أنه في صبيحة إحدى وعشرين سجد على ماء وطين.

ومما يتعلق بليلة القدر: أنه يستحب فيها الإكثار من الدعاء خاصة الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها حين قالت: {إن أريت ليلة القدر ماذا أقول؟ قال لها النبي ﷺ قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني} والحديث رواه الترمذي وابن ماجه وسنده صحيح.

علامات ليلة القدر

ما هي العلامات التي تعرف بها ليلة القدر؟

العلامة الأولى: ثبتت في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب، أن رسول الله ﷺ ذكر أن من علامتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها، وهذا ثابت. العلامة الثانية: ثبتت من حديث ابن عباس عند ابن خزيمة، ورواه الطيالسي -أيضاً- في مسنده، وهو حديث سنده صحيح، أن النبي ﷺ قال: {ليلة القدر ليلة طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة}.

فذكر علامات إضافية، منها: أنها ليلة طلقة، لا حارة ولا باردة، وأن الشمس فيها حمراء ضعيفة.

ومن علاماتها -أيضاً-: ما ثبت عند الطبراني بسند حسن، من حديث وائلة بن الأسقع ، أن النبي ﷺ قال: {إنها ليلة بلجة -أي: منيرة- مضيئة، لا حارة ولا باردة، لا يرمى فيها بنجم} أي: لا ترى فيها الشهب التي ترسل على الشياطين.

هذه ثلاثة أحاديث صحيحة، وهناك حديث رواه أحمد في مسنده ، عن عبادة بن الصامت ، وسنده صحيح إلا ما يخشى من انقطاعه، لكن يشهد له ما سبق، وهو حديث طويل وعجيب في ذكر بعض خصائص ليلة القدر. قال فيه النبي ﷺ: {إنها ليلة صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، وهي ليلة ساكنة صاحية، لا حر فيها ولا برد، ولا يحل لكوكب أن يرمى فيها، والشمس تطلع صبيحتها مستوية لا شعاع لها مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ} لأن عادة الشيطان أن يخرج مع الشمس كما في الحديث الصحيح: {تطلع الشمس بين قرني الشيطان}.

أما في ليلة القدر فإنه لا يحل للشيطان أن يطلع مع الشمس، أو يجعل قرنيه باتجاه الشمس بحيث تطلع بين قرنيه، والحديث -كما ذكرت- لا بأس بإسناده في الشواهد؛ إلا أنه يخشى من انقطاعه، فإنه من رواية خالد بن معدان عن عبادة ، ولم يثبت له منه سماع.

وذكر بعض أهل العلم علامات أخرى لا أصل لها وليست صحيحة، إنما أذكرها لبيان أنها لا تصح، كما ذكر الطبري عن قوم أنهم قالوا: من علامات ليلة القدر أن الأشجار تسقط حتى تصل إلى الأرض، ثم تعود إلى أوضاعها، وهذا لا يصح.

وكذلك ذكر بعضهم أن المياه المالحة تصبح حلوة في ليلة القدر، وهذا أيضاً لا يصح. وذكر بعضهم أن الكلاب لا تنبح فيها، وهذا لا يصح.

وذكر بعضهم أن الأنوار تكون في كل مكان حتى في الأماكن المظلمة، وهذا لا يصح.

وأن الناس يسمعون التسليم في كل مكان، وهذا لا يصح.

إلا أن يكون المقصود بذلك أنه لفئة خاصة ممن اختارهم الله تعالى وأكرمهم، فيرون الأنوار في كل مكان، ويسمعون تسليم الملائكة، فهذا لا يبعد أن يكون كرامة لمن اختارهم الله تعالى واصطفاهم في هذه الليلة المباركة، التي هي خير من ألف شهر. أما أن يكون هذا عاماً فهو باطل، وهو معارض لدلالة الحس المؤكدة الثابتة ومشاهدة العيان.

وينبغي أن يعلم أنه ليس من الضروري لمن أدرك ليلة القدر أن يعلم أنها ليلة القدر، بل قد يكون ممن لم يكن له منها إلا القيام والعبادة والخشوع والبكاء والدعاء، من هم أفضل عند الله تعالى وأعظم درجة ومنزلة ممن عرفوا تلك الليلة. فالعبرة هي بالاستقامة ولزوم الجادة، والتعبد لله عز وجل والإخلاص، كما ذكره طائفة من أهل العلم.

ليلة القدر ليست خاصة بهذه الأمة

وفيما يتعلق بليلة القدر، فإنني أحتم موضوعها ببيان أن هذه الليلة ليست خاصة لهذه الأمة على الراجح، بل هي عامة لهذه الأمة وللأمم السابقة، لما رواه النسائي عن أبي ذر أنه قال: {يا رسول الله! هل تكون ليلة القدر مع الأنبياء فإذا ماتوا رفعت؟ قال عليه الصلاة والسلام: كلا، بل هي باقية} وهذا أصح من الحديث الذي ذكرته في الجلسة الماضية عن مالك، أن النبي ﷺ أرى أعمار أمته فكأنه تقالها، فأعطي ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

وعلى فرض صحة حديث مالك، فهو قابل للتأويل، وحديث أبي ذر صريح في أن ليلة القدر تكون مع الأنبياء، ومما يقوي ذلك قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] في ليلة مباركة، الذي أنزل فيه القرآن، ومن المعلوم أن القرآن يوم

أنزل أنزل بالنبوة على الرسول ﷺ ، وقبله لم يكن النبي ﷺ نبياً حتى تكون ليلة القدر بالنسبة له.

وقفات مع العيد

الوقفة الخامسة والعشرون: مع العيد.

والعيد اسم لكل ما يعتاد، وهي شعارات موجودة عند كل الأمم، فكل أمة على الأرض من الأمم الكتابية، كاليهود والنصارى، أو غيرها، من الأمم الوثنية لها أعياد؛ وذلك لأن العيد يعود إلى فطرة وطبيعة وجبلة ركبت الغرائز والفطر، عليها من أن الناس يحبون أشياءً يتذكرون فيها بعض ما مضى.

ولكن الأمم الكافرة ترتبط بأمور دنيوية، مثل قيام دولة، أو سقوط دولة، أو قيام حاكم أو سقوط حاكم أو زواجه أو تنويجه أو ما أشبه ذلك.

وقد يحتفلون بمناسبة أخرى كربيع أو غيره، ولليهود أعياد وللنصارى أعياد، كما هو معروف، فعندهم عيد في يوم الخميس، يزعمون أنه أنزلت فيه المائدة على عيسى عليه الصلاة والسلام.

وكذلك النصارى لهم أعياد أخرى، مثل عيد ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام، ومثل عيد رأس السنة الذي يسمونه الآن بعيد الكريسمس، ومثل عيد الشكر أو عيد العطاء، ويحتفلون به الآن في جميع البلاد الغربية كأمريكا وبريطانيا ، وغيرها من البلاد التي ورثت النصرانية وإن لم تكن نصرانية حقيقية.

وكذلك الجوس والفرس لهم أعياد، مثل عيد المهرجان، وعيد النيروز وغيرها.

والرافضة أيضاً لهم أعياد، كعيد الغدير الذي يزعمون أن النبي ﷺ بايع فيه علياً على الخلافة، وبايع فيه الأئمة الإثني عشر من بعده، ولهم فيه مصنفات، حتى إن هناك كتاباً اسمه يوم الغدير يبلغ عشرات المجلدات.

ولما جاء النبي ﷺ إلى المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال النبي ﷺ: {إن الله تعالى قد أبدلكم بهما خيراً منهما: عيد الفطر وعيد الأضحى} كما جاء في سنن أبي داود، وسنن النسائي عن أنس بسند صحيح.

ولذلك فليس للمسلمين إلا عيد الفطر وعيد الأضحى. قال الشاعر:

عيدان عند أولي النهى لا ثالثُ لهما لمن يبغى السلامة في غدٍ

الفطر والأضحى وكل زيادة فيها خروجٌ عن سبيل محمدٍ

قال ذلك رداً على الشاعر الذي يقول:

المسلمون ثلاثة أعيادهم الفطر والأضحى وعيد المولد

فإذا انتهت أعيادهم فسروهم لا ينتهي أبداً بحب محمدٍ

فهذا أضاف عيداً ثالثاً، وهو عيد مولد الرسول ﷺ، فرد شاعرنا بقوله السابق:

ولذلك ينبغي إحياء هذه الأعياد واستشعارها وإدراك معناها؛ لأنها شعائر إسلامية ينبغي

أن يعلم الجميع أن المسلمين في يوم عيد.

أحكام العيد

وفيما يتعلق بالعيد لدينا مجموعة من الأحكام أسردها باختصار:

أولاً: يحرم صوم يومي العيدين، لحديث أبي سعيد الخدري السابق.

ثانياً: يستحب الخروج للصلاة للرجال والنساء، لقول أم عطية رضي الله عنها - كما في

الصحيح -: {أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور - أي: البنات الغير

متزوجات: الأبقار - وأمر الحيض أن يعتزلن المصلى؛ ليشهدن الخير ودعوة المسلمين

ويكبرن بتكبير الناس}.

فإذا أمرت الحيض، والعواتق، وذوات الخدور، فمن باب أولى أن يؤمر الرجال

والشباب بالخروج إلى العيد.

وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الخروج لصلاة العيد لهذا الحديث ولغيره من الأدلة، كما في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٤-١٥].

قال بعضهم: المقصود صلاة العيد.

ثالثاً: من أحكام صلاة العيد: أن الصلاة فيه قبل الخطبة، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر وأبي سعيد وابن عباس {أن النبي ﷺ صلى قبل الخطبة}.
رابعاً: من أحكامه: أن الإمام يستحب له أن يكبر في الصلاة سبعاً في الأولى، وخمساً في الثانية، كما ثبت هذا عن جماعة من الصحابة والتابعين، كعمر، وعثمان، وعلي، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت وغيرهم، وقد ورد في ذلك أحاديث عدة عن رسول الله ﷺ، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ومن طريق كثير بن عبد الله المزني عن عمرو بن عوف، لكن -الأحاديث المرفوعة- كلها لا تصح لكن ثبت ذلك في أحاديث وآثار موقوفة.
وكذلك يجوز أن يكبر أربعاً في الأولى وأربعاً في الثانية، فقد ثبت هذا عن جماعة من السلف منهم ابن مسعود رضي الله عنه، كما رواه عنه الفريابي وغيره، وهو مذهب الأحناف.

خامساً: من أحكام العيد: أنه يستحب أن يقرأ في صلاة العيد بسورة (ق)، واقتربت الساعة، كما في صحيح مسلم، أن عمر رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي فقال له:

ماذا كان يقرأ النبي عليه الصلاة والسلام في العيد؟

فذكر له ذلك. وأكثر ما ورد أنه كان يقرأ بسبح والغاشية، كما يقرؤهما في صلاة الجمعة.

سادساً: من أحكام العيد: أنه لا نافلة قبلها ولا بعدها، كما روى الستة عن ابن عباس رضي الله عنه، { أن النبي ﷺ خرج إلى العيد فلم يصل قبلها ولا بعدها } إلا إذا صلى الناس العيد في المسجد، فإنه يصلي ركعتين تحية المسجد.

آداب العيد

للعيد آداب ينبغي التحلي بها:

أولاً: الاغتسال قبل الخروج إلى العيد، وقد صح هذا في موطأ مالك وغيره عن ابن عمر رضي الله عنه، [[أنه كان يغتسل قبل خروجه]] وكذا صح عن السائب بن يزيد وصح عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: [[سنة العيد ثلاث: المشي - يعني يمشي للعيد ماشياً - والاعتسال، والأكل قبل الخروج]] ولعله أخذ ذلك عن بعض الصحابة. وذكر النووي رحمه الله اتفاق العلماء على أنه يستحب الاعتسال لصلاة العيد، والمعنى موجود، فإن المعنى الذي يستحب له الغسل للجمعة وغيرها من الاجتماعات العامة، متحقق في العيد بل هو أكثر ذلك.

ثانياً: من آداب صلاة العيد: ألا يخرج في عيد الفطر حتى يأكل تمرات، لما رواه البخاري عن أنس { أن النبي ﷺ : كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات } بخلاف الأضحى، فإنه يستحب ألا يأكل إلا بعد العيد، من أضحيته.

وإنما استحب أكل التمرات في عيد الفطر؛ مبالغة في النهي عن الصوم في ذلك اليوم، لأن الإنسان يفطر قبل أن يذهب إلى العيد.

ثالثاً: من آداب يوم العيد: التكبير، كما قال الله عز وجل: { وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: ١٨٥] فأشار إلى مشروعية التكبير في العيد.

والتكبير في العيد نقل عن ابن عمر رضي الله عنه، من طرق وبأسانيد صحيحة، عند البيهقي وابن أبي شيبه [[أنه كان يكبر إذا خرج من بيته إلى أن يأتي إلى المصلى]] وكان

التكبير منذ الخروج من البيت إلى المصلى وإلى دخول الإمام، مشهوراً جداً عند السلف ، وقد نقله جماعة من المصنفين كابن أبي شيبه وعبد الرازق والفريابي في كتابه أحكام العيدين عن جماعة منهم، حتى إن نافع بن جبير رضي الله عنه، **[[كبر ثم تعجب من عدم تكبير الناس، وقال لهم: ألا تكبرون ألا تكبرون؟!]]**

وكذلك محمد بن شهاب الزهري يقول: **[[كان الناس يكبرون من حين خروجهم من بيوتهم حتى يدخل الإمام]]** فيشرع للإنسان أن يكبر من حين أن يخرج من منزله إلى أن يدخل الإمام في يوم العيد للصلاة ثم الخطبة.

رابعاً: من آداب العيد: التهنة التي يتبادلها الناس فيما بينهم أياً كان لفظها، كقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنكم، أو ما أشبه ذلك من عبارات التهنة المشروعة المباحة التي يتبادلونها.

والتهنة أمر كان معروفاً عند الصحابة، ورخص فيه أهل العلم كالإمام أحمد وغيره، وقد ورد ما يدل على مشروعيه التهنة في المناسبات، وتهنة الصحابة بعضهم بعضاً فيما إذا حصل لهم أمر يسر، كما هنوا من تاب الله عليهم، إلى غير ذلك، ولا حرج في هذه التهنة.

بل ورد في ذلك آثار عديدة صحيحة عن الصحابة؛ يحتج بها على أنه لا بأس أن يهنئ الناس بعضهم بعضاً بالعيد، وهذا من مكارم الأخلاق التي لا بد أن يحافظ الناس عليها، ولا حرج فيها، وأقل ما يقال فيها: إن هنأك أحد فهنئه وإن سكت فاسكت.

قال الإمام أحمد رحمه الله: إن هنأني أحد أحبته وإلا لم أبتدئه.

خامساً: من آداب العيد: التجمل بأحسن الملابس؛ لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر **[[أن عمر رضي الله عنه خرج إلى السوق فوجد حلةً من إستبرق تباع، ف جاء بها إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! ابتع هذه تتجمل بها للعيد والوفود]]**.

فدل على أن التجمل للعيد والوفود كان معروفاً، وأقر النبي ﷺ عمر على التجمل؛ لكنه أنكر عليه شراء هذه الحلة التي هي من حرير، وقال: {إنما يلبس هذه من لا خلاق له}.

وعن جابر رضي الله عنه قال: {كانت للنبي ﷺ حلة يلبسها للعيد والجمعة} والحديث رواه ابن خزيمة، وعن ابن عمر -أيضاً- عند البيهقي بسند صحيح، [[أن ابن عمر كان يلبس للعيد أجمل ثيابه]].

فينبغي أن يلبس الإنسان أحسن ما عنده من الثياب.

أما بالنسبة للنساء -إن خرجن- فينبغي أن يتعدن عن الزينة؛ لأنهن منهيات عن إظهار زينتهن للرجال الأجانب.

تنبيهات مهمة حول العيد

ومما ينبغي التنبيه عليه في موضوع العيد أمور:

أولاً: بعض الناس يعتقدون مشروعيه إحياء ليلة العيد، ويتناقلون حديثاً ورد من طريقين {أن من أحيأ ليلة العيد لم يموت قلبه يوم تموت القلوب} وهذا الحديث لا يصح، بل جاء من طريقين أحدهما ضعيف والآخر ضعيف جداً، فلا يشرع تخصيص ليلة العيد بحكم عن غيرها من الليالي، بل من كان يقوم بقية الليالي قام في ليلة العيد كما يقوم في غيرها، أما تخصيصها فلا يشرع.

ثانياً: مما ينكر في العيد اختلاط الرجال بالنساء، في المصليات والشوارع والأماكن، ومع الأسف الشديد أن هذا الاختلاط يقع في أقدس البقاع وأفضلها، في المساجد بل وفي المسجد الحرام، ويقع فيه من مظاهر التبرج والسفور ما يحزن كل قلب غيور، وما يجعل الفتنة قاب قوسين أو أدنى، فإن كثيراً من النساء -هداهن الله- يخرجن بأهمل زينة، سافرات كاشفات متبرجات متزينات متعطرات، مع ما في المسجد من شدة الزحام، وفي ذلك من الفتنة والضرر العظيم ما فيه.

ولذلك أنصح الشباب إذا صلوا صلاة الفجر يوم العيد، أن لا يخرجوا من المسجد، بل يبقوا حتى يصلوا العيد، ثم يجلسوا حتى يتفرق الناس بعداً عن الفتن العظيمة التي قد تعرض لهم.

ثالثاً: مما يحدث في ليلة العيد، أن بعض الناس يجتمعون على الغناء واللهو والعبث، وهذا لا يجوز.

ومن المفاسد التي تقع: أن بعض الناس يفرحون لأنهم قد تركوا رمضان وانتهوا من الصيام وهذا خطأ؛ فإن العيد إنما يفرح به لأن الله تعالى قد وفقنا لإكمال عدة الشهر والصيام، وليس الفرح لأننا قد انتهينا من الصيام، وتركنا هذا الأمر الذي يعتقد البعض أنه كان ثقیلاً عليهم.

صدقة الفطر

الوقفة السادسة والعشرون: مع صدقة الفطر.

وصدقة الفطر فرض على الذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، كما جاء في حديث ابن عمر وابن عباس المتفق عليه.

الأصناف التي تخرج منها صدقة الفطر

فيما يتعلق بصدقة الفطر، فإنما تخرج من الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد أنه قال: {كنا نخرجها في زمن النبي ﷺ صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب} وزاد ابن عمر كما في صحيح ابن خزيمة: {أو صاعاً من سلت} والسلت هو: نوع جيد من الشعير ليس فيه قشر.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن خزيمة، أنه قال: [[من أدى سلتاً قبل منه، ومن أدى دقيقاً قبل منه، ومن أدى سويقاً قبل منه]] ولذلك بوب ابن خزيمة رحمه الله: باب إخراج صدقة الفطر من جميع الأطعمة. ولذلك فالصحيح أن صدقة الفطر تخرج صاعاً من طعام البلد أياً كان طعام البلد.

الأصناف الذين يستحقون صدقة الفطر

وصدقة الفطر إنما هي للمساكين خاصة، وليست لأصناف أهل الزكاة الثمانية، بل هي للمساكين خاصة، لما جاء في حديث ابن عباس في الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: {طهرة للصائم من

اللغو، والرفث، وطعمة للمساكين} وهذا الذي رجحه جماعة من أهل العلم، ككابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وتؤدى هذه الزكاة قبل الخروج إلى الصلاة، ومن أداها قبل العيد بيوم أو يومين فلا حرج، ولا يجوز تأخيرها عن الصلاة، فإن أخرها بعد فإنما هي صدقة من الصدقات.

أحكام القضاء

الوقفه السابعة والعشرون: أحكام القضاء.

وفي هذه الوقفة أشير إلى أنواع من الناس:

أنواع الناس في القضاء

النوع الأول: الحائض والنفساء، والمسافر، فهؤلاء يفترون ويقضون.

النوع الثاني: الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما، فإنهما تفتران، والراجح أنهما تفتران وتقضيان فحسب، لما جاء في قول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [البقرة: ١٨٤].

- والحامل والمرضع تلحق بالمرريض، لما في السنن من حديث أنس بن مالك الكعب،

وسنده صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له: {هلم إلى الطعام. فقال: إني صائم، فقال

له النبي ﷺ: هلم أخبرك إن الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة والصوم، ووضع

عن المرضع والحبلئ الصوم} فالحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما،

فالراجح أن عليهما الفطر والقضاء.

وقال بعض أهل العلم: عليهما الفطر والقضاء والإطعام، وقال آخرون: عليهما الإطعام فقط. والخلاف فيما إذا خافت على ولدها.

النوع الثالث: المريض، والمريض قسماً:

الأول: المريض الذي يرجى برؤه، كمن يكون فيه حمى، فإن هذا المريض لا شيء عليه؛ لكن إذا شفي فعليه القضاء، فإن مات قبل أن يشفى فلا شيء على ورثته، أما إن تمكن من القضاء ثم فرط فعليهم أن يطعموا أو يصوموا عنه.

- أما المريض الذي لا يرجى برؤه، بأن يكون مصاباً بالأمراض التي لا ترجى، وهي كثيرة - شفانا الله وعافانا وإياكم منها - فإن هذا المريض يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

النوع الرابع: الكبير الهرم الذي أصابه الخرف وزال عقله وسقط تمييزه، فإن هذا لا صوم عليه ولا قضاء ولا إطعام.

أمور تتعلق بالقضاء

فيما يتعلق بالقضاء أشير إلى ثلاث نقاط:

الأولى: أن بعض الناس يؤخرون القضاء إلى ما بعد رمضان الآخر، وهذا لا يجوز، لقول عائشة كما في صحيح البخاري: [[كان يكون علي الصوم من رمضان فلا أقضيه إلا في شعبان، للشغل برسول الله ﷺ]] ولأنه يترتب على ذلك تراكم الصيام على الإنسان، ولأن الصيام عبادة موقوتة بالسنة، فلم يجوز أن يؤخر إلى السنة التي بعدها.

والثانية: أنه لا يشترط التتابع في الصيام، فبعض الناس يعتقدون أن قضاء رمضان يشترط فيه التتابع، وهذا غير صحيح، بل له أن يصوم يوماً ويفطر ثم يصوم وهكذا.

والثالثة: أنه يستحب الإسراع في القضاء، لأنه أسرع في إبراء الذمة، وأبعد عن تعرض الإنسان للموت والفوت.

صيام الست من شوال

الوقفة الثامنة والعشرون: صيام الست من شوال، وهو مشروع.

أدلة مشروعية صيام الست من شوال

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي ﷺ قال: {من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر} وهذا المعنى جاء عند الدارمي وابن ماجة من حديث ثوبان ، وجاء عند أحمد من حديث جابر ، وجاء عند البيزار من حديث أبي هريرة ، كل هذه الأحاديث تدل على مشروعية صيام الست من شوال، وهو الصحيح من مذهب الجماهير خلافاً لمالك .

وإنما كان صيام الست مع رمضان صيام الدهر؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها فرمضان عن عشرة أشهر، والست من شوال عن ستين يوماً فهي أي: شهرين، فصارت العشر أشهر مع شهرين الحول كله.

المبادرة بصيام الست

ويستحب المبادرة بصيام الست من شوال، بحيث يبدأ بها من اليوم الثاني استحباباً، ولو أحر إلى آخر الشهر فلا حرج عليه في ذلك، ولا يصومها من كان عليه قضاء من رمضان؛ لأن النبي ﷺ قال: {من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال} فالست من شوال تكون بعد قضاء رمضان، وبعض الناس يسمون اليوم الثامن من شوال عيد الأبرار، وهذه بدعة باطلة منكرة، فالأعياد اثنان -كما سلف- لا ثالث لهما.

صيام النفل

الوقفه التاسعة والعشرون: مع صيام النفل.

{كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقال لا يفطر، ويفطر حتى يقال لا يصوم} ولم يعلم عنه أنه صام شهراً كاملاً غير رمضان، إلا شعبان فإنه كان يصوم أكثره.

وكان عليه الصلاة والسلام يتعاهد صيام يوم الإثنين والخميس، ويتعاهد صيام أيام البيض، بل جاء عنه في حديث -وإن كان فيه ضعف- {أنه كان لا يترك صيامها في حضر ولا سفر}.

وكان يأمر بصيام أيام البيض أيضاً، فقد أمر بذلك أبا هريرة ، وأبا ذر ، أمرهم بثلاث: منها: أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهر.

وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن لعبد الله بن عمرو بن العاص أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، ونهى عن صيام الدهر فقال: {لا صام ولا أفطر - وقال: - لا صام من صام الأبد} وقال عليه الصلاة والسلام: {من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم}.

وكان يأمر بصيام يوم عرفة لغير الحاج، فأما الحاج فيكره له أن يصوم فيه، وقال عليه الصلاة والسلام: {احتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والسنة الباقية}.

وكذلك صام عليه الصلاة والسلام عاشوراء، وقال: {لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع} وصيامه عليه الصلاة والسلام النفل كثير.

الوقفة الأخيرة: هي الخاتمة - نسأل الله تعالى لنا ولكم حسن الخاتمة - نحن - الآن - مقبلون على النصف الثاني من رمضان، فقد مضى نصفه وبقي نصفه الآخر، وكأنكم به وقد آذن بالرحيل، فالعاقل كل العاقل، والحازم كل الحازم هو من اغتنم ساعاته وأيامه ولياليه، فمن يدري ربما تكونون ممن كتبوا في سجل الأموات في هذا العام، فالبدار البدار، والإسراع الإسراع، والحذر الحذر من التفويت والتفريط ما دمت في زمن الإمكان.

الإفطار على الجماع

السؤال: يقول: إذا راقب رجل الشمس، فلما غربت أراد أن يفطر وليس عنده شيء يفطر عليه، فهل له أن يفطر على جماع أهله؟
الجواب: لا حرج في هذا ما دام أنه أمر بأباحه الله.

كيفية قضاء رمضان

السؤال: امرأة أدركها النفاس في جميع رمضان؟
هل يلزمها قضاؤه متتابعاً أم لا؟

الجواب: لا يلزم القضاء متتابعاً، لأن قضاء رمضان يجوز فيه التتابع ويجوز فيه الإفراد، فلها أن تصوم يوماً وتفطر، ثم تصوم وتفطر كما تشاء، المهم أن لا يأتيها رمضان الآخر إلا وقد قضت ما عليها.

نوابّ الشيطان!

السؤال: ورد في الحديث أن مردة الشياطين في رمضان تصفد، ولكن العجيب أن هناك مجموعة من الناس يكثروا فسادهم في رمضان؟
الجواب: لأن هؤلاء الذين تسأل عنهم هم نواب عن الشيطان، وهم يقومون بالمهمة عنه في حال غيابه.

الصراع بين الحق والباطل

السؤال: يقول: مثل ما ينشط الصائمون في رمضان، ينشط أعداء الدين لإفساد الصيام على المسلمين، عن طريق الوسائل المتنوعة التي أصبح -للأسف- زمامها في أيديهم، فما هو العمل تجاه هذه القضية؟

الجواب: الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي قال الله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ٣١٢] فالصراع لا ينتهي، والحرب لا تنتهي؛ ولكن على أهل الخير أن يضاعفوا جهودهم، ويعملوا على الاستفادة من وجود الناس في رمضان، خاصةً وقت تجمعهم في المساجد رجالاً ونساءً في صلاة التراويح والقيام.

الوتر مع الإمام في التراويح

السؤال: أيهما أفضل الوتر مع الإمام في التراويح أم آخر الليل؟

الجواب: الذي أرى أن يوتر مع الإمام في التراويح، كما قال النبي ﷺ، في الحديث الذي رواه أهل السنن عن أبي ذر: {من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة}.

النوم بعد صلاة التراويح

السؤال: أيهما أفضل أن ينام الشخص في الليل بعد التراويح، أو ينام بعد الفجر إلى الساعة التاسعة -مثلاً- إذا كان طالب علم يدرس؟

الجواب: هذا حسب الظرف الذي يعيشه الطالب، ولا شك أن الأفضل أن ينام الإنسان بعد صلاة التراويح، لكن إذا كان عنده ظرفٌ مثل أن يكون محتاجاً للتأخر في الليل، فهذا يقدر بقدره، وقد سبق الكلام عن السهر وحكمه في دروس بلوغ المرام، فالسهر في العلم والعبادة والذكر ومسامرة الضيف والأهل والمصلحة لا حرج فيه.

استعمال حبوب منع الحمل لأجل الصيام والقيام

السؤال: هل يجوز للمرأة أن تستعمل الحبوب إذا كان مقصدها صلاة التراويح؟

الجواب: حبوب منع الحمل فيها ضرر على المرأة في غالب الأحيان، ولذلك إن ثبت أن في استخدام الحبوب ضرر على المرأة، فلا يجوز أن تستخدمها لا في رمضان ولا في غيره. لكن إذا ثبت أنه ليس هناك ضرر عليها بعد استشارة طبيب مثلاً، فهل يجوز لها أن تستخدمها في رمضان حتى تصوم وتصلي مع الناس؟

الذي يظهر لي أنه يجوز، لكن الأولى أن لا تفعله، فإن هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم ولا حرج عليها، إذا جاءت العادة أن تظفر ثم تقضي فيما بعد.

ولكن إذا ثبت أنه ليس هناك ضرر عليها بعد استشارة طبيب مثلاً، فهل يجوز لها أن تستخدمها في رمضان مثلاً، حتى تصوم مع الناس وتصلي مع الناس؟
الجواب: الذي يظهر لي أنه يجوز، لكن الأولى أن لا تفعله، بل هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم ولا حرج عليها، وإذا جاءت العادة أفطرت ثم تقضي فيما بعد.

تقبيل المرأة ونزول المذي

السؤال: هذا يسأل عن نزول المذي هل يفطر أم لا؟ وكذلك يسأل عن تقبيل المرأة؟

الجواب: بالنسبة لنزول المذي عند الجمهور أنه لا يفطر وهو الراجح.

أما بالنسبة للتقبيل، فقد ورد في حديث صحيح أنه ﷺ كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لأربيه، أي: لحاجته، فهو يملك نفسه، فإذا كان الإنسان يملك نفسه، كالشيخ الكبير أو الشاب الذي يملك نفسه؛ فلا حرج عليه في ذلك، أما إن كان لا يملك نفسه أو يعلم أن الأمر قد يتمادى به إلى ما هو أشد من ذلك، فإنه يمنع منه من باب سد الذريعة.

وقت الدعاء في الصيام

السؤال: هل الدعاء قبل الإفطار أم بعده؟

الجواب: الدعاء عند الإفطار.

معجون الأسنان أثناء الصوم

السؤال: هل يجوز استخدام معجون الأسنان، لأن رائحة الفم كريهة؟ أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا شك أن الشيء الذي يفطر هو الذي يصل إلى الجوف، ولذلك المضمضة لا تفطر، فمعجون الأسنان إذا كان مجرد غسل الأسنان به، ثم أخرجه ولم يصل إلى جوفه فلا شك أنه لا يفطر، أما إن وصل إلى جوفه شيء منه أو من غيره فهذا هو الذي يفطر.

قدوم المسافر قبل الغروب

السؤال: إذا قدم المسافر قبل الغروب فهل يبقى على فطره؟

الجواب: هذا اليوم ليس محسوباً له ولا بد أن يقضيه، لكن لا يفطر علينا؛ لأن الناس قد يجهلون سبب فطره، وبعض العلماء يأمره بالإمساك لأن سبب الفطر قد زال.

العلم بدخول الشهر قبل الغروب

السؤال: من لم يعلم بدخول الشهر إلا قبل الغروب فهل يمسك؟
الجواب: لو لم يعلم بدخول الشهر إلا قبل الغروب فيمسك.

الإفطار بالنية

السؤال: إذا حان وقت آذان المغرب وأنا في سيارتي ومن المحتمل أن أصل بعد خمس دقائق، فهل يجوز الإفطار بالنية فقط؟

الجواب: ينوي الإفطار لكن إذا كان لديه شيء يفطر عليه أفطر، وإلا فخمس دقائق لا تضر ما دام أنه سوف يفطر قبل صلاة المغرب.

الأمور تقدر بقدرها

السؤال: كثيراً ما نسمع بعض الدعاة يقولون: خذوا من العلماء وناصحوهم وزوروهم، ومع ذلك نسمع بعضهم يضرب الأمثال على أن العالم لا يقدر أن يعطيك موعداً إلا بعد أشهر، وقال أحدهم بعد سنة فما رأيك؟

الجواب: لعل الأخ يقصدي، والواقع أن ما قاله صحيح لأن الله عز وجل قال في آخر سورة البقرة: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦] والكثير من المشايخ، خاصة المشايخ الكبار المشهورين، عندهم أعمال أمثال الجبال، وربما الواحد منهم لا يجد وقتاً لياكل أو يشرب أو يجلس مع أهله وأطفاله، فالواقع أنهم معذورون في ذلك، لكن الأمور تقدر بقدرها.

صوم المسافر

السؤال: نريد الذهاب إلى العمرة في رمضان - إن شاء الله تعالى - ونستطيع الصيام، وليس هناك مشقة أو عناء في السفر أو جوع أو عطش، فهل نصوم أو نفطر؟

الجواب: بالنسبة لصوم المسافر وفطره، المسألة فيها كلام، ولكن الأقوى من الأقوال: أنه إن كان الصوم يضر المسافر فإنه يحرم عليه الصيام، وإن كان يشق عليه ولا يضره، فإن الأفضل في حقه أن يفطر ويجوز له الصوم، وإن لم يكن ليس عليه مشقة ولا ضرر، فالأفضل في حقه أن يصوم؛ إدراكاً لفضيلة الشهر وموافقة للناس وتعجلاً في إبراء الذمة.

النية في صيام رمضان

السؤال: ذكرت في مسألة النية أنه يكفي نية واحدة للشهر، وقد سمعت أن أحد المشايخ يقول أنه يجب النية لكل يوم من رمضان، فما تعليقكم على ذلك؟

الجواب: صحيح أنه لا بد من النية لكل يوم، لكن قصدي أن مجرد كونك علمت أن الشهر دخل فنويت صيام هذا الشهر كله فهذا يكفي، فكل ليلة أنت تنوي أن تصوم غداً، ولا يحتاج أن تجدد النية أو تستحضر شيئاً في قلبك، فالنية موجودة أصلاً، إلا إذا قطعها الإنسان لأي سبب، كأن قطع نية الصيام ونوى ألا يصوم، فنقول: لا بد له إن أمسك ذلك اليوم أن يجدد نية له ولما بعده.

الدخول على الخادمة في المنزل

السؤال: ما هو الموقف العادل النافع الذي توجهونه لمن في بيت أبيه خادمة، ما حكم دخوله البيت وهي فيه وبياته في البيت وهي فيه، وهو ليس محصناً متزوجاً؟

الجواب: على الولد أن ينصح والده، ويبين الأضرار المترتبة على وجود هذه المرأة الأجنبية في بيته، وهي امرأة تأتي بدون محرم من مسافات بعيدة، وربما تكون فتاةً في قلبها من الشهوة مثل ما في قلب غيرها، وخاصةً مع وجود شباب في البيت، ولا شك أن هذا خطرٌ عظيم، وهو كمن يوقد النار ويجعل البنزين قريباً منها، وعلى الشاب:

أولاً: أن يناصر والديه.

وثانياً: أن يتعد عن هذه المرأة ويحرص على أن لا يراها ولا يقترب منها، فضلاً عن أن يخلو بها فهذا لا يجوز.

وثالثاً: عليه إذا شعر بالخطر أن يسعى في إنقاذ نفسه ونجاتها، ولو ترتب على الأمر أن يتعد عن البيت.

رؤية الرسول في المنام

السؤال: ذكرت في بداية هذه الدروس من رأى الرسول ﷺ في المنام فقد رآه حقاً، ثم ذكرت قصة الرجل الذي رأى الرسول وكذبه القاضي، فما الجمع بينهما؟

الجواب: الجمع أن هذا خيل إليه أنه رأى النبي ﷺ، وإلا فالواقع أن الشخص الذي رآه ليس هو ﷺ.

الكتب التي تقرأ في رمضان

السؤال: ما هي الكتب التي تنصح بقراءتها على جماعة المسجد بعد صلاة العصر، وقبل صلاة العشاء في رمضان؟

الجواب: في الواقع هناك كتب عديدة منها: كتاب الشيخ محمد بن صالح العثيمين مجالس شهر رمضان، وهو كتاب مفيد في النواحي الفقهية، ومنها كتاب لابن رجب الحنبلي، وعنوانه: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف فيه حوالي ثلاثة فصول، أو أربعة عن رمضان، وهو مفيد وإن كان فيه أشياء ينبغي حذفها، ومنها كتب للشيخ عبد العزيز السلطان مفيدة، ومنها كتاب للشيخ عائض القرني عنوانه: ثلاثون درساً للصائمين وهناك كتاب يسعى الإخوة القائمون على الإفتاء في هذا البلد إلى

طباعته - إن شاء الله- وهو كتاب جيد، إذا خرج سوف يسد فراغاً، لكن -إن شاء الله- لعله لا يتأخر عن العام القادم، أما هذه السنة فلا أظن أنه يمكن الاستفادة منه.

التبرع بالدم وأخذ الحقن في أثناء الصيام

السؤال: هل التبرع بالدم وأخذ الحقن تفطر أم لا؟

الجواب: سبق أن ذكرت الحقن.

أما موضوع الدم، فإنه السائل يقصد إخراج الدم، فنقول: مسألة الحجامة فيها خلاف، فمنهم من يقول إنها تفطر، لحديث: {أفطر الحاجم والمحجوم} ومنهم من يقول: إنها لا تفطر لحديث {أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم} والذي يترجح عندي أن الحجامة لا تفطر، وأن القول بتفطيرها منسوخ.

ختم القرآن

السؤال: الناس يهتمون بالختمة، فنرجو أن تقول ما يفيد عفا الله عنا وعنكم جميعاً؟

الجواب: إن اعتقاد بعض الناس أن الختمة سنة لدرجة أن بعض الناس في المسجد يدعون في الليلة الواحدة مرتين، فيختم في الركعة الأخيرة من التراويح ويدعو، ثم يقوم ويشفع ويوتر ثم يدعو في الوتر، فلا شك أن هذا مخالف للسنة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن السلف.

أما كون بعض الناس يدعو عند انتهائه من قراءة القرآن، ويطيل في الدعاء في الوتر كما يقع الآن في الحرم، سواءً قبل الركوع أو بعده، فهذا لا حرج فيه -إن شاء الله- لأن الرسول ﷺ يقول: كما في الترمذي: {اقرأوا القرآن وادعوا الله به} وقد ورد عن أنس [أنه كان يجمع أهله ويختم بهم]] ولكن لم يكن هذا في الصلاة، بل يجمعهم في المنزل.

فنقول: الختمة فيها تفصيل؛ فإذا كان الإمام يختم في الوتر أي: يطيل الدعاء، فلا داعي -مثلاً- لأن يقرأ هذه الختمات الموجودة، التي تتحول إلى نصيحة وموعظة، والتي لا تجوز، بل قد تبطل الصلاة أحياناً، مثل بعض العبارات التي يكون فيها خطاب

للمصلين، ويطول فيها بذكر الآخرة والجنة والنار والقبر ومنكر ونكير، فالختمة ليست موعظة، وإنما هي دعاء، والرسول ﷺ كان يدعو بجوامع الدعاء.

النوم في نهار رمضان

السؤال: إن من الشائع لدى بعض الشباب المتوسم فيه الخير، السهر طول الليل مع اللعب والمرح، ويزعمون أن نوم بعض الليل صعب وثقيل، أرجو بيان وجه الحق في هذه القضية؟

الجواب: لا شك أن ما يقع فيه اليوم كثير من الناس ويتحول ليلهم في رمضان إلى نهار، ويتحول نهارهم إلى ليل، حتى إن منهم من ينام النهار كله وربما نام عن الصلوات، لا شك أن هذا فيه من فوات المصالح الشيء الكثير، أما من يفوت الصلاة فهذا أمره آخر، لكن حتى الذي يصلي مع الجماعة ثم ينام، فهذا ما تحقق في حقه المقصود من الصيام، من استشعار الجوع والعطش، بل الأولى إذا كانت ظروف الإنسان مواتية أن ينام من الليل ولو بعضه، وينام من النهار ولو بعضه، ويحرص على أن يكون معتدلاً في ذلك.

صيام يوم قبل رمضان

السؤال: ورد في مجمل حديثكم أنه يجوز صيام اليوم الذي قبل رمضان إذا كان يوافق عادة للمرء، إلا أن من المفهوم أنه لا يجوز وصل شعبان برمضان؟

الجواب: لا يجوز وصل شعبان برمضان على سبيل الاحتياط والتقديم بين يدي الشهر، أما إذا كان كما جاء في الحديث الصحيح: {إلا رجل كان يصوم صومه فليصمه} وفي لفظ: {إلا أن يوافق يوماً كان يصومه أحدكم} فلا بأس.

الانتقال من مسجد إلى آخر بحثاً عن الخشوع

السؤال: عند قدوم رمضان يبحث الناس عن أئمة ليصلوا خلفهم، بحجة طلب الخشوع، إلى غير ذلك، مع ارتكابهم مفساد بهجران مساجدهم، إلى غير ذلك؟

الجواب: لا أرى حرجاً ولا بأساً بأن يبحث الإنسان عن إمام حس الصوت ويصلي خلفه، ما لم يكن في ذلك ضرر، مثل كونك تترك مسجدك وهو يحتاجك -مثلاً- لأن تصلي فيه، أو أن تفتح على الإمام إذا نسي أو تحدّث، أو أن يكون الجماعة يستوحشون من ذهابك، كأن تكون طالب علم مرموقاً في مسجدك، فإذا ذهبت تساءلوا أين ذهب فلان، فهنا لا تذهب، أما فيما سوى ذلك فلا حرج أن يذهب الإنسان إلى إمام يرتاح إليه، ويجد لذة ويخشع من قراءته.

نوم النهار والعمل في الليل

السؤال: عملي يكون في ليالي رمضان، فأنا أعمل في الليل وأنام بعد طلوع الشمس حتى صلاة الظهر، وأنام بعد الظهر حتى العصر، فهل أنا آثم؟
الجواب: ما دمت محتاج إلى ذلك فلا حرج عليك إن شاء الله.

المعلقات في البخاري

السؤال: قلت في حديث: {من أفطر يوماً في رمضان} حديث ضعيف رواه البخاري ، فهل هناك حديث ضعيف في البخاري ؟

الجواب: أنا ما قلت رواه البخاري ، وإنما قلت: رواه البخاري تعليقاً، والمعلقات في صحيح البخاري ليست أحاديث على شرط البخاري ، ولم يروها البخاري بالإسناد، أي قد يقول البخاري : يروى عن رسول الله، مشيراً بصيغة التمريض، فهذه تسمى معلقات، فإذا قيل: رواه البخاري تعليقاً، فهذا يَحْتَمِلُ أن يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً، أما إذا قلت: رواه البخاري وسكت، فمعناه أنه في الصحيح والصحيح لا كلام فيه.

نوم الصائم في طاعة الله عبادة

السؤال: ما رأيك فيمن ينام عن الصلاة ويقول: {نوم الصائم عبادة}؟

الجواب: نقول: إذا كان نومه عن الصلاة فهو إثم ومعصية وطاعة للشيطان، وليس نوم الصائم إذا نام عن الصلاة عبادة، أما إذا نام نوماً طبيعياً يستعين به على طاعة الله فهو عبادة، كما أن نوم من ينام في القيلولة ليستعين بها على قيام الليل عبادة أيضاً.

السؤال: من احتلم في نهار رمضان وأخر الغسل ساعتين أو ثلاثاً بحجة أنه نائم؟

الجواب: لا حرج عليه في ذلك، المهم أن لا يؤخر الغسل عن الصلاة.

الجماع في نهار رمضان

السؤال: هذا يسأل عن قضية حصلت له مع زوجته في نهار رمضان وهو جاهل؟

الجواب: أرى أن مثل هذه الحالات ينبغي أن يسأل عنها بذاته، لأنه لا بد أن نعرف ما الذي حدث وما هي الظروف، وبعض الناس يكون جاهلاً، فيقول: أنا جامعت في رمضان وأنا جاهل؛ فنقول: هناك فرق بين من يقول: إني جاهل في أن عليّ أن عليه كفارة.

وإن كنت أعلم أنه لا يجوز.

فنقول لهذا: لا ينفك أن كنت جاهلاً بالكفارة بل يجب عليك التزام الكفارة وإن لم تدر بها، المهم أنك تعلم أن الجماع يفطر، فتجب عليك الكفارة حينئذٍ.

ففرق بين هذا وبين إنسان يقول: إنه جاهل لا يعلم أن الجماع يفطر. ولكن هل يمكن أن يوجد إنسان لا يدري أن الجماع يفطر؟

يمكن أن يوجد إنسان مسلم حديث عهد بإسلام، أو إنسان في بادية بعيدة لم يعلم أن الجماع يفطر، فهذا له حكمة الخاص.

أما الناس في مثل البيئات والمدن، فلا أعتقد أن منهم من يجهل أن جماع الرجل زوجته في نهار رمضان من المفطرات، بنص القرآن الكريم ويجمع أهل العلم - كما أسلفت - وعلى كل حال فالحالات الخاصة يسأل عنها بصفة خاصة، حتى يستوضح ما الذي جرى.

السؤال: مثل الذي يقول أنا جامعت في رمضان وأنا جاهل؟

الجواب: فنقول أنه يوجد فرق. بين أحد يقول: إني جاهل أن عليه كفارة، فيقول أنا عارف أنه لا يجوز، لكن ما كنت أعرف أنه عليه كفارة، وهي إعتاق رقبة، أو صيام شهرين فهذا لا يضر، وإن كان جاهلاً نقول: يجب عليك، أي لا ينفك جهلك، وإن كنت جاهلاً بالكفارة يجب عليك التزام الكفارة وإن لم تدر بها، المهم أنك عارف أن الجماع يفطر، فتجب عليك الكفارة حينئذٍ، وبين إنسان يقول أنه جاهل لا يعلم أن الجماع يفطر.

السؤال: هل ممكن أن يوجد إنسان لا يدري أن الجماع يفطر؟

الجواب: ما أعتقد ذلك، يمكن أن يوجد إنسان مسلم حديث عهد بإسلام، أو إنسان في بادية بعيدة ما علم أن الجماع يفطر، هذا له حكمة، الخاص، أما الناس في مثل البيئات والمدن، فلا أعتقد أن منهم من يجهل أن جماع الرجل زوجته في نهار رمضان من المفطرات بنص القرآن الكريم، ويجمع أهل العلم - كما أسلفت - على كل حال الحالات الخاصة يسأل عنها بصفة خاصة، حتى يستوضح ما الذي جرى.

أيهما أفضل قراءة القرآن في رمضان أم حفظه؟

السؤال: يقول: هل ختم القرآن عدة مرات أفضل أو حفظه؟
الجواب: الجمع بينهما جيد، فيحرص الإنسان على أن يزيد من حفظه في رمضان، وأن يكثّر من قراءة القرآن.

صلة الرحم تزيد في العمر

السؤال: قلت: إن صلة الرحم تزيد في العمر، ونعلم أن الإنسان يكتب رزقه وعمله وأجله، أرجو توضيح هذا؟
الجواب: لست أنا الذي قلت، وإنما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من الأسباب، حيث علم الله أن فلاناً يصل رحمه فزاد في عمره، وقال بعضهم: إن الزيادة في العمر تعني البركة.

رفع الصوت بالقرآن

السؤال: بعض الناس يرفعون أصواتهم في قراءة القرآن، بحيث يحدثون تشويشاً على الآخرين، فهل ينكر على مثل هؤلاء؟

الجواب: إن كان يبالغ في رفع الصوت بحيث يؤذي الناس، فينكر عليه ذلك ويبين له أنه لا يرفع صوته، أما إن كان يقرأ والأصوات متقاربة فتحدث دويماً، وليس بعضها أرفع من بعض، ولا يؤذي بعضها بعضاً، فهذا لا حرج فيه؛ لأنه جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ قال: {إنني أعرف أماكن الأشعرين إذا نزلوا بالليل وإن لم أكن رأيت منازلهم بالنهار من أصواتهم بالقرآن} فدل على أنه إذا كان الجماعة كلهم يقرءون بصوت متقارب لا يؤذي بعضهم بعضاً، فلا حرج في ذلك؛ لكن إن كان واحد يرفع والبقية يخفضون أصواتهم، فهذا يبين له أن لا يرفع صوته.

تغيير مكان السنة بعد الفريضة

السؤال: هل لتغيير مكان السنة بعد صلاة الفريضة فضل؟ لأننا نرى كثيراً من الناس يبادرون إلى تغييره.

الجواب: لا أعلم في ذلك حديثاً يصح إلا في الجمعة، وأنه لا توصل بصلاة حتى يتكلم أو ينتقل إلى مكان آخر، وبعض السلف كانوا يفعلون ذلك، واحتج بعضهم بقول الله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} [الدخان: ٢٩] قالوا: إن المؤمن يبكي عليه مصعد عمله من السماء، وموضع عمله في الأرض، وكموضع سجوده في الأرض، فالأمر في ذلك واسع.

صفوف النساء أولها

السؤال: بعض النساء تدخل المسجد المخصص، ثم تصلي في آخر الصفوف القريبة من الباب؛ بحجة حديث: {شر صفوف النساء أولها}؟
الجواب: الأظهر - والله أعلم - أن شر صفوف النساء أولها إذا كان بقرب الرجال، أما مع وجود عازل وفاضل فلا يكون الأمر كذلك، والله تعالى أعلم.

قراءة القرآن في التراويح

السؤال: هل أقرأ على الجماعة في التراويح القرآن وأكمله في البيت وحدي وأكون خاتماً للقرآن، أم تحق لهم الختمة؟
الجواب: الأولى أن تقرأ لهم القرآن في صلاة التراويح ليسمعوا.

إمام المسجد والعمرة في رمضان

السؤال: أنا إمام مسجد من قبل الأوقاف هل يجوز لي أن أذهب إلى الحرم لقضاء العشر الأواخر وأداء العمرة، علماً بأنني قد أخذت موافقة الإخوة في المسجد؟
الجواب: إذا وافقت جماعة المسجد على ذلك، وكان هناك من ينوب عنك في الإمامة، فلا أعلم في ذلك حرجاً، وإن كنت أرى أن الأفضل أن يقوم الإنسان بعمله وبواجبه ويصلي بجماعته، ولا مانع أن يذهب يوماً أو يومين يؤدي العمرة ثم يعود.

الوتر وصلاة الليل

السؤال: إذا كنت إماماً وأنا مضطر أن أوتر بهم في صلاة التراويح، وأريد أن أوتر آخر الليل، هل يجوز لي ذلك؟

الجواب: يجوز أن تصلي بهم وتوتر بهم، ثم تصلي آخر الليل ما قسم الله لك، وإن كان الأفضل مادمت صليت معهم وكانت هذه عادة مستمرة أن تكتفي بذلك، لقول النبي ﷺ: { من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة } ثم تقرأ القرآن وتسبح الله عز وجل.

الفطر يوم يفطر الناس

السؤال: إنه بدأ الصيام هنا في السعودية، ويريد أن يذهب إلى مصر ليقضي إجازته هناك، وكان شهر رمضان في مصر ثلاثون يوماً لأنهم أتموا شعبان ثلاثين يوماً، فهل يصوم مع أهل مصر؟ مع العلم أنه سوف يصوم واحداً وثلاثين يوماً؟

الجواب: أرى أن يصوم معهم - فيما يظهر لي - لموافقة الناس في ذلك، كما ورد في الحديث: { الفطر يوم يفطر الناس، والصوم يوم يصومون }.

ضعف حديث نية المؤمن خير من عمله

السؤال: ما صحة حديث: { نية المؤمن خير من عمله }؟

الجواب: لا يصح هذا الحديث.

الصفرة لها حكم الدم

السؤال: امرأة رأت بعد الظهر صفرة، ولكن لم يخرج منها الدم إلا بعد الإفطار بزمن يسير بحيث خرج منها الدم بصورته الطبيعية، فهل تقضي هذا اليوم أم لا؟ علماً بأن هذه أول مرة يحصل لها مثل هذه الحالة.

الجواب: إذا كانت الصفرة متصلة بالدم فأرى أن حكمها حكمه، وأرى أن هذه المرأة تقضي ذلك اليوم.

الاعتسال للمعتكف

السؤال: هل يجوز للمعتكف أن يخرج كل يوم للاغتسال والتنظف والتطيب، أم لا بد أن يكون الاعتسال موجباً للخروج؟

الجواب: لا يجوز له أن يخرج كل يوم للتنظف والتطيب؛ لكن يغتسل للغسل الواجب ويخرج له إذا احتاج إلى الخروج، وأما غسل التطيب فلا أعلم أنه يجوز أن يخرج له.

العمرة بعد ليلة السابع والعشرين

السؤال: أنا إمام مسجد أريد أن أختتم القرآن في صلاة التراويح في المسجد في ليلة السابع والعشرين، وبعد ذلك أعتمر، علماً بأنه لا يوجد في المسجد من يسد محلي فما رأيك في ذلك؟
الجواب: لا حرج في ذلك؛ لأنك إذا خرجت بعد ليلة السابع والعشرين فلا أظن أنك تعتمر وتعود بعد ذلك.

اعتكاف يوم

السؤال: رجل أراد أن يعتكف يوماً واحداً فهل هذا صحيح، علماً بأنه يدخل قبل أذان الفجر ثم يخرج من معتكفه بعد المغرب، فهل هذا يكون يوماً؟
الجواب: بالنسبة لمن أراد أن يعتكف يوماً فلا حرج في ذلك، كما في الصحيح أن عمر نذر في الجاهلية أن يعتكف يوماً وليلة، فقال له النبي ﷺ: {أوف بنذرك} وإذا أراد أن يعتكف يوماً وليلة فيدخل المعتكف من حين الوقت الذي نوى فيه، فإن نوى ليلة دخل قبل الغروب، وإن نوى يوماً دخل قبل الفجر، وإن نوى يوماً وليلة دخل قبل الغروب أيضاً.

اقتناء الخادمة بغير محرم

السؤال: أهلي سوف يسافرون إلى العمرة وعندنا خادمة، وذهابها معهم أصلح من مكوثها في هذا البلد؟

الجواب: يعني هما أمران أحلاهما مر، لكن عليك أن تبين لأهلك أن اقتناءهم لهذه الخادمة وهي بدون محرم أمر خطير ينبغي أن يصحح.

أصح الأذكار بعد الوتر

السؤال: ما هو أصح حديث يقال بعد نهاية صلاة الوتر؟

الجواب: أصح الأذكار التي وردت بعد الوتر، ما ثبت في سنن أبي داود ، وسنن النسائي ، ومسند الإمام أحمد وغيرهم، أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من الوتر قال: {سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس يمد بالثالثة صوته}.

أصح ما يقال بعد الإفطار

السؤال: ما أصح ما يقال بعد الإفطار؟

الجواب: الحمد لله، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى، ثم يدعوا بما أحب.

الموقف من المنكرات

السؤال: يزداد الإيمان في هذا الشهر عند بعض الشباب، فنجد الشاب يقول: ما هو موقفي أمام ما أرى من المنكرات؟

الجواب: موقفه أن يعمل على تغييرها ما استطاع: {من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان}.

الحكمة من العيد بعد الصيام

السؤال: ما الحكمة من جعل العيد بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان؟

الجواب: لشكر الله تعالى على إكمال عدة الشهر، كما قال الله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

الاعتكاف ساعة

السؤال: هل يجوز أن يعتكف المسلم ولو ساعة واحدة؟

الجواب: لم ينقل هذا عن السلف ، وعلى القول بأنه لا بد من الصيام في الاعتكاف، فلا إشكال أن أقل الاعتكاف يوم، لكن عند الحنابلة وبعض الشافعية أنه يجوز أن يعتكف ولو ساعة، قال الشافعية ولو لحظة، لكن هذا لم ينقل عن السلف ، ولذلك الظاهر -والله تعالى أعلم- أنه لا ينبغي أن ينوي الإنسان نية الاعتكاف إذا أراد أن يدخل للصلاة وما أشبه ذلك.

الصلاة عند طلوع الشمس في صبح ليلة القدر

السؤال: إذا كان في الأيام العادية، فإن الشمس تطلع بين قرني الشيطان، ولا يجوز الصلاة عند ذلك، فأما في صبيحة ليلة القدر فلا تخرج الشمس بين قرني الشيطان، فهل يجوز أن نصلي في تلك الصبيحة؟

الجواب: السؤال هذا - سبحان الله! - انقدح في ذهني أنه سوف يأتي إلى وأنا أقرأ الحديث في مسند الإمام أحمد، لكن أقول: إن صح الحديث فيقال: إن صبيحة تلك الليلة لا يكون وقت طلوع الشمس فيها وقت نهي، لكن الحديث فيه ضعف، فهذا الأمر الذي انفرد به لا يبيّن عليه حكم، وبناءً عليه أقول: صبيحة ليلة القدر كغيرها، وقت طلوع الشمس فيها وقت نهي.

ليلة القدر علمها عند ربي

السؤال: هل تحسب ليلة القدر إذا تقدم الشهر أو تأخر؟

الجواب: ليلة القدر علمها عند ربي، إنما على العبد أن يتحراها ويحرص على الإخلاص وكثرة العبادة فيها.

اعتزال النساء في العشر الأواخر للمعتكف

السؤال: هل اعتزال النساء في العشر الأواخر من تطبيق السنة؟

الجواب: نعم، لمن كان يريد أن يعتكف.

الخروج من المعتكف للحاجة

السؤال: ما حكم من يخرج من المسجد الحرام لتناول الطعام وقضاء الحاجة؟

الجواب: لا بأس أن يخرج المعتكف، لأكل الطعام وقضاء الحاجة، ولا يلزمه أن يذهب إلى بيت صديقه القريب، لكن لا بأس أن يذهب إلى شقة -مثلاً- إن استأجرها أو ما أشبه ذلك.

الدعوة هي السبيل

السؤال: يتكاثر الشباب على الأرصفة على أمور لا خير فيها، فما هو السبيل لعلاج هذه الظاهرة؟

الجواب: السبيل هو أن يقوم الشباب المهتم في الدعوة إلى الله عز وجل، وصحبة هؤلاء، ونشر العلم النافع بينهم، بواسطة الشريط والكتاب والصحبة والكلمة الطيبة، وغير ذلك من الوسائل.

الإحرام بالنسبة للحائض

السؤال: حجرت في الطائرة للذهاب للعمرة يوم الثلاثاء بعد غد على أساس أن زوجتي قد تكون طهرت من الحيض، ولكن إلى الآن لم تطهر، فما الحكم في الإحرام للمرأة الحائض، وما هو العمل عند الوصول إلى المحرم؟

الجواب: إذا وصلت إلى المحرم فتحرم زوجتك كغيرها وإن كانت حائضاً، فتغتسل وتلبس ثياب الإحرام وتلي بالعمرة، لكنها لا تقضي مناسك العمرة حتى تطهر، فتعتمر أنت وتطوف وتسعى وتقصر، ثم تنتظر زوجتك حتى تطهر فإذا طهرت اعتمرت.

النية في الصوم

السؤال: ما حكم من لم ينتبه من النوم إلا بعد الساعة التاسعة تقريباً من النهار، هل عليه قضاء هذا اليوم؟

الجواب: ما دام نوى الصيام في تلك الليلة فلا قضاء عليه.

الأكل في حال الشك

السؤال: ما حكم من أكل شاكاً في طلوع الفجر؟

الجواب: صومه صحيح.

الطهارة لمس المصحف

السؤال: هل يجوز لمس مصحف على غير طهارة؟

الجواب: الصحيح الذي عليه جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم؛ أنه لا يجوز لمس المصحف مباشرة إلا للمتوضئ.

المضمضة المتكررة

السؤال: هل عليّ حرج إن تمضمضت؛ وذلك لأنني مدرس أحتاج أن أتمضمض بعد كل درس؟

الجواب: لا حرج عليك.

تكرار العمرة

السؤال: ذكرت في الدرس الماضي أن بعض أهل العلم كره الإكثار من العمرة، فما مدى صحة ذلك؟ وما هو متوسط العمرة في السنة؟

الجواب: قال بعضهم: كل عشرة أيام، وقال بعضهم: أكثر من ذلك، وقال بعضهم: أقل من ذلك، والصحيح أنه لا يتحدد ذلك، بل لا مانع أن يعتمر الإنسان متى شاء، لكن المنهي عنه أن يكرر الإنسان العمرة من مكة أي أن الإنسان يكون في مكة، وكل يوم وهو في عمرة، هذا لم يعهد عن السلف، أما كونه اعتمر ثم رجع، ثم ذهب مرة أخرى لأنه وجد رفقة أو ما أشبه ذلك فلا حرج.

الاعتسال من المذي

السؤال: في صبيحة أحد أيام رمضان احتلمت ولم أر منياً وإنما رأيت مذياً، هل أغتسل من ذلك؟

الجواب: لا تغتسل، ما دام لم يخرج منك مني فلا غسل عليك، فالمذي لا يوجب الغسل وإنما يوجب غسل الذكر والأنثيين.

الاعتكاف مع الجماعة

السؤال: ما رأيك في الاعتكاف في جماعة يتساعدون، ويأسرون أنفسهم الأمانة بالسوء، علماً بأنه يتخلل لعتكافهم بعض الكلام الدنيوي؟

الجواب: لا حرج في إعتكاف جماعة، وإن تخلل كلامهم كلاماً مباحاً، كما تكلمت صفيه مع رسول الله ﷺ، وكما تكلم الرسول عليه الصلاة والسلام مع بعض أزواجه.

صلاة التهجد

السؤال: ما رأيكم في صلاة التهجد التي تقام في العشر الأواخر من ناحية عددها ووقتها وصفتها، وما تعليقكم على واقع الناس في التخلف عن هذه الصلاة؟

الجواب: صلاة التهجد هي من ضمن صلاة القيام التي شرعها النبي ﷺ وفعلمها، حيث قام ليلة بأصحابه حتى خشوا أن يفوتهم السحور، وكما سمعتم أنه كان إذا دخل العشر جدًّا وشدَّ المئزر وأحيا ليله، فينبغي على العاقل الرشيد الناصح لنفسه، أن يحرص على تعهد صلاة التراويح والقيام مع المسلمين.

الاعتكاف في الحرم المكي

السؤال: أيهما أفضل لمن لا عمل له في هذه العشر وليس هناك شيء يربطه من إمامة وغيرها، هل يقضيها في مكة والرحاب الطاهرة، أم في بلده مع أقرانه؟
الجواب: الأفضل له أن يقضيها في مكة ويعتكف في الحرم -أيضاً- إذا لم يكن في ذلك مشقة عليه.

صلاة الليل مثنى مثنى

السؤال: ما حكم من صلى أربع ركعات في تسليمه واحدة؟
الجواب: هذا لا ينبغي، فجماهير أهل العلم على منع ذلك وتحريمه؛ لأن الرسول ﷺ قال: {صلاة الليل مثنى مثنى} أي: تسلم من كل ركعتين.

النية مع الإمام للوتر

السؤال: سمعنا أنه يلزم أن ينوي المصلي للتراويح بعد نيتها نية جديدة للوتر، فإذا كان هذا صحيحاً فما الحكم فيمن صلى خلف الإمام عشر ركعات، ثم أوتر بواحدة، وكان من عادته أن يوتر بثلاث؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله تبارك وتعالى أعلم- أنه من دخل مع الإمام بنية أنه سوف يستمر معه إلى نهاية الوتر أن هذا يكفي في النية، والله تبارك وتعالى أعلم.

التنويح لبيان الجواز

السؤال: بعض الأئمة ينوعون، بحيث يصلون أحياناً إحدى عشر وأحياناً ثلاثة عشر، وأحياناً يقرنون الشفع والوتر، وأحياناً يقنتون وأحياناً لا يقنتون، فما رأيك؟
الجواب: بالنسبة للقنوت لا بأس بالمحافظة عليه، إلا أن يخشى أن يعتقد الناس وجوبه.

وبالنسبة للصلاة إذا كان في التنويع مصلحة للبيان للناس فلا حرج، أما كثرة التنويع فليست حسنة، بل ينبغي أن لا يكثر الإنسان من التنويع، فيكون له عادة ولا مانع أن يترك هذه العادة أحياناً.

ترك العمل خشية الرياء

السؤال: يقول: أنا إمام المسجد في التراويح، وبيتنا قريب من المسجد، وأريد الاعتكاف وأخشى الرياء، أرجو إرشادي ماذا أفعل، وما هي الحالات التي تتيح لي الخروج من المسجد؟

الجواب: لا تبالي بهذا الأمر الذي خطر لك من خشية الرياء، فلا يجوز ترك العمل خشية الرياء، بل ينبغي أن تعتكف وتتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أما الحالات التي تخرج فيها من المسجد فتخرج لحاجتك، كما قالت عائشة رضي الله عنها كما في الصحيح: {وكان لا يخرج إلى البيت إلا لحاجة الإنسان} حاجتك من قضاء الحاجة، أو من الأكل والشرب وما أشبه ذلك.

عدد عمر النبي ﷺ

السؤال: كم اعتمر النبي ﷺ؟

الجواب: اعتمر النبي ﷺ أربع عمر كلهن في ذي القعدة، إلا عمرته التي كانت مع حجته، منها: عمرة الجعرانة، وعمرة القضاء، وعمرة الحديبية، والعمرة الرابعة كانت مع حجته صلى الله عليه وسلم.

العمرة لإمام المسجد

السؤال: أنا مؤذن في أحد المساجد وأريد أن أعتمر، وقد طلبت من الوزارة إجازة لمدة أسبوعين ولم تمنع الوزارة؛ لكن لم أجد أحد يقوم مقامي؟

الجواب: إذا وجد من يقوم مقامك ووافقت الجهة المختصة فلا حرج في ذلك.

شد الرحال من أجل طلب العلم

السؤال: بمناسبة ذكر شد الرحال، أشكل على كثير منا أن بعض الشباب ينتقلون من بلدهم إلى بلد آخر من أجل صلاة التراويح في رمضان مع الأئمة، فهل يعتبر هذا من شد الرحال، مع العلم أنهم أتوا من أجل الإمام؟

الجواب: لا حرج في ذلك، لا حرج في شد الرحال من أجل طلب العلم، أو من أجل الصلاة خلف إمام معين، أو من أجل السلام على رجل، أو من أجل زيارة مريض، أو من أجل زيارة أخ في الله، أو من أجل تجارة، لأن شد الرحل حينئذ ليس من أجل البقعة وإنما من أجل أمر آخر، والمنهي عنه هو شد الرحال من أجل البقعة باعتقاد فضلها عن غيرها.

القضاء لمن شرب بعد الأذان

السؤال: يقول: في هذا اليوم لم أقم إلا الساعة الخامسة إلا ربع، والأذان في الساعة الرابعة والنصف، وكان ذلك في أثناء إقامة الصلاة فشربت ماءً هل علي قضاء؟

الجواب: نعم عليك القضاء.

صيام أيام البيض وثلاثة أيام من شوال

السؤال: إذا صمت الأيام البيض وثلاثة أيام أخرى، فهل يكتب لي أجر صيام الست من شوال؟

الجواب: نعم يكتب لك ذلك، إذا صمت أيام البيض من شوال وصمت منها ثلاثة أيام أخرى، يكتب لك أجر صيام الست من شوال.

التقبيل والمصافحة

السؤال: حكم التقبيل في يوم العيد؟

الجواب: أولاً: بالنسبة للمصافحة يوم العيد، يقول الفقهاء: لا حرج في المصافحة إذا اتحد الجنس، بأن كان المتصافحان ذكراً مع ذكر، أما مصافحة الأنثى فلا يجوز؛ لقول النبي ﷺ: {لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له}.
أما التقبيل، فإن كان له مناسبة مثل أنك لم تره منذ زمن فلا حرج فيه.

مسجد العيد

السؤال: هل يعتبر مسجد العيد مسجداً؟

الجواب: لا يعتبر مسجداً وإنما هو مصلى.

الإجازة الاضطرارية

السؤال: الإجازة الاضطرارية، هل تجزم بتحريم أخذها من أجل العمرة علماً بأنه يجب التأكيد

من تفسيرها من الديوان؟

الجواب: في الواقع أنني سألت بعض المسئولين في الديوان وأكثر من مسئول، وقالوا إنها تؤخذ في حالة الضرورة، مثل حالة وفاة وما أشبه ذلك، وهذا هو الظاهر.

ولا شك أن القول بتحريمها مبني على معرفة الحالات التي يجوز فيها أخذ الإجازة الاضطرارية، لكن إن كانت على ظاهره إنما لا تؤخذ إلا للضرورة، فلا يجوز أخذها من أجل أداء العمرة.

هذا والله تبارك وتعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

دروس رمضان

الوقفة الأولى

كتب عليكم الصيام

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَياماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

هذه الآية أصل في وجوب صيام رمضان؛ ولذلك أجمع أهل العلم كافة على أنه يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان، ومن أنكر وجوبه أو جحده فهو كالمرتد، إلا أن يكون جاهلاً، حديث عهد بإسلام، فإنه يُعَلَّمُ - حينئذ-، فإن أصر على الإنكار فهو كافر، يُقْتَلُ مرتداً لأنه جحد أمراً ثبت وجوبه بنص القرآن، كما يدل على ذلك قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُم) أي: فرض وأوجب عليكم.

وفي قوله جلّ وعلا: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) تسليية للمؤمنين، وإشعار لهم بأن الله (قد فرض هذا الأمر على من كان قبلهم من الأمم الكتابية، وفي ذلك تخفيف على نفوس المؤمنين من وطأة الصوم، فإن المسلم إذا عرف أن هذا درب سلكه قبله الصالحون من الأنبياء وأتباعهم؛ فإنه يفرح بذلك ويخف عليه لا يستثقله.

ثم قال تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، إيماءً إلى الحكمة في مشروعية الصيام، وهي تحقيق التقوى لله من قبل الصائم.

ثم قال: (أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ)، فهي أيام قليلة بالقياس إلى أيام السنة، شهر واحد فقط، ليس في صيامه عبء ثقيل على الصائمين.

الوقفة الثانية

الناس في استقبالهم لرمضان

إن الناس في استقبالهم لرمضان على صنفين:

الصنف الأول: الذين يفرحون بهذا الشهر، ويسرون لقدمه؛ وذلك

لأسباب:

أولاً: أنهم عودوا أنفسهم على الصيام، ووطنوها على تحمله، ولهذا جاء

في السنة النبوية استحباب صيام أيام كثيرة: كصيام الاثنين، والخميس، وأيام البيض، ويوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده، وصيام شعبان...، وغير ذلك من أنواع الصيام المستحب، الذي شرعه النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته؛ ليعتادوا الصوم، ويتزودوا من التقوى.

وأثر ذلك واضح في الواقع؛ فإنك تجد الذي يصوم النفل - أيام البيض على

الأقل - لا يستثقل صيام رمضان؛ بل هو عنده أمر طبعي، لا كلفة فيه ولا عناء، وأما الذي لا يصوم شيئاً من النافلة، فإن رمضان يكون عليه ثقیلاً شاقاً. ولقد كان السلف مثلاً رائعاً في الحرص على النوافل، وروي عنهم في

ذلك قصص عجيبة، ومن ذلك:

أن قوماً من السلف باعوا جارية لهم لأحد الناس، فلما أقبل رمضان أخذ سيدها الجديد يتهياً بألوان الطعومات والمشروبات؛ لاستقبال رمضان - كما يصنع كثير من الناس اليوم-، فلما رأَت الجارية ذلك منهم، قالت: لماذا

تصنعون ذلك؛ قالوا: لاستقبال شهر رمضان. فقالت: وأنتم لا تصومون إلا في رمضان؟! - والله - لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كأنها كلها رمضان، لا حاجة لي فيكم، ردوني إليهم. ورجعت إلى سيدها الأول.

وكان لدى الحسن بن صالح جارية، فاشترها منه بعضهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد، قامت تصيح في الدار: يا قوم، الصلاة.. الصلاة، فقاموا فزعين، وسألوها: هل طلع الفجر؟ فقالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟! فلما أصبحت رجعت إلى الحسن بن صالح، وقالت له: لقد بعني إلى قوم سوء؛ لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة؛ فردّها.

ثانياً: أنهم يعلمون أن الامتناع عن اللذات في هذه الدنيا سبب لنيلها في الآخرة، فإن امتناع الصائم عن الأكل، والشرب، والجماع، وسائر المفطرات في نهار رمضان طاعة لله - سبحانه وتعالى - يكون سبباً في حصوله على ألوان الممذات الخالدة في الجنة، فلقوة يقين المتقين بذلك؛ يفرحون بقدم هذا الشهر الكريم.

وعلى النقيض من ذلك حال المنغمسين في الممذات المحرمة في هذه الدنيا؛ فإن انغماسهم فيها يكون سبباً في حرمانهم منها يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، إلا أن يتوب"^(١). وإنما يحرم من شربها يوم القيامة - وإن دخل الجنة-؛ عقاباً له على

(١) رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

تمتعه بخمر الدنيا، وهي محرمة عليه، وفي حديث آخر: "من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"^(٢).

ثالثاً: أنهم يدركون أن هذا الشهر من أعظم مواسم الطاعات، والتنافس في القربات، ويعلمون أن الله سبحانه وتعالى يجري فيه من الأجور مالا يجري في غيره من الشهور، فلا غرو أن يفرحوا بقدمه فرح المشتاق بقدم حبيبه الغائب، أو أعظم من ذلك. هذا هو الصنف الأول من الناس في استقبال شهر رمضان.

الصنف الثاني: الذين يستثقلون هذا الشهر، ويستعظمون مشقته، فإذا نزل بهم فهو كالضيف الثقيل، يعدون ساعاته وأيامه ولياليه، منتظرين رحيله بفارغ الصبر، يفرحون بكل يوم يمضي منه، حتى إذا قرب العيد فرحوا بدنو خروج هذا الشهر، وهؤلاء إنما استثقلوا هذا الشهر الكريم، وتطلعوا إلى انقضائه؛ لأسباب منها:

أولاً: أنهم اعتادوا على التوسع في الم لذات والشهوات: من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغيرها، فضلاً عن مقارفتهم للذات المحرمة، فوجدوا في هذا الشهر مانعاً وقيداً يجبسهم عن شهواتهم، ويحول بينهم وبين ملاذهم؛ فاستثقلوه.

ثانياً: أنهم قوم عظم تقصيرهم في الطاعات، حتى إن منهم من قد يفرط في الفرائض والواجبات، فإذا جاء هذا الشهر التزموا ببعض الطاعات، فترى

(٢) رواه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

بعض المفرطين المقصرين الناكفين، يترددون في هذا الشهر على المساجد، ويشهدون الجمع والجماعات، ويواظبون على الصيام والصلاة كل يوم؛ فبسبب هذا الالتزام الذي لم يألّفوه ولم يتوطنوا عليه؛ استعظموا حِمْلَ هذا الشهر.

ومما يناسب إيراده هنا: ما ذكره ابن رجب وغيره، أن غلامًا سفيهاً، لما أقبل عليه رمضان ضاق به ذرعاً، وأخذ ينشد:

دعاني شهر الصوم - لا كان من شهر- *** ولا صمت شهراً بعده آخر
الدهر

فلو كان يعديني الأنام بقوة *** على الشهر لاستعدت قومي على
الشهر

ومن ذلك ما يتماجن به بعض الشعراء كقول أحدهم عن الخمر :
رمضان ولى هاتها يا ساقى *** رمضان ولى هاتها يا
ساقى

وهكذا حال المسرفين الذين يستثقلون رمضان؛ لأنهم سيفارقون ما ألفوا من الشهوات، ويلتزمون ببعض العبادات، هذا مع ضعف يقينهم بما أعده الله - تبارك وتعالى - للمؤمنين، وعدم استحضارهم لفضل هذا الشهر، وما فيه من الأجور العظيمة، فلا عجب ألا يجدوا من اللذة والفرح والسرور بهذا الضيف الكريم ما يجده الصادقون المؤمنون.

الوقفه الثالثة

من معاني الصيام

للصيام معانٍ ومقاصد عظيمة، لو تأملناها وتفكرنا فيها ملياً لطل
عجبنا منها:

المعنى الأول: أن الصوم مرتبط بالإيمان الحق بالله جل وعلا؛ ولذلك
جاء أن الصوم عبادة السر، لأن الإنسان بإمكانه ألا يصوم إن شاء، سواء بأن
يتناول مأكولاً أو مشروباً، أو بمجرد فقد النية، وإن أمسك طوال النهار.
إذن فالصوم عبادة قلبية سرية بين العبد وربّه، فإن امتناع العبد عن المفطرات
على الرغم من استطاعته الوصول إليها خفية دليل على استشعاره اليقيني
لاطلاع الله تعالى على سرائره وخفيايه، وفي ذلك - بلا ريب - تربية لقوة
الإيمان بالله - جل وعلا - وهذا السر الإيماني يجري في سائر العبادات التي
يتقرب بها العبد إلى خالقه سبحانه.

انظر إلى الوضوء والغسل، اللذين يتطهر بهما العبد من الأحداث، فإن فيهما
دلالة على إيمان العبد بأن الله تعالى رقيب عليه؛ مما يحمله على أداء تلك الأمانة
السرية بينه وبين ربه، ولو أتى إلى الصلاة بدون ظهور لما علم الناس بذلك.
انظر إلى الصلاة، ألا ترى أن المصلي يقرأ في قيامه الفاتحة، وفي ركوعه
يقول: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده يقول: سبحان ربي الأعلى، وفي

جلوسه بين السجدين يقول: رب اغفر لي، وفي التشهد يقول: التحيات لله.. الخ، وكل هذا يقوله سرًا لا يسمعه مجاوره الملتصق به، أترأه لو لم يكن مؤمنًا بعلم الله تعالى بمهمات لسانه، وخواطر ذهنه، ووساوس قلبه، أترأه يدعو ويذكر الله سبحانه وتعالى في صلاته بهذه السرية، التي لا يطلع عليها إلا ربه - سبحانه- (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه: ٧].

المعنى الثاني: أن الصيام يربِّي العبد على التطلع إلى الدار الآخرة، حيث

يتخلى عن بعض الأمور الدنيوية؛ تطلعًا إلى ما عند الله تعالى من الأجر والثواب؛ لأن مقياسه الذي يقيس به الربح والخسارة مقياس أخروي، فهو يترك الأكل والشرب والمذات في نهار رمضان؛ انتظارًا للجزاء الحسن يوم القيامة، وفي ذلك توطين لقلب الصائم على الإيمان بالآخرة، والتعلق بها، والترفع عن عاجل الملاذ الدنيوية، التي تقود إلى التثاقل إلى الأرض، والإخلاق إليها.

هذا مع ما له في الصوم من النعيم، والحياة الطيبة في الدنيا: من صحة البدن، وفرح القلب بالطاعة، والسعادة، وانسراح الصدر بالإيمان. أما أصحاب المقاييس المادية الدنيوية، فإنهم ينظرون إلى الجانب الدنيوي القريب في الصوم؛ فلا يرونه إلا حرمانًا من لذة الأكل والشرب والوقاع، التي تحصل بها سعادة للنفس، وتلبية لحاجات الجسد. ولا ينظر هؤلاء إلى الجانب الأخروي، الذي يمثل الجزاء الحقيقي، والخلود الصحيح؛ مما يعدم أو يضعف في قلوبهم التطلع إلى الآخرة وما فيها من النعيم.

المعنى الثالث: أن في الصيام تحقيقاً للاستسلام والعبودية لله جل وعلا؛ إذ الصوم يربي المسلم على العبودية الحقة، فإذا جاء الليل أكل وشرب؛ امتثالاً لقول ربه الكريم (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧]؛ ولهذا كان مستحباً أن يأكل الصائم عند الإفطار وعند السحور، وكره الوصال، فالأكل - حينئذ - عبادة لله.

وإذا طلع الفجر أمسك عن الأكل والشرب، وسائر المفطرات؛ امتثالاً لأمر الله تعالى { ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ } [البقرة: ١٨٧].

وهكذا يترقى المسلم على كمال العبودية لله، فإذا أمره ربه تعالى بالأكل في وقت معين أكل، وإذا أمره بضد ذلك في وقت آخر امتثل، فالقضية ليست مجرد أذواق وشهوات وأمزجة، وإنما هي طاعة لله تعالى، وتنفيذ لأمره. وإن العبودية لله سبحانه هي الحرية الحقيقية، وكمال الحرية في كمال العبودية له تعالى، ولذلك قال عياض - رحمه الله -:

ومما زادني شرفاً وتيها*** وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك: "يا عبادي"*** وأن صيَّرت أحمد لي نبيا
ويقول الآخر:

أطعتُ مطامعي؛ فاستعبدتني*** ولو أني قنعتُ لكنت حراً

— وهذا المعنى متحقق في الصلاة والحج وغيرهما، فالعبد في صلاته حيناً يقف، وحيناً يركع، وحيناً يسجد، وحيناً يقعد؛ لأن هذا هو أمر الله ومراده، فيحقق المصلي العبودية بامتثاله.

وفي حجه لا ينهى عن الأكل والشرب، لكنه ينهى عن محظورات أخرى يجب على المحرم تجنبها: من جماع، ودواعيه، ومن تغطية الرأس، والطيب، وتقليم الأظافر، وقص الشعر.. فيجب عليه تجنبها؛ لأن الله تعالى أراد منه ذلك. ولو امتنع عن شيء لم يمنعه الله منه - كالأكل والشرب -، معتقداً أن ذلك لأجل الإحرام لكان مبتدعاً، كما أنه لو فعل شيئاً من محظورات الإحرام كان مخطئاً. فإذا انتهى إحرامه كان مطالباً بأن يخلق رأسه أو يقصره، وأن يغتسل ويتزين ويتطيب ويقلم أظفاره (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ) [الحج: ٢٩].

هكذا يتربى المؤمن على معنى الاستسلام والعبودية لله تعالى، بحيث يأمره بالشيء؛ فيمتثل، ويأمره بضده؛ فيمتثل، سواء أدرك الحكمة أو لم يدركها.

المعنى الرابع: أن الصوم تربية للمجتمع:

وذلك أن الصائم حين يرى الناس من حوله صيماً كلهم؛ فإن الصوم يكون يسيراً عليه، ويحس بالتلاحم مع المجتمع الذي يربطه به جانب عبادي، يلتقي عليه الجميع.

إن الذي يقارن بين صوم النافلة وصوم رمضان يجد أن في صوم النافلة شيئاً من الكلفة، بينما يجد أن صوم رمضان المفروض يسير سهل، لا كلفة فيه، ولا مشقة؛ للسبب الذي سلف ذكره، حيث إن الصائم في رمضان لا يرى حوله إلا صائمين مثله، فإن خرج إلى السوق وجد الناس فيه صيماً، وإن دخل البيت وجد أهله صيماً، وإن ذهب إلى دراسته أو عمله وجد الناس صيماً.. وهكذا، فيشعر بمشاركة الجميع له في إمساكه؛ فيكون ذلك عوناً له، ومنسياً له ما قد يجده من المشقة؛ ولذلك نجد المسلمين الذين يدركهم رمضان في بلاد

كافرة دفعتهم الضرورة للذهاب إليها، إما لمرض أو لغيره، نجدهم يعانون مشقة ظاهرة في صيام رمضان؛ لأن المجتمع من حولهم مفطرون، يأكلون ويشربون، وهم مضطرون لمخالطتهم.

إذن ، فشعور الصائم بأن الناس من حوله يشاركونه عبادته، يخفف عليه أمر الصوم، ويعينه على تحمله بيسر وسهولة، وهذا الأمر ملحوظ، حتى في المجتمعات التي لم يبق فيها إلا بقايا قليلة للإسلام، فإنك تجد آثار رمضان ظاهرة على الجميع، حتى الفساق في ذلك المجتمع الذي غلب عليه الفساد يظهر عليهم أثر هذا الشهر الكريم، وفي ذلك تربية للمجتمع بجملته.

ومن هنا كانت عناية الإسلام بإصلاح المجتمعات عناية كبيرة، فالفساد بصفته حوادث فردية، لا مناص من وقوعه في المجتمع، وقد وقع شيء من تلك الحوادث الفردية في مجتمع الصحابة الأطهار، فكان هناك مَنْ سَرَقَ، وَمَنْ شرب الخمر، وَمَنْ زنا.. فهذا الأمر لا بد من وقوعه، لكن الذي لا يصح أن يقع في المجتمع المسلم هو: أن تعلن المنكرات ويجاهر بها؛ فيتلوث المجتمع العام، ويصبح من العسير على الفرد الذي يريد طريق الخير أن يهتدي؛ لأن المجتمع يضغط عليه، ويثنيه عن غايته.

فتربية المجتمع من مقاصد الإسلام، والصوم من وسائل ذلك، وأثره في ذلك المجال واضح، ولعل من مظاهر ذلك - إضافة إلى ما سبق - أنك تجد صغار السن في المجتمع يصومون، وتجد أهل الفسق يستسرون بالعصيان، وترى الكفار لا يعلنون الأكل والشرب.

الوقفه الرابعة

مع فضائل الصيام

للصيام عدة فضائل منها:

— أن الصيام جنة^(٣) من النار، كما روى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصوم جنة يستجن بها العبد من النار"^(٤)، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً"^(٥). فإذا كان صوم يوم واحد يباعد وجه الصائم عن النار سبعين عاماً؛ فما بالك بصوم شهر رمضان كله، أو صوم ثلاثة أيام من كل شهر نافلة، أو غير ذلك من أنواع الصيام المشروع؟! إنه لفضل عظيم..

والصوم جنة من الشهوات، فقد جاء في حديث ابن مسعود -المتفق عليه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"^(٦)، فأرشد صلى الله عليه وسلم الشاب الذي لا يستطيع

(٣) الجنة: السترة. لسان العرب (٩٤/١٣).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٨٤٠) من حديث جابر رضي الله عنه. وأورده الهيتمي في المجمع (١٨٠/٣) وقال: إسناده حسن اهـ، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١٤٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الزواج أن يستعين بالصوم على إطفاء أجاج الشهوة؛ لأن الصوم يجأ الشهوة ويقطعها.

وإن كثيراً من الشباب اليوم يشكون من الشهوة، التي يثيرها ما شاع في هذا العصر بخاصة؛ من نساء يتبرجن في الأسواق، ومجلات هابطة في المكتبات والمحلات، وغير ذلك من الفتن التي تلاحق الشباب في الطائفة، وفي الشارع، وفي المستشفى.. وغيره، والشباب مجبول على ما ركب الله تعالى فيه من الشهوة الغريزية، التي تتحرك عند وجود ما يثيرها، وبخاصة إذا اجتمع مع ذلك ضعف الوازع الديني..

فإلى هؤلاء الشباب نهدى هذه النصيحة النبوية: "ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء". ولقد ثبت بالتجربة جدوى هذا الطب النبوي، الذي يمثل دواء ناجعاً لما يكابده الشباب من الشبق^(٧)، ويغني عن غيره من الأدوية المادية.

— أن الصوم سبيل إلى الجنة، فقد روى النسائي - بسند صحيح -

عن أبي أمامه رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، مرني بأمر ينفعني الله به. قال: "عليك بالصيام؛ فإنه لا مثل له"^(٨). فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا شيء يقرب العبد من الله، ويباعده من عذابه كالصيام.

(٧) الثبوق: شدة الشهوة.

(٨) أخرجه عبد الرزاق (٧٨٩٩)، وابن أبي شيبة (٨٨٩٥)، وأحمد (٢١٧٧٣)، والنسائي (٢٢٢١)، وابن خزيمة (١٨٩٣)، وابن حبان (٣٤٢٥)، والحاكم (١٥٣٣) والبيهقي (٨٢٦٣)، والطبراني في الكبير (٧٤٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٩٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/٣): رجال أحمد رجال الصحيح. اهـ وقد صححه الحاكم.

بل أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن في الجنة باباً خاصاً بالصائمين، كما في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؛ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد"^(٩).

ونلاحظ أن اسم هذا الباب يتناسب مع صفة الصائم الذي يصيبه العطش من أثر الصيام.

— أن الصيام يشفع لصاحبه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -

رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوات بالنهار؛ فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل، فشفعني فيه. قال: فيشفعان"^(١٠).

فالصوم يتمثل يوم القيامة شيئاً حسياً، ينطق ويشفع لصاحبه، سواء كان صوم فرض أو صوم نفل.

— أن الصوم كفارة ومغفرة للذنوب، فإن الحسنات تُكفِّرُ السيئات،

قال الله تعالى: { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود: ١١٤]. والصوم فيه من الحسنات الشيء الكثير .

(٩) البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(١٠) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٨٥)، وأحمد (٦٥٨٩)، والحاكم (٢٠٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٤) وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمي في المجمع (٣٨١/١٠): إسناد أحمد حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق أهـ.

وفي تكفير الصوم للذنوب وردت أحاديث عدة، منها حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها: الصلاة والصيام والصدقة"^(١١)، أي أن كل ما يبدر من العبد من أخطاء في حق أهله؛ بكلمة نابية، أو تقصير، ومن أخطاء في حق جيرانه: كل ذلك وما أشبهه من الصغائر تكفرها الصلاة والصوم والصدقة.

وفي الحديث المتفق على صحته، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه"^(١٢)، أي: إيماناً بالله سبحانه وتعالى واحتساباً للأجر الذي أعدّه الله - تبارك وتعالى - للصائمين.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر"^(١٣)؛ فصوم رمضان سبب لمغفرة الذنوب التي بينه وبين رمضان الذي سبقه، إذا اجتنبت كبائر الذنوب؛ فإن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة - كما هو مذهب جمهور علماء السلف -، ولذلك قال الله تعالى: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: ٣١].

(١١) البخاري (٥٢٥)، ومسلم (١٤٤) من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(١٢) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

— أن الصوم سبب للسعادة في الدارين، كما في الحديث المتفق عليه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"^(١٤).

أما فرحته عند فطره فهي نموذج للسعادة واللذة التي يجدها المؤمن في الدنيا؛ بسبب طاعته وتقواه لمولاه سبحانه وتعالى، وهي السعادة الحقيقية.

وفرحته عند فطره تأتي من جهتين:

الأولى: أن الله تعالى أباح له الأكل والشرب في تلك اللحظة، والنفس - بلا شك - مجبولة على حب الأكل والشرب؛ ولذلك تعبدنا الله - تبارك وتعالى - بالإمساك عنهما.

الثانية: سروراً بما وفقه الله - تعالى - إليه من إتمام صيام ذلك اليوم، وإكمال تلك العبادة، وهذا أسمى وأعلى من فرحه بإباحة الطعام له.

— أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك،

وخلوف فمه هو: الرائحة التي تنبعث من المعدة - عند خلوها من الطعام - عن طريق الفم، وهي رائحة مكروهة عند الخلق، لكنها محبوبة عند الخالق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق عليه -: "والذي نفس محمد بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"^(١٥).

(١٤) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٥) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي هذا دليل على أنه لا بأس من أن يستاك الصائم بعد الزوال؛ بل هو أمر مستحب -على القول الراجح الصحيح- في المواضع التي يستحب فيها السواك في كل حال: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند دخول المنزل، وعند الاستيقاظ من النوم... إلى غير ذلك من المواضع؛ لأن هذا الخلوف ليس من الفم، وإنما هو من المعدة .

وكما أن خلوف فم الصائم المكروه لدى المخلوقين أطيب عند الله - سبحانه- من ريح المسك؛ فكذلك دم الشهيد يوم القيامة له رائحة المسك، مع أن الدم -من حيث هو- مستقذر؛ بل هو نجس عند أكثر الفقهاء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من مكلوم ^(١٦) يُكَلِّم في الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دم، والريحُ ريح مسك" ^(١٧).

وهكذا فإن ما قد يكون مكروهاً للبشر يكون محبوباً عند الله؛ لأنه من آثار التقرب إليه؛ ولهذا كان بكاء المذنبين، وانطراحهم بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ من أعظم القربات إليه، وربما كان في كثير من الأحيان خيراً من كثير من العبادات والطاعات التي يدلُّ بها العبد، ويستعظمها في نفسه، وقد يزهي بها، بخلاف المنكسرين الباكين، المحسين بتقصيرهم - وإن كانوا مذنبين-. وليس شيء أعظم من الدعاء؛ لأن الدعاء يتحقق فيه انكسار العبد وذلّه، وخضوعه بين يدي ربه، ويظهر فيه فقره، وحاجته إلى فضله، وبخاصة

(١٦) المكلوم: الذي فيه جراح، والكلم: الجراحة. مختار الصحاح (ص ٢٤٠).

(١٧) رواه البخاري (٥٥٣٣) ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حين يكون العبد مضطراً { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } [النمل: ٦٢].

الوقفه الخامسة

من فضائل شهر رمضان

بعد أن تحدثنا عن فضائل الصوم - فرضاً كان أو نفلاً - نقف هنا مع

فضائل الشهر الكريم:

— فهو شهر القرآن: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)

[البقرة: ١٨٥]. وقوله: (أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ). يحتمل عدة معان :

فقد يكون المراد إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما جاء ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وقد يكون المقصود أن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ابتدأ في شهر رمضان؛ ذلك أن القرآن نزل أول ما نزل في ليلة تقابل ليلة القدر، وليلة القدر من رمضان.

وقيل: إن معنى قوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) أي: الذي أنزل القرآن في مدحه، والثناء عليه، وبيان فضله، وإيجاب صيامه.

وأقوى هذه المعاني هو الأول، والمعنى الثاني قريب منه.

— وهو شهر الصبر، فإن الصبر لا يتجلى في شيء من العبادات تجليه

في الصوم، حيث يجبس المسلم نفسه: عن الأكل، والشرب، والجماع وغيره

في النهار طوال شهر كامل؛ ولهذا كان الصوم نصف الصبر، وجزاء الصبر

الجنة، كما يقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠].

— وفيه تغلق أبواب النيران، وتفتح أبواب الجنان. وتصفد الشياطين ومردة الجن، كما جاء في الحديث المتفق عليه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين"^(١٨) وفي لفظ: "وسلسلت الشياطين"^(١٩)، أي جعلوا في الأصفاد والسلاسل؛ فلا يصلون في رمضان إلى ما كانوا يصلون إليه في غيره، ولذلك تجدد أن وسوسة الشيطان، وكيدته، وتلبيسه على الناس في رمضان أقل منه في غيره، بل إن الشيطان يخاف من رمضان كما يخاف من الأذان والإقامة؛ فيولي عند سماعهما.

ولعل من المشاهد الملحوظ أنه إذا أقبل رمضان بدأ العصاة يستعدون للتوبة، وكثيراً ما يسأل بعض الناس قبيل رمضان أسئلة تدل على استعدادهم للتوبة؛ وعزمهم عليها، فيقول أحدهم: أنا عندي مظلمة؛ فكيف أتخلص منها؟ ويقول آخر: أنا أقع في المعصية الفلانية؛ فكيف أتوب منها؟ ويقول غيره: أنا أقصر في الطاعة الفلانية؛ فكيف أحافظ عليها؟ وهكذا يتأهبون للتوبة قبل رمضان، فالشيطان يخاف من قدوم رمضان وقربه، حيث يضعف كيدته وتأثيره، فما بالك إذا دخل رمضان، وسلسل الشيطان، وصدف بالأغلال، فلا يستطيع إغواء الناس إلا في أقل القليل من الذنوب.

^(١٨) أخرجه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله.

^(١٩) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله.

على أن هناك نفوساً شريرة؛ شديدة التقبل لوسوسة الشيطان، فهي - حتى حين يضعف تأثير الشيطان في رمضان - يكون فيها شر في ذاتها، فتستمر على ما كانت عليه من معصية وإسراف .

— وفي هذا الشهر ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ اجب تَنْزَلُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ احب سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ) [القدر: ٣ - ٥].

وقد حسب بعض أهل العلم ألف شهر، فوجدوها تزيد على ثلاث وثمانين سنة، وفي موطأ الإمام مالك - بسند مرسل - : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَ أعمار الناس قبله - أو ما شاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته، ألا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر ، خير من ألف شهر" (٢٠).

وإنه لفضل عظيم أن يدرك العبد ليلة القدر؛ فيكون قد أدرك فضل ثلاث وثمانين سنة أو أكثر.

— وفيه دعاء مستجاب، فقد ورد عن جابر رضي الله عنه - بسند جيد - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان، وإن لكل مسلم دعوة يدعو بها فيستجاب" (٢١)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله

(٢٠) أخرجه مالك (٦٩٨) مرسلًا، قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٧٣/٢٤): لا أعلم هذا الحديث يروى مسندًا من وجه من الوجوه، ولا أعرفه خارج الموطأ مرسلًا ولا مسندًا، وهذا أحد الأحاديث التي انفرد بها مالك ولكنها رغائب وفضائل وليست أحكامًا، ولا بنى عليها في كتابه ولا في موطئه حكمًا. اهـ.

(٢١) أخرجه البزار في مسنده، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد (١٤٩/١٠) وقال: رجاله ثقات. اهـ، وأخرج أحمد (٧٤٠١) مرفوعًا: "إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة" وقد أشار الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٢٠٣/٧) إلى أن هذا مقيد بشهر رمضان.

عليه وسلم - قال: "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد" ^(٢٢)، فليحرص العبد عند إفطاره على التضرع إلى الله تعالى بجوامع الدعاء.

(٢٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٦٣٦): إسناد صحيح رجاله ثقات. اهـ.

الوقفه السادسة

مع بعض أحكام الصيام

إن الكلام عن أحكام الصيام يطول، ولكن لا بأس بالحديث عن

أبرزها باختصار:

أولاً: ما يثبت به دخول رمضان:

يثبت دخوله إما بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، أو برؤية هلال رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غمَّ عليكم فاقدروا له"^(٢٣)، وفي لفظ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، غُبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً"^(٢٤).

ولا يثبت بغير ذلك، ولهذا لا يعتمد - مثلاً - على الرؤيا. ومن طريف ما يُروى - هنا - أن العراقي ذكر في (طرح التشريب) أن القاضي حسين - وهو من فقهاء الشافعية - جاءه رجل فقال له: أنا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: إن الليلة من رمضان، فقال القاضي حسين: "إن الذي تزعم أنك رأيته في المنام رآه الصحابة في اليقظة، وقال لهم: صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته".

ولا يجوز - على الراجح - أن يصوم المسلم آخر يوم من شعبان، احتياطاً لرمضان، وأما من صام ذلك اليوم لأنه يوافق يوماً كان يصومه؛ فلا حرج،

^(٢٣) رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

^(٢٤) البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كأن يصومه لأنه يوافق يوم الاثنين أو الخميس؛ أو لأنه يصوم يوماً ويفطر يوماً، فوافق يوم صومه آخر شعبان، أو غير ذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يتقدم من أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم"^(٢٥).

ثانياً: النية:

لا بد من تبييت النية في صوم الفرض؛ لما روت حفصة - رضي الله عنها - ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له"^(٢٦).

أما صيام النفل فلا يجب فيه تبييت النية من الليل؛ بل يجوز بنية من الليل أو النهار، فلو نوى المرء صوم النافلة بعد طلوع الشمس - مثلاً - فصومه صحيح. وهنا تنبيهان حول تبييت النية:

الأول: أن بعض الناس يوسوسون في النية، والوسوسة في النية من

أخطر أنواع الوسواس؛ فترى بعضهم يتكلمون ويشككون في تبييتهم لنية الصيام، وهذا كله من تلبيس إبليس الذي يجب ألا يلتفت إليه الصائمون، فإن المسلم بمجرد دخول رمضان يستقر في نفسه أنه سيصوم رمضان كله، وهذا يكفي.

(٢٥) رواه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٦) أخرجه مالك (٦٣٧)، وأحمد (٢٥٩١٨)، والدارمي (١٦٩٨)، وأبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي في المجتبى (٢٣٣١)، وفي الكبرى (٢٦٤٢)، وابن ماجه (١٧٠٠)، والدارقطني (١٧٢/٢)، والطبراني في الكبير (٣٦٧)، وابن خزيمة (١٩٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٧٦٩٦) عن حفصة رضي الله عنها. قال البخاري فيما نقله عنه الترمذي في العلل الكبير (٢٠٢): فيه اضطراب والصحيح عن ابن عمر موقوفاً. اهـ ورجح وقفه النسائي في الكبرى (٢٦٤٢).

الثاني: أن الليل يشمل جميع المدة التي قبل طلوع الفجر، فلو نام أحد من الليل بدون أن يعلم أن تلك الليلة من رمضان، ثم استيقظ قبل طلوع الفجر بيضع دقائق، وعلم أن الليلة من رمضان، فتناول ما تيسر، ثم أمسك؛ لكان ذلك كافياً، وليس المقصود بتبييت النية أنه يلزمه أن ينام، وقد نوى أنه سوف يصوم.

ثالثاً: السحور:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسحور، كما في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تسحروا، فإن في السحور بركة"^(٢٧)، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر"^(٢٨)، فاليهود والنصارى - فيما يظهر - لا يتسحرون؛ ومخالفة لهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأن يتسحروا، فينبغي الحرص على السحور ولو على شربة من ماء، إن لم يجد المسلم غيرها.

رابعاً: الإفطار:

يستحب تعجيل الفطر، وتأخير السحور، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق عليه -: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"^(٢٩)،

(٢٧) البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢٨) مسلم (١٠٩٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢٩) البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وجاء من طرق عن العباس رضي الله عنه وغيره: "لا تزال أمي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور" (٣٠).

وفي صحيح مسلم أن عائشة - رضي الله عنها - سئلت عن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار، ويؤخر الصلاة؛ أيهما أفضل؟ فقالت: "عن الذي يعجل الإفطار، ويعجل الصلاة كذلك كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٣١).

فيستحب للصائم أن يبادر بالفطر بمجرد ما يتيقن غروب الشمس، وأن يفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد حسًا حسواتٍ (٣٢) من ماء، كما روى أنس رضي الله عنه عن النبي: صلى الله عليه وسلم "أنه كان يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد حسًا حسوات من ماء" (٣٣). ويستحب أن يقول عند الإفطار: "ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى" (٣٤).

(٣٠) أخرجه أحمد (٢٠٨٠٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/٣): فيه سليمان بن أبي عثمان قال أبو حاتم مجهول. اهـ، وقد رمز لحسن الحديث السيوطي في الجامع الصغير (١٣٢٤٠)، وصحح الشيخ الألباني قوله سبحانه وتعالى: "لا تزال أمي بخير ما عجلوا الفطر" في صحيح الجامع (٧٢٨٤)، لورود شواهد تقويه، وحكم بالضعف على لفظة: "وأخروا السحور" انظر ضعيف الجامع (٦٢١٢). قال ابن عبد البر: أخبار تعجيل الفطر وتأخير السحور متواترة. اهـ نقلًا عن فيض القدير للمناوي (١٣٢٤٠).

(٣١) أخرجه مسلم (١٠٩٩) عن أبي عطية الهمداني.

(٣٢) تجرع جرعة بعد جرعة. المعجم الوسيط (١٨١/١).

(٣٣) رواه أحمد (١٢٢٦٥)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، والدارقطني (٢٣)، والحاكم (١٥٧٥)، والضياء في المختارة (١٥٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقد صححه الدارقطني وكذلك الحاكم وقال: على شرط مسلم.

(٣٤) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والدارقطني (٢٤)، والحاكم (١٥٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٧٩٢٢)، وفي شعب الإيمان (٣٩٠٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال الدارقطني: إسناده حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

هذا أصح ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء عند الإفطار، ولا يثبت في أدعية الإفطار غيره، لكن للصائم أن يدعو عند فطره بما شاء من خير الدنيا والآخرة .

خامساً: المفطرات:

ومن أحكام الصيام ما يتعلق بالمفطرات التي تفسد الصوم، وهي:

١، ٢، ٣ - الأكل والشرب والجماع: إذا تعمد الصائم شيئاً منها، من غير إكراه ولا نسيان، فإنه يفسد صومه بنص القرآن، وإجماع أهل العلم، قال الله تعالى: { عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ } [البقرة: ١٨٧]

فمن أفطر بالأكل أو الشرب عمداً فعليه التوبة والاستغفار، وأن يقضي يوماً مكان يومه الذي أفسد صومه فيه، وليس عليه كفارة، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم.

وأما من أفطر بالجماع فإن عليه أربعة أمور:

الأول: أن يمسك بقية اليوم؛ لأن هذا فطر غير مشروع، فليس له أن يأكل أو يشرب حتى تغرب الشمس.

الثاني: أن عليه التوبة؛ لأنه ارتكب إثماً عظيماً يُوجب التوبة والإنابة.

الثالث: أن يقضي اليوم الذي جامع فيه.

الرابع: أن عليه الكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، فإن لم يجد سقطت عنه الكفارة.

٤ - القيء عمدًا، وهو أن يتعمد المرء إفراغ ما في معدته، إما بإدخال إصبعه في فمه، أو بشم شيء يهيج المعدة، أو بغير ذلك. فإذا بدر من الصائم هذا العمل؛ فقد فسد صومه، وعليه قضاء يومه ذلك.

وأما من غلبه القيء بدون إرادة منه أو تعمد، فصومه صحيح ولا قضاء عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ذرعه^(٣٥) القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمدًا فليقض"^(٣٦) رواه أبو داود والترمذي، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه (حقيقة الصيام) أنه حديث صحيح^(٣٧).

٥، ٦ - الحيض والنفاس، فإن المرأة إذا حاضت أو نفست؛ فإنه لا يصح منها الصوم بالإجماع، فقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: "كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة"^(٣٨).

هذه هي المفطرات المشهورة، ويدخل فيها ما كان في معنى أحدها، فالإبر المغذية التي يستغني بها الإنسان عن الأكل والشرب تفطر الصائم؛ لأنها في معنى الأكل والشرب. والاستمناء يفطر؛ لأنه في معنى الجماع، وهكذا كل ما كان في معنى شيء من المفطرات.

^(٣٥) ذرعه: غلبه. المعجم الوسيط (١/٣٢٢).

^(٣٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٩١٨٨)، وأحمد (١٠٠٨٥)، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، ابن الجارود (٣٨٥)، وابن خزيمة (١٩٦٠)، وابن حبان (٣٥١٨)، والحاكم (١٥٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ وقال الدارقطني: رواه ثقات اهـ، قال المناوي في فيض القدير (١١١٨): ذكر الترمذي أنه سأل عنه البخاري فقال: لا أراه محفوظاً، وقد روي من غير وجه ولا يصح إسناده وأنكره أحمد، وقال الدارمي: زعم أهل البصرة أن هشاماً وهم فيه. اهـ

^(٣٧) انظر حقيقة الصيام ص ١٣ وما بعدها.

^(٣٨) أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).

الوقفه السابعة

رُخْصُ الصَّوْمِ

ثمة رخص عديدة امتن الله بها على الصائمين؛ رفعاً للحرَج والمشقة

عن العباد، منها:

أولاً: من أكل أو شرب ناسياً، وهو صائم؛ فصومه صحيح، ولا قضاء

عليه، وهذا هو الراجح عند جمهور العلماء، خلافاً لمالك -رحمه الله-، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نسي وهو صائم، فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه"^(٣٩).

لكن يجب عليه إذا تذكر وفي فمه شيء أن يلفظه، وكذلك يجب على الذي يراه وهو يأكل أن يذكره أنه في نهار رمضان؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى.

ثانياً: أن من أصبح جنباً من جماع أو احتلام في الليل؛ فإنه يصوم ولا

شيء عليه، ويغتسل بعد ذلك، أي أنه يصح أن ينوي الصيام وهو جنب، خلافاً لما أفتى به أبو هريرة رضي الله عنه في أول الأمر، فإن هذا كان أول الأمر ثم نسخ.

(٣٩) البخاري (٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥).

ثالثاً: السواك بعد الزوال: فإنه مَرخَص فيه للصائم بعد الزوال، بل هو مستحب في المواضع التي يستحب فيها في سائر الأحوال، وسيأتي حديث مستقل عن هذا الأمر^(٤٠).

رابعاً: المضمضة والاستنشاق، ينبغي ألا يبالغ فيهما؛ خشية أن يصل شيء من الماء إلى حلقه؛ فيفطر بذلك. ففي حديث لقيط بن صبرة صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً"^(٤١)، وفي بعض الروايات: "وبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً"^(٤٢).

خامساً: جواز الفطر في نهار رمضان للمسافر، وهو أفضل من الصوم إن كان الصوم يشق عليه، حتى لو كان سفره في الطائرة، أو في سيارة مريحة، أو نحو ذلك.

(٤٠) انظر ص ٩١ فما بعدها.

(٤١) أخرجه أحمد (١٥٩٤٦)، والدارمي (٧٠٥)، وأبو داود (٢٣٦٦)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (١٤٤)، وابن ماجه

(٤٠٧) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤٢) أخرجه الدوالبي في جزء من حديث الثوري كما في نصب الراية (١٦/١)، وتلخيص الحبير (٨١/١) وغيرهما.

الوقفة الثامنة

أخطاء الصائمين

لا ريب أن الصائمين من خير عباد الله تعالى، ولكن ثمة أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، فلا بد من التنبيه إليها، والتحذير منها، فمن ذلك:

أولاً: أن بعض الناس يقبلون على العبادة في رمضان، ويدعونها في غيره، فترى المساجد تمتلئ في رمضان فقط، بل إن من المحزن أن تراها تمتلئ في وقت المغرب بالذات بشكل أكبر، ويكون ذلك في اليوم الأول أبرز منه في اليوم الثاني، ولا يزال الناس يتناقصون، حتى يكون آخر شهر رمضان مثل غيره من الشهور تقريباً. وهذا أمر خطير، وظاهرة مرضية، كأن هذا الصنف لا يعرفون الله إلا في رمضان - والعياذ بالله -.

فيجب على الدعاة، والوعاظ، وأئمة المساجد؛ أن يستغلوا فرصة خروج أولئك الناس من بيوتهم إلى المساجد؛ لينبهوهم إلى خطورة هذا العمل، وفداحة أمر التهاون بالصلاة التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر" (٤٣).

ثانياً: أن بعض الناس يصومون عن: الأكل، والشرب، والجماع، وغيره من المفطرات، ولا يصومون عن أشياء محرمة: كالغيبة، والنميمة، وقول الزور، وشهادة الزور، والكذب، والسب، والشتم، والغش، والاعتداء... وغير ذلك

(٤٣) أخرجه أحمد (٢٢٤٢٨)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

من المخالفات القولية أو الفعلية. وهذا لا شك أنه انتكاس في مفهوم الصيام؛ لأن الصوم تربية للصائم، فليس من المعقول أن يربيك الله على الإمساك عن بعض المباح، ثم لا تمسك عن المحرمات. ولقد قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (٤٤) ولقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصائم يفطر بارتكابه لشيء من هذه المحرمات؛ من غيبة ونميمة وغيرها، ومن ذهب إلى ذلك ابن حزم، وقد احتجوا بحديث المرأتين اللتين غلبهما الصيام، فعن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا، وأن رجلاً قال: يا رسول الله، إن هاهنا امرأتين قد صامتا وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش فأعرض عنه، أو سكت، ثم عاد وقال: يا نبي الله، إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا، قال: ادعهما. قال: فجاءتا، قال: فجيء بقدرح أو عس، فقال لإحدهما: قيئي، فقاءت قيحاً أو دمماً وصديداً ولحمًا، حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: قيئي، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط (٤٥) وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: إن هاتين صامتا عما أحل الله، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما، جلست إحدهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس" (٤٦).

لكن هذا الحديث ضعيف، والصحيح أن الصائم لا يفطر بالغيبة والنميمة ونحوها، لكنه قد ارتكب جرماً عظيماً، وخالف مقاصد الصيام.

(٤٤) أخرجه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة

(٤٥) دم عبيط: طري. المعجم الوسيط (٦٠٢/٢).

(٤٦) أخرجه الطيالسي (٢١٠٧)، وأحمد (٢٣١٤١)، والرويانى (٧٢٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧٢٢)، من حديث شيخ عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/٣): فيه رجل لم يسم. اهـ

ثالثاً: أن بعض المتحدثين عن فضائل الصيام، يركزون في حديثهم على الفوائد الدنيوية للصوم؛ كالفوائد الصحية - مثلاً-، وينسون أو يقصرون في تنبيه الناس إلى الجانب الأخروي في الصيام، وأنه عبادة لله تعالى حتى لو فرض أنه كان غير صحي؛ ولهذا فإن المؤمن يخوض المعارك وقد تذهب روحه فيها؛ لأن ذلك طاعة وعبادة لله تعالى.

إذن فليس المقصود الأول من الصوم أن يصح الجسد، ويسلم من الآفات، أو أن يحصل الصائم على منفعة عاجلة، وإنما المقصود التبعّد لله تعالى، وتأتي الفوائد الدنيوية تبعاً.

رابعاً: سوء الخلق: فبعض الصائمين يبدو سيئ الخلق؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب، فتراه قاسياً فظاً غليظاً على أهله، وعلى الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم، يستعمل الألفاظ النابية، ويتصرف تصرفات متشنجة، وهذا خلاف ما يجب أن يكون عليه الصائم من حسن الخلق الذي أوصاه به الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المتفق عليه: "الصيام جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل إني صائم" (٤٧).

فما بال بعض الناس إذا صام اشتدت أعصابه، وطار صوابه، وطفق يرمي بالعبارات الجافية القاسية أهله وأولاده، وجيرانه وزملاءه ومعامله، وربما كان في غير حال الصوم هادئاً وديعاً، خلوقاً لطيفاً!!

(٤٧) أخرجه البخاري (٢٢١٦)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خامساً: أن بعض الصائمين يتخذ رمضان فرصة للكسل والخمول، في حين أن المسلمين الأوائل كانوا على عكس ذلك، فكثير من المعارك الإسلامية الشهيرة كانت في رمضان.

وبعض الذين يجعلون رمضان فرصة للإكثار من النوم ويحتجون بأحاديث ضعيفة، مثل حديث: "نوم الصائم عبادة"^(٤٨)، وعلى فرض صحته فإنه لا يدل على مرادهم، فإن الذي ينبغي للصائم هو أن يغتنم رمضان للاستزادة من العمل الصالح بهمة ونشاط.

سادساً: التوسع في المآكل والمشرب، فإن كثيراً من الناس يستعدون لاستقبال شهر رمضان بألوان المطاعم والمشروبات، مما قد لا يعرفونه في غير رمضان، وهذا - بلا ريب - ينافي الحكمة من مشروعية الصيام . (فقد جعله الله للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة ، جعله الله للحلم والصبر فجعلوه للغضب والطيش ، جعله الله للسكينة والوقار فجعلوه شهر السباب والشجار ، جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم فما غيروا إلا مواعيد أكلهم ، جعله الله تهدياً للغني الطاعم ، ومواساة للبائس المحروم فجعلوه معرضاً لفنون الأطفمة والأشربة ، تزداد فيه تحمة الغني بقدر ما تزداد حسرة الفقير ! فلعل المسلمين يصومون الصيام الذي يعدهم لتقوى الله كما أمر القرآن حتى يخرجوا من رمضان مطهرين مغفوري الذنوب)^(٤٩)

^(٤٨) أخرجه ابن صاعد في مسند ابن أبي أوفى (٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٣٧، ٣٩٣٩، ٣٩٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى. قال المناوي في فيض القدير (١٢٧٤٠): قال البيهقي فيه معروف بن حسان ضعيف، وسليمان بن عمر النخعي أضعف منه. اهـ، وقال الحافظ العراقي: فيه سليمان النخعي أحد الكذابين اهـ وأقول: فيه أيضاً عبد الملك بن عمير أورده الذهبي في الضعفاء، وقال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن معين: مختلط، وقال أبو حاتم: ليس بحافظ. اهـ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨٣/٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والسهمي في تاريخ جرجان (٣٧٠/١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر ضعيف الجامع (٥٩٧٢).

^(٤٩) العباداة في الإسلام للقرضاوي ص ٢٧٩، ٢٨٠.

الوقفه التاسعة

مع بعض الأحاديث الضعيفة

هناك عدة أحاديث يتداولها الناس في رمضان، وهي ضعيفة لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها:

— **حديث:** "نوم الصائم عبادة"^(٥٠) الذي سلف ذكره قريباً، وقد رواه ابن منده عن ابن عمر، ورواه البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى، وهو ضعيف، ضعفه الحافظ العراقي في تعليقه على كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي.

— **حديث:** "من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر لم يجزه صيام الدهر كله ولو صامه"^(٥١).

هذا حديث مشهور على الألسنة، وقد ذكره البخاري تعليقاً، ورواه الأربعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه من طريق أبي المطوس عن أبيه عن أبي هريرة، وهو حديث ضعيف، فيه ثلاث علل: فأبو المطوس هذا مجهول، وفيه احتمال الانقطاع بينه وبين أبي هريرة، وفيه كذلك اضطراب.

— **حديث:** "صوموا تصحوا"^(٥٢)، رواه ابن عدي، والطبراني في معجمه الأوسط، وهو حديث ضعيف، بل لعله ضعيف جداً.

(٥٠) تقدم تخريجه قريباً.

(٥١) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٧٨٣)، وعبد الرزاق (٧٤٧٥)، وأحمد (٩٧٣٠)، والدارمي (١٧١٤)، وذكره البخاري (٦٨٣/٢) تعليقاً بصيغة تفيد التمريض، وأبوداود (٢٣٩٦)، والترمذي (٧٢٣)، وابن ماجه (١٦٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٧٨٥٤) من حديث أبي المطوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال المناوي في فيض القدير (١٢٢٤٠): فيه أبو المطوس يزيد بن المطوس تفرد به، قال الترمذي في العلل عن البخاري: لا أعرف له غيره، ولا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا، وقال القرطبي: حديث ضعيف لا يحتج بمثله وقد صحّت الأحاديث بخلافه، وقال الدميري: ضعيف، وإن علقه البخاري، وسكت عليه أبو داود، وممن جزم بضعفه: البغوي، وقال ابن حجر: فيه اضطراب قال الذهبي في الكباير: هذا لم يثبت. اهـ

— حديث سلمان الفارسي الطويل المشهور، الذي كثيراً ما قرأه أئمة

المساجد على المصلين في مطلع رمضان من بعض كتب الوعظ والفضائل، وهو ما روي عن سلمان - رضي الله عنه - قال (خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم من شعبان فقال: "أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء". قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم. فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعودون به من النار، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى

(٥٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣٥٧/٢) من طريق نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس، ونهشل بن سعيد قال فيه إسحاق: كذاب، وقال النسائي: متروك الحديث. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣١٢) من طريق زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد ذكر العقيلي هذا الحديث في ترجمة زهير في الضعفاء (٥٤٩) وقال: لا يتابع عليه إلا من وجه فيه لين. اهـ وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٤٤) وعزاه لأبي نعيم وابن السني في كتاب الطب النبوي لهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال العراقي: كلاهما سنداه ضعيف. اهـ

يدخل اللجنة^(٥٣). وهو حديث ضعيف، في سنده علي بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف، بل قال أبو حاتم: هذا حديث منكر، وكذلك نقل غيره تضعيفه عن أئمة آخرين.

^(٥٣) أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧) والمحاملي في أماليه (٢٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠٨) وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (١٤٣٦): حديث ضعيف اهـ.

الوقفه العاشرة

مع قول الله تعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ل حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (٥٤).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" (٥٥).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" (٥٦).

وقد أمر الله بتلاوة كتابه، وبين أن هذا هو دأب الصالحين الصادقين، فقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ، لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) [فاطر: ٢٩، ٣٠].

(٥٤) رواه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٥٥) رواه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥٦) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فقراء القرآن هي التجارة الراجحة التي لا تبور، وذلك في جميع الدهور، وعلى مدى الأيام والشهور، لكن لها في رمضان شأنًا أعظم وأكد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزيد عنايته بالقرآن في رمضان، وذلك لأسباب:

— السبب الأول: أن ابتداء نزول القرآن كان في رمضان، فإن الليلة

التي نزل فيها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم) [العلق: ١ - ٤] كانت في شهر رمضان. وقصة نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم جاءت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها-، أنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(٥٧)، ثم حب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع^(٥٨) إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ^(٥٩). قال: فأخذني فغطني^(٦٠) حتى بلغ مني الجهد^(٦١)، ثم أرسلني^(٦٢) فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني

(٥٧) فلق الصبح: ضياؤه .

(٥٨) ينزع: يرجع. لسان العرب (٣٥١/٨).

(٥٩) ما أنا بقارئ: لا أعرف القراءة ولا أحسنها.

(٦٠) فغطني: ضمنني وعصرني حتى حبس نفسي. لسان العرب (٣٦٢/٧).

(٦١) الجهد: غاية وسعي. لسان العرب (١٢٣/٣).

(٦٢) أرسلني: أطلقتني. لسان العرب (٢٨٣/١١).

فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم) [العلق: ١ - ٣].

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال: زمّلوني زمّلوني^(٦٣)، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٦٤)، وتكسب المعدوم^(٦٥)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أومرني هم؟" قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب^(٦٦) ورقة أن تُوفي، وفتّر الوحي^(٦٧).

(٦٣) زمّلوني: لفوني وغطوني لسان العرب (٣١١/١١).

(٦٤) تحمل الكل: تقوم بشأن من لا يستقل بأمره، كاليتيم ونحوه. مختار الصحاح (٢٤٠/١).

(٦٥) تكسب المعدوم: تتبرع بالمال لمن عدمه. لسان العرب (٣٩٣/١٢).

(٦٦) لم ينشب: لم يلبث. لسان العرب (٧٥٧/١).

(٦٧) البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

هذه الحادثة كانت في رمضان، كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي، فيما نقله ابن الجوزي في كتابه "زاد المسير في علم التفسير"^(٦٨) عند تفسير قول الله تعالى: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة: ١٨٥]. أي: ابتداء إنزاله فيه.

ويحتمل أيضاً أن يكون هذا هو معنى قول الله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) [الدخان: ٣]، وقوله تبارك وتعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١]. إلى آخر السورة، ذلك أن ليلة القدر من رمضان.

— السبب الثاني: أن رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن من اللوح

المحفوظ إلى سماء الدنيا. كما جاء ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وكما أطبق السلف على أن القرآن فُصِّلَ من اللوح المحفوظ، وأُنزل إلى بيت العزة في سماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم كان ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجومًا بحسب الوقائع والأحوال، كما هو معروف في أسباب النزول.

وقد نقل هذا المعنى عن جماعة من الصحابة، كوائلة بن الأسقع، وعائشة - رضي الله عنهما -، وجاء مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفًا. ويُقَلَّ - أيضاً - أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لما قتل أبوه - وكان ذلك في رمضان سنة ٤٠ هـ - قام فخطب الناس وقال: "لقد قتلتم رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، ورفع فيها عيسى إلى السماء، وقتل فيها يوشع بن نون، وتيب على بني إسرائيل".

(٦٨) انظر زاد المسير (١/١٨٧) ط المكتب الإسلامي ١٤٠٧ هـ.

والآثار في ذلك عن السلف كثيرة جداً، وخلاصتها ما تقدم من أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، التي هي من رمضان.

— السبب الثالث : أن جبريل كان يأتيه صلى الله عليه وسلم في

رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة، كما في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة"^(٦٩).

وفي العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عارضه جبريلُ القرآنَ مرتين^(٧٠).

إذن، فقد كان رمضان بالذات مخصصاً لتدارس القرآن بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في كل سنة، بحيث يتم في كل رمضان مراجعة ما أنزل من القرآن فيقرأ النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل يستمع إليه، ومن خلال المعارضة يتم إثبات ما أمر الله تعالى بإثباته، ونسخ ما أمر بنسخه (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [الرعد: ٣٩]. كما أنه قد يتم أيضاً - شرح معاني القرآن، وتدارسها بين جبريل والرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦٩) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٧٠) أخرجه البخاري (٢٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

— وقد أخذ أهل العلم من ذلك : مشروعية ختم القرآن في رمضان؛ لأن جبريل والنبي عليهما صلوات الله وسلامه، كانا يُنهيان في كل رمضان ما سبق نزوله من القرآن، وفي آخر سنة أُنهياه مرتين بالمدرسة والمعارضة - كما تقدم - ، فهذا دليل على أنه يستحب للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم كاملاً في رمضان مرة أو أكثر؛ بل إن السنة أن يحتم القرآن في كل شهر مرة، وإن استطاع ففي كل أسبوع مرة بل إن استطاع ففي كل ثلاث ليال مرة، كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٧١)؛ ولذلك كان السلف يخصصون جزءاً كبيراً من وقتهم في رمضان لقراءة القرآن، حتى قال الزهري - رحمه الله -: إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام.

وكان الإمام مالك - رحمه الله - إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على قراءة القرآن الكريم من المصحف.

إذن، ففي رمضان أنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وفيه ابتدأ إنزال القرآن على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان جبريل يدارسه القرآن ويعارضه إياه؛ وهذه الأسباب مجتمعة لا بد أن تكون عناية المسلم بالقرآن مضاعفة في هذا الشهر الكريم، كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين من بعده.

وحول موضوع العناية بالقرآن أود أن أشير إلى ملحوظات جوهرية:

(٧١) انظر البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩)، والترمذي (٢٩٤٩)، وأبو داود (١٣٩٠).

الملاحظة الأولى: أن بعض الناس يظنون أن ختم القرآن مقصود لذاته، فَيَهْدُ^(٧٢) الواحد منهم القرآن هَذَا الشَّعْرَ، بدون تدبر، ولا خشوع، ولا ترفيق للقلب، ولا وقوف عند المعاني؛ بل همه الوصول إلى آخر السورة أو آخر الجزء، أو آخر المصحف.

ولا شك أن القرآن ليس لهذا أنزل؛ فإن الله تعالى يقول في هذا الكتاب الكريم نفسه (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) [ص: ٢٩]، وقال تعالى: (بَوْرَتِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) [المزمل: ٤]، وقال تعالى: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: ١٨٥، المرسلات: ٥٠]. (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) [الجاثية: ٦]. فمن الخطأ أن يحمل أحدنا الحماس إذا سمع بعض الآثار عن السلف التي تفيد أنهم يجتمون القرآن كل يومين مرة، أو كل يوم مرة؛ فيقول: لا بد أن أقتدي بهم، ويمضي يهذُّ القرآن هذا، غير متمعن ولا متدبر، ولا مراعي لأحكام التجويد، أو مخارج الحروف الصحيحة. إن كون العبد يقرأ بعضاً من القرآن: جزءاً، أو حزباً، أو سورة - بتدبر وتفكر - خير من أن يجتم القرآن كاملاً بدون أن يعي شيئاً منه. وقد ثبت - في الموطأ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه أخذ في تحصيل سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها^(٧٣).

وهل كان ابن عمر - رضي الله عنهما - محتاجاً أن يمكث ثماني سنين ليستظهر سورة البقرة؟ كلا، فإن صبيان الكتاب يحفظون القرآن كله في سنة أو سنتين،

(٧٢) الهذ: سرعة القراءة. لسان العرب (٥١٧/٣).

(٧٣) الموطأ (٤٧٩).

ولكنه رضي الله عنه استغرق ثماني سنين في سورة البقرة: يحفظها، ويتعلم معانيها، وأحكامها، وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ويقف عند ما ورد فيها... إلى غير ذلك، وهذا الذي جعله يفني في ضبطها هذا الوقت الطويل.

الملحوظة الثانية: أن هناك عادات شكلية في قراءة القرآن في بعض البلاد والبيئات، ففي بعض البيئات المصرية - مثلاً - عادة تسمى (المساهر) وكانت موجودة في الماضي بخاصة، ولعلها اندثرت، وهي أن يجلس الناس في شهر رمضان خاصة بعد صلاة التراويح إلى السحور في بيت أحد ذوي اليسار والغنى، فيستأجر لهم قارئاً يقرأ عليهم من كتاب الله، ويرفع الحاضرون أصواتهم بعد قراءة القارئ لكل آية قائلين: الله.. الله، أو: الله يكرمك، ربنا يكرمك.

ولا شك أن هذا العمل مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم من عدة جهات، منها:

أولاً: أن قراءة القرآن بالأجر لا أصل لها، وهذا الذي يقرأ القرآن بالأجرة المادية ليس له ثواب عند الله تعالى، مادام قصده هذه الأجرة الدنيوية.

ثانياً: أن جمع الناس بهذه الطريقة لا تتم به الفائدة، ولأن يقرأ الإنسان وحده؛ ليتدبر ويتمعن ويخشع خيراً من اجتماع على زعق^(٧٤) وضجيج وأصوات، ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من السبعة الذين يظلمهم

(٧٤) الزَّعَقُ: الصياح. المعجم الوسيط (٤٠٨/١).

الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الذي يذكر الله خالياً فيكي، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "ورجل ذكر الله خالياً؛ ففاضت عيناه"^(٧٥).

ثالثاً: أن رفع الأصوات عند قراءة القرآن ليس من سمت المؤمنين، بل هو منكر لا يجوز؛ لأن فيه سوء أدب مع كلام الله تعالى، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك، ولا أصحابه - رضوان الله عليهم-، وإنما كان هديه صلى الله عليه وسلم حسن التأدب مع القرآن، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ عليّ. قال: قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري. قال: فقرأت (النساء)، حتى إذا بلغت: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً) [النساء: ٤١]. قال لي: كَفَّ أَوْ أَمْسَكَ. فرأيت عينيه تذرفان"^(٧٦).

هذا هو الخشوع، والتأثر والاعتبار، وهذا هو الأدب الواجب مع القرآن، فصلى الله وسلم على معلم الناس الخير.

الملحوظة الثالثة: حول ما يسمى (الحتمة)، والمراد بها: قراءة القرآن في

صلاة التراويح والقيام، ثم الدعاء المعروف عند إتمام القرآن الكريم.

والناس في هذه القضية طرفان ووسط:

فمنهم من يقول: إن هذه بدعة، ولا يفصل.

ومنهم من يقول: إنها سنة، ويعمل بها بدون تفصيل أيضاً.

^(٧٥) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٧٦) البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والذي أراه صواباً أنه لا بد من التفصيل في ذلك ، كما يلي:

أولاً: إتمام القرآن الكريم - في صلاة التراويح والقيام - مشروع كما

سبق - .

ثانياً: الدعاء عند ختم القرآن الكريم - أيضاً- مشروع، فقد ثبت من

حديث جابر رضي الله عنه عند أحمد وأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: "اقرأوا القرآن، وابتغوا به الله من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة

القدح^(٧٧)، يتعجلونه ولا يتأجلونه"^(٧٨) أي يتعجلوه أجره.

ومن حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عند أحمد والطبراني: "من قرأ

القرآن فليسأل الله به..."^(٧٩).

وفي سنن الدارمي بسند جيد أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم

القرآن الكريم جمع أهل بيته فدعا بهم^(٨٠).

إذن ، فالدعاء عند ختم القرآن مستحب.

ثالثاً: هذا الدعاء - الذي يقال عند ختم القرآن - إن كان في صلاة

فينبغي أن يكون في صلاة الوتر، سواء في التراويح أو في القيام؛ وذلك لأن

الوتر هو الموضع الذي ثبت شرعاً أنه مكان الدعاء، فقد كان الرسول صلى

^(٧٧) إقامة القدح: القدح هو السهم قبل أن يراش، وقوله: إقامة القدح كناية عن أنهم يصلحون ألفاظه وكلماته، ويتكلمون في إقامة مخارجه وصفاته. انظر عون المعبود (٤٢/٣).

^(٧٨) أخرجه أحمد (١٤٤٤١)، وأبو داود (٨٣٠)، وأبو يعلى (٢١٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٤٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٦٧).

^(٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٠٠٢)، وأحمد (١٩٣٨٤)، والترمذي (٢٩١٧)، والبزار (٣٥٥٣)، (٣٧٠)، والرويانى (٨١)، والطبراني في الكبير (٣٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٢٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن ليس إسناده بذلك. اهـ، وقد حسنه السيوطي في الجامع الصغير (١١٤١٣)، والألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٧).

^(٨٠) سنن الدارمي (٣٤٧٣، ٣٤٧٤) من حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه.

الله عليه وسلم يقنت في وتره، وعلم الحسن - كما في سنن الترمذي بسند حسن - أن يقول في الوتر: "اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذلُّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت" ^(٨١).

إذن، فالسنة أن يكون الدعاء في الوتر، سواء كان ذلك قبل الركوع أو بعده، فكلاهما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان أكثر دعائه بعد الركوع ^(٨٢).

رابعاً: هذا الدعاء لا مانع من إطالته بمناسبة ختم القرآن، وإضافة أدعية تتعلق بالقرآن الكريم، مثل ما يقول بعض الأئمة: اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم. اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل القرآن لنا شافعاً... إلى غير ذلك من هذه الأدعية، وهذه ملاءمة جيدة.

أما الدعاء الشائع عند الناس، الذي يبدأ بقولهم: "صدق الله العظيم الذي لم يزل عليمًا قديرًا، صدق الله ومن أصدق من الله قيلاً، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ما قال ربنا من الشاهدين، ولما أوجب وأنزل غير جاحدين.. إلخ؛ فهذا لا أصل له، والأولى تجنُّبه، وبخاصة أنه انتشر عند الناس، حتى ظنه بعضهم من السنن، فلو تركه أحد لأنكروا عليه، وقالوا: خالفت السنة.

^(٨١) أخرجه أحمد (١١٧٨)، والدارمي (١٥٩١)، وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن.

^(٨٢) انظر البخاري (١٠٠١)، ومسلم (٦٧٧).

ولا ريب أن مما يدخل في المنع أن بعض الناس يزيد في دعاء ختم القرآن مواعظ تتعلق بذكر القبر، وما يقع فيه من عذاب، والصراط، والبعث، والجزاء، والحساب، والجنة والنار وما يقع فيهما. ولا شك أن هذا ليس محله؛ بل هذا من الاعتداء المنهي عنه، وربما أوصل بعضهم إلى بطلان صلاته؛ لأن هناك من يحول الدعاء إلى موعظة وتذكير. إذن، فالتفصيل في مسألة الختمة أمر جيد، وهو قول وسط بين المانعين بإطلاق أو المجيزين بإطلاق.

على أن الأمر لا ينبغي التشديد فيه - فيما يبدو -، فحتى الذين يقرؤون دعاء الختمة في غير الوتر - أي يقرؤونه في صلاة ثنائية من التراويح - يقولون: "إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت في صلاة الفجر"^(٨٣)، كما ثبت ذلك عنه مرات، بل ثبت عنه القنوت في غير صلاة الفجر: في الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء^(٨٤)، في أحاديث عديدة، فيقول هؤلاء: هذا من هذا. وإن كانت العبادات ليس فيها مجال للقياس، وإنما مبناها على النص والتوقيف .

^(٨٣) انظر البخاري (١٠٠١)، ومسلم (٦٧٧).

^(٨٤) انظر البخاري (٧٩٧)، ومسلم (٣٩٢).

الوقفه الحادية عشرة

مع القيام

كما أن رمضان شهر الصيام، فهو كذلك شهر القيام، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) [المزمل: ١-٥].

ويقول سبحانه في صفة عباده المحسنين: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: ١٧، ١٨].

وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" (٨٥).

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل^(٨٦) الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: "يا أيها الناس: أفشوا السلام،

(٨٥) مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨٦) انجفل: أسرع. المعجم الوسيط (١/١٣٢).

وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام^(٨٧)، إذن، ففضل قيام الليل - عمومًا - فضل عظيم، بدلالة تلك النصوص.

وفي قيام رمضان خاصة يقول النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه"^(٨٨).

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بأصحابه في رمضان، كما في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها-، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا؛ فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: "أما بعد، فإنه لم يخفَ عليَّ مكانكم، لكنني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها"^(٨٩).

وروى أهل السنن بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان، فلم يقم بنا شيئًا منه، حتى بقي سبع ليال، فقام بنا ليلة السابعة حتى مضى نحو من ثلث الليل، ثم كانت الليلة السادسة التي تليها، فلم يقمها، حتى كانت الخامسة التي تليها، ثم قام بنا حتى

^(٨٧) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال الترمذي: حديث صحيح.

^(٨٨) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٨٩) البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مضى نحو من شطر الليل. فقلت: يا رسول الله لو نفلتنا ^(٩٠) بقية ليلتنا هذه. فقال: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف؛ فإنه يعدل قيام ليلة، ثم كانت الرابعة التي تليها، فلم يقمها، حتى كانت الثالثة التي تليها، قال: فجمع نساءه وأهله واجتمع الناس، قال: فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قيل: وما الفلاح؟ قال: السحور. قال: ثم لم يقم بنا شيئاً من بقية الشهر ^(٩١).

وحول قيام رمضان لنا عدة تنبيهات:

— التنبيه الأول: حول عدد صلاة التراويح:

فالناس مختلفون اختلافاً كبيراً في عددها من إحدى عشرة ركعة إلى تسع وأربعين ركعة، وما بين هذين العددين، والذي يعيننا في هذا المقام أمور، منها: أولاً: كم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أصح ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة" ^(٩٢).

لكنه صلى الله عليه وسلم كان يطيلها ويحسنها، كما ذكرت عائشة - رضي الله عنها - في هذا الحديث نفسه.

ثانياً: ما الذي فعله الصحابة؟

^(٩٠) لو نفلتنا: لو أعطيتنا قيام بقية الليل وزدتنا إياه؛ كان أحسن.

^(٩١) أخرجه الدارمي (١٧٧٧)، الترمذي (٨٠٦)، وأبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

^(٩٢) البخاري (٢٠١٣)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم زال الخوف أن تفرض صلاة التراويح؛ فأمر عمر رضي الله عنه المسلمين أن يجتمعوا على الصلاة، حيث دخل المسجد فوجدهم أوزاعاً^(٩٣): يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرجل والرجلان والرهط..؛ فرأى عمر أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبي بن كعب وتميم بن أوس الداري رضي الله عنهما أن يصليا بالناس. فكم - يا ترى - صليا بالناس؟

ورد في ذلك روايتان كلتاهما صحيحة، وهما من طريق السائب بن يزيد. الرواية الأولى: أن عمر رضي الله عنه أمرهما أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة.

والرواية الثانية: أن تميم بن أوس الداري وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - صليا بالناس إحدى وعشرين، وفي رواية ثلاثاً وعشرين ركعة. أما رواية إحدى عشرة فهي في موطأ مالك^(٩٤)، وسندها صحيح. وأما رواية إحدى وعشرين فهي في مصنف عبد الرزاق^(٩٥)، وسندها صحيح أيضاً.

وأما رواية ثلاث وعشرين فهي في سنن البيهقي^(٩٦)، وسندها صحيح كذلك. فما الموقف من ذلك؟

(٩٣) أوزاع: متفرقون غير مجتمعين على إمام واحد. لسان العرب (٣٩١/٨)، النهاية (١٨٠/٥).
 (٩٤) أخرجه مالك في الموطأ (٢٤٨)، والفريابي في كتاب الصيام (١٧٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٩٣/١) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٩٢).
 (٩٥) مصنف عبد الرزاق (٧٧٣٠) من طريق محمد بن يوسف الكندي عن السائب بن يزيد.
 (٩٦) سنن البيهقي (٣٢٧٠) من حديث مالك عن يزيد بن رومان.

بعض أهل العلم حكموا على رواية إحدى وعشرين وثلاث وعشرين بالشذوذ.

ولكن لا داعي للحكم بالشذوذ ما دام الجمع ممكناً، فنجمع بينها بما جمع به الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حيث قال: "إنه يحمل على التنوع والتعدد بحسب الأحوال وحاجة الناس، فأحياناً كانوا يصلون إحدى عشرة، وأحياناً إحدى وعشرين، وأحياناً ثلاثاً وعشرين، بحسب نشاط الناس وقوتهم. فإن صلوا إحدى عشرة أطالوا حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام". وإن صلوا ثلاثاً وعشرين خففوها، بحيث لا يشق ذلك على الناس. وهذا جمع حسن.

وانقذح في نفسي جمع آخر لعله يكون معقولاً أيضاً، وهو أن عمر رضي الله عنه أمرهما أن يصليا بالناس إحدى عشرة ركعة - وهذا لم يختلف فيه الروايات -، ولكن أئبياً وتميماً - رضي الله عنهما - صليا بالناس إحدى وعشرين أو ثلاثاً وعشرين؛ فالأمر من عمر بإحدى عشرة، والفعل منهما كان بإحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وذلك قد يكون بناء على أمر عرض لهما، رأياً فيه أن المصلحة أن يصليا إحدى وعشرين أو ثلاثاً وعشرين؛ لحاجة الناس إلى ذلك، كأن يكون الناس يستطيّلون القيام والركوع والسجود وغيره حينما يصلون إحدى عشرة ركعة، فرأوا أن تكون الصلاة إحدى وعشرين، أو ثلاثاً وعشرين ركعة، يخففون فيها القيام، والركوع، والسجود؛ ليكون أمكن لهم في العبادة. وهذا الجمع ممكن أيضاً، وبذلك تألف النصوص.

وسواء صَلَّى الناس إحدى عشرة، أو إحدى وعشرين، أو ثلاثاً وعشرين؛ فإن الأمر الذي ينبغي التنبيه إليه أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أنه لا تجوز الزيادة في التراويح على إحدى عشرة ركعة؛ قول ضعيف جداً، لا ينبغي الالتفات إليه، لسببين:

الأول: لأن الأعرابي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن صلاة الليل؛ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "مثنى مثنى.." ^(٩٧) وهذا الأعرابي ما كان يعرف صفة صلاة الليل، فضلاً عن أن يعرف عددها، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك: مثنى مثنى أي: تسلم من كل ركعتين، ولم يحدد له في ذلك عددًا محدودًا؛ بل أطلق الأمر.

الثاني: أن النوافل المطلقة جائزة على الإطلاق ليلاً ونهاراً، إلا في أوقات النهي، فلو صلى الإنسان قبل الظهر، أو بعد الظهر، أو بعد المغرب، أو بعد العشاء، أو في الضحى ما تيسر له: ركعتين، أو أربعاً، أو عشرًا، أو عشرين؛ فلا بأس، فهذه نوافل مطلقة، وجماهير الأمة - بما فيهم الأئمة الأربعة - على أنها لا تُحدّد بعدد لا تجوز الزيادة عليه، وإن كان منهم من يقول: إن هناك عددًا أفضل من عدد آخر.

— التنبيه الثاني:

أن الصلاة عموماً - بما في ذلك النافلة - إنما شرعت؛ لتهديب النفوس، وتصفية القلوب وتطهيرها من الحقد والحسد والبغضاء، وجعلها متآخية متحاببة متقاربة، وهذا من أعظم مقاصد العبادات، وهذا أمر ملحوظ؛ فإن العبد إذا

(٩٧) رواه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (٧٤٩) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

أقبل على صلاته رقاً قلبه، وسمت نفسه، فكيف يجوز أو يسوغ شرعاً أو عقلاً أن يكون هذا الأمر الذي شرع لهذه المقاصد السامية مجالاً للخصام والتنافر والتباغض بين بعض طلبة العلم، حينما يسودون الصفحات الكثيرة خصاماً في صلاة التراويح، وهجوماً على بعض، ورداً على بعض، وتشهيراً ببعض؟! كما قد يقع ذلك - أيضاً - من العامة في المساجد إذا دخل رمضان، فهم بين قائل للإمام: صلّ إحدى عشرة، وقائل: صلّ عشرين، وقائل: خفف الصلاة، وقائل: أسرع فيها، وقائل: أبطئ.. وهكذا يختلفون على الإمام، وتتحول العبادة التي شرعها الله تعالى لتهديب الأمة أفراداً ومجتمعات، ولجمع الكلمة؛ تتحول في هذا الزمان إلى ميدان لأضداد مقاصدها، فنسأل الله أن يرد الأمة إلى الفقه في دينه، والاجتماع عليه.

إن جمع الكلمة، وسلامة القلب، وطهارة النفس، من مقاصد الشرع المجمع عليها عند جميع المسلمين، أما عدد الركعات فمن المختلف فيه، فكيف نقدّم العناية بالمختلف فيه على العناية بالمجمع عليه؟

— التنبيه الثالث:

أن من المهم التوسعة في هذه الأمور على الناس، فإننا نعلم من هدي الإسلام أنه دين يسر وسماحة، ومن نماذج ذلك ما جاء في الحديث المتفق عليه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع، فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح، قال: "اذبح ولا حرج". فجاء آخر فقال: لم

أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: "ارم ولا حرج". فما سئل يومئذ عن شيء قدم ولا أحر إلا قال: "افعل ولا حرج"^(٩٨).

فكان صلى الله عليه وسلم يحب التوسعة على أمته، وهذا المسلك نجد علماء أهل السنة يسلكونه عبر العصور، وهكذا يجب علينا في هذا العصر أن نتبع عن المشقة على الناس في صلاة التراويح وفي غيرها، ومن الابتعاد عن المشقة أن يراعي الإمام حال المأمومين، فإن كان يشق عليهم، -مثلاً- أن يصلي بهم عشرين ركعة؛ فليصل بهم عشراً، وهذا أوفق وأقرب للسنة.

وإن كان أكثرهم اعتادوا على عشرين ركعة، وهي أخف عليهم من عشر يطول الوقوف فيها؛ فليصل بهم عشرين ولا حرج، إذ ليس ثمة حدٌ لصلاة التراويح، وإنما الذي تجب مراعاته أن تكون مثنى مثنى.

فالحاصل أنه ينبغي مراعاة حال الناس في شأن صلاة التراويح كما تبين، وإن كان الأصل أن يكون العامة تبعاً لعلمائهم وأئمتهم، وطلاب العلم منهم، وليس الأصل أن يفرض العامة على الإمام عدد صلاة التراويح، وإنما يراعى حالهم؛ إزالة للمشقة، ودفعاً للخلاف بين المصلين.

(٩٨) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٨٤)، ومسلم (١٣٠٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

الوقف الثانية عشرة

رمضان شهر الجهاد

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وفضله جدّ عظيم، كما جاء ذلك في عدة نصوص من الكتاب والسنة، كالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة مئة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة"^(٩٩).

ولقد كان شهر رمضان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح هو شهر الجهاد، فإن أعظم معركتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانتا في هذا الشهر الكريم، شهر الجهاد والتضحيات والهمم.

أولاهما: معركة بدر الكبرى، التي كانت فرقاً فرق الله تعالى به بين عهد الذل والاستضعاف وعهد العزة والتمكين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ولأنها كانت فرقاً وفيصلاً ومنعطفاً خطيراً في مسيرة الدعوة؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم في يوم بدر يرفع يديه إلى السماء، ويبتهل إلى الله سبحانه وتعالى حتى سقط رداؤه عن منكبيه وهو يقول: "اللهم نصرک الذي وعدتني، اللهم نصرک الذي وعدتني، اللهم إن تهلک هذه العصابة لا تعبد بعد

(٩٩) البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اليوم في الأرض" حتى أشفق أبو بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم فالتزمه ووضع

رداءه على منكبيه، وقال: يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك، فإن الله تعالى منجز لك ما وعد^(١٠٠).

فنصر الله - جل وعلا - رسوله صلى الله عليه وسلم نصراً مؤزراً في تلك المعركة الحاسمة: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران: ١٢٣].

الثانية: فتح مكة، وهي - أيضاً - من أخطر وأهم المعارك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن مكة كانت مركز الجزيرة العربية، ومكان الحج والعمرة، ومهوى أفئدة الناس من كل مكان.

وكانت الوثنية مسيطرة عليها على مدى ثماني سنوات بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى لقد منع المشركون النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية من دخولها وأداء العمرة، فلما دخلها فاتحاً في السنة الثامنة دانت له الجزيرة كلها؛ ولهذا جاءت الوفود في السنة التالية مباشرة (التاسعة) من أنحاء الجزيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام. ولذلك يصح أن يقال: إن فتح مكة هو الوقت الذي زالت فيه غربة الإسلام، وأصبح عزيزاً في أرجاء الجزيرة العربية، وسقطت سلطة الوثنية فيها.

(١٠٠) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والتاريخ الإسلامي مليء بالمعارك العظيمة التي كانت في رمضان، منها -مثلاً- معركة (عين جالوت)^(١٠١)، التي نصر الله فيها المسلمين، بقيادة المماليك على التتار؛ فانكسرت شوكتهم، وانحسر مدهم، ولم تقم لهم بعدها قائمة.

والحديث عن الجهاد في رمضان يحتم علينا الوقوف عند أمرين لا بد من إبرازهما:

الأول: أن كثيراً من المسلمين اليوم انعكست هذه المفهومات في نفوسهم؛ فلم يعد رمضان عندهم شهر الجهاد والعمل والتضحية، وإنما أصبح شهر الكسل والبطالة وفضول النوم، وهذا - بلا ريب - خطأ كبير، وانتكاس خطير، فالواجب أن يصحح هؤلاء الناس نظرهم، ويسعوا لإحياء الجهاد في ذلك الشهر خاصة، وفي سائر الأوقات عامة.

والجهاد باب واسع يدخل تحته أعمال كثيرة: فهو يكون بالسلاح، ويكون بالمال، ويكون باللسان: أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وتعليماً للخير، ونشراً للدعوة... إلى غير ذلك من سبل الجهاد.

الثاني: أننا نعلم أن كثيراً من المسلمين الآن يحملون السلاح، مدافعين عن الحوزة^(١٠٢)، ومنافحين عن الملة، يحدث هذا في فلسطين، وكشمير، وبلاد إسلامية أخرى. وفي جميع هذه البلاد التي ذكرت توجد طوائف من أهل

(١٠١) مكان بالشام وقعت فيه المعركة المشهورة بين الملك المظفر سيف الدين قطز والتتار في رمضان عام ٦٥٨ هـ. انظر البداية والنهاية (١٣-٢١٨-٢٢٥).

(١٠٢) الحوزة: الناحية: لسان العرب (٣٤٢/٥). صحيح.

السنة والجماعة المشهود لهم بسلامة المعتقد، وبالورع والصلاح والتقوى، يقاتلون عدوًا كافرًا خاسرًا، يهوديًا أو نصرانيًا أو شيوعيًا، أو غير ذلك. وهؤلاء المجاهدون في أمس الحاجة إلى أن يكون إخوانهم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها معهم بالدعاء، وبالنصرة بالمال، وبغيره من الوسائل التي يملكونها قبل أن يحل بغيرهم ما حل بهم، والله المستعان.

الوقفه الثالثة عشرة

رمضان شهر الإنفاق

النفقة - عمومًا - من أسباب القرب إلى الله تعالى ودخول الجنة، وهي لا تُنقص مال المنفق، بل تزيده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه" (١٠٣).

وإنها لفرصة ثمينة أن ينال العبد الأجر العظيم، بصدقة لا تنقص ماله، بل تزيده.

— وفي شأن الصدقة والإنفاق وردت أحاديث صحيحة كثيرة، يتبين بها

أنها من أعظم أبواب دخول الجنة، وإليك شيئًا منها:

عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقًا؛ فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته؛ فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا

(١٠٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يعلم الله فيه حقاً؛ فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيتة؛ فوزرهما سواء^(١٠٤). وفي ذلك دلالة على أن نية المؤمن الصادقة أن ينفق في سبيل الله، أو يعمل أي عمل من الصالحات؛ تبلغه منازل العاملين، ولكن بشرط أن تكون نية صادقة، لا أمنية كاذبة، كما هو حال بعض الأشقياء الذين يتمنون أن يرزقهم الله، ولو رزقهم لكفروا: (وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [التوبة: ٧٥-٧٧].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بيننا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان. ففتح ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة^(١٠٥)، فإذا شرجة^(١٠٦) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله. ففتح الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته^(١٠٧) فقال له: يا عبدالله، ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان -

(١٠٤) أخرجه أحمد (٢٣٢٥)، الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١٠٥) حرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. المعجم الوسيط (١٧٢/١).

(١٠٦) شرجة: مسيل الماء من الهضاب ونحوها إلى السهل والجمع (شراج). المعجم الوسيط (٤٩٦/١).

(١٠٧) المسحاة: المجرفة من الحديد، وهي من السحو وهو: الكشف والإزالة. لسان العرب (٥٩٨/٢).

لاسمك-، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردّ فيها ثلثه"^(١٠٨).

هكذا بارك الله لهذا الرجل، ووسع عليه رزقه، وكفاه مؤونة زرعه، حتى وكل ملكاً بالسحابة يقول لها: اسقي حديقة فلان.. اسقي حديقة فلان. يخصصها دون غيرها.

وفي الحديث المتفق عليه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار ولو بشق تمره"^(١٠٩).

وفي الحديث الآخر المتفق عليه -أيضاً- أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في أضحي أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: "أيها الناس تصدقوا". فمر على النساء فقال: "يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار"^(١١٠).

فبين صلى الله عليه وسلم أن الصدقة من أعظم أسباب الوقاية من النار، ولو كانت باليسير.

والصدقة دليل على صدق إيمان العبد؛ ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم -في حديث الحارث الأشعري الذي رواه مسلم-: "والصدقة برهان

^(١٠٨) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(١٠٩) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

^(١١٠) البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

"(١١١)؛ لأن النفس مجبولة على حب المال، فإذا تغلب العبد على نفسه وأنفق المال في سبيل الله؛ كان ذلك برهاناً على أنه يقدم مرضاة الله ومحوباته على محوبات نفسه. (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦٠].

والأحاديث الواردة في الصدقة كثيرة جداً.

لكن ثمة أمراً ينبغي أن يحرص المتصدق عليه، وهو أن تكون صدقته سرّاً بقدر الإمكان، فقد جاء في الحديث الذي رواه الطبراني بسند حسن - كما يقول الدمياطي في (المتجر الرابع) - عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر"(١١٢).

وإن من الخطأ أن يتصدق الرجل بمئة ألف ريال أو خمس مئة ألف ريال، أو مليون ريال؛ من أجل أن يكتب اسمه في الجريدة، أو يكتب في دفتر التبرعات، أو يذكر عنه أنه المحسن الكبير فلان.

اللهم إلا أن يكون قصده من ذلك حث الناس، وتشجيعهم على الصدقة والبذل؛ فإن هذا مقصد حسن. أما الذي يقصد الرياء والسمعة فصدقته خسارة في الدنيا، ووبال في الآخرة - والعياذ بالله -.

إذن، فالحاصل أن فضل الصدقة عظيم، وثوابها عند الله جليل، فينبغي للمؤمن أن يحرص على الإكثار منها دائماً، وفي رمضان خاصةً فينبغي أن يضاعف العبد

(١١١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(١١٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠١٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥/٣) وقال: إسناده حسن. أخرجه البخاري (٢٠٩٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

إنفاقه في وجوه الخير؛ اقتداءً بنبي الهدى صلى الله عليه وسلم الذي كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

- وإنما كان جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان خاصة مضاعفًا؛ لأسباب ثلاثة:

الأول: لمناسبة رمضان، فإنه شهر تضاعف فيه الحسنات، وترفع الدرجات، فيتقرب العباد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

الثاني: لكثرة قراءته صلى الله عليه وسلم للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة تحثُّ على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا، والزهد فيها، والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب القارئ نحو الإنفاق في سبيل الله تعالى. وحرِيٌّ بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

الثالث: لأنه صلى الله عليه وسلم كان يلقي جبريل في كل ليلة من رمضان، ولقاؤه إياه هو من مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان، وتحث الإنسان على الطاعات، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الصدقة في رمضان.

- والحديث عن جوده صلى الله عليه وسلم يطول، فهو -حقًا- أجود الناس، وأنواع جوده لا تنحصر؛ فإنه صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلًا إلاَّ الأَّليَّ يجد، حتى إنه ربما سأله رجل ثوبه الذي عليه؛ فيدخل بيته ويخرج وقد خلع الثوب، فيعطيه السائل (١١٣).

(١١٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويعطي صلى الله عليه وسلم عطاءً من لا يخشى الفقر، فقد حدث أن أعطى غنماً بين جبلين (١١٤).

وربما اشترى الشيء، ودفع ثمنه، ثم رده على بائعه وأبقى عنده الثمن (١١٥)، وربما اشترى فأعطى الثمن وزيادة .

وربما اقترض شيئاً فرده بأحسن منه. وكان يقبل الهدية ويثيب عليها أكثر منها (١١٦).

وكان - عليه صلوات الله وسلامه - يفرح بأن يعطي أكثر من فرح الآخذ بما يأخذ، حتى إنه ليصدق عليه - وحده - قول الأول:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائله

هذا غيظ من فيض من فنون جوده صلى الله عليه وسلم، التي تتأبى على الحصر والإحصاء.

والكلام عن الصدقة والإنفاق يجرنا إلى إلقاء الأضواء على مصارف مهمة لها: أحدها: المجاهدون في سبيل الله، قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) [التوبة: ٦٠].

فالمجاهدون في سبيل الله من الأصناف الثمانية الذين تدفع لهم الزكاة. ولا ريب أن هذا المصرف من أعظم مصارف الزكاة في هذا العصر خاصة.

(١١٤) كما في قصة جابر المشهورة التي أخرجها البخاري (٢٨٦١)، ومسلم (٧١٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(١١٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١١٦) البيت لزهير بن أبي سلمى خزاعة الأدب (٤٢٣/١)، وبعضهم عزاه لأسماء بن خارجة في مدح عبد الله بن الزبير لما أطلق سراح أم الحكم. انظر الأغاني (٢٢١/١٤).

الثاني: الفقراء والمحتاجون، وبخاصة الشباب وطلاب العلم، ممن قد يكون فقيراً، أو معسراً، أو يريد الزواج ولا يجد ما يكفي لتحقيقه، وفي الزواج من الإغفاف، وإحصان الفرج، والإعانة على طلب العلم، وإكمال شطر الدين، وسائر المصالح ما لا يخفى.

الثالث: جمعيات البر الخيرية الموثوقة؛ لأن هذه الجمعيات تتحرى وتبحث عن المحتاجين، وتفتح ملفات للأسر الفقيرة، وتجري لها رواتب شهرية، فلا بأس أن يوكلهم المرء على إنفاق صدقته على المستحقين ما دام القائمون عليها من الموثوق بدينهم وأماناتهم.

إن إعانة الفقراء والمحتاجين والضعفاء، والبحث عنهم في البيوت القديمة والأحياء الشعبية، وأحياناً في الأكواخ والعشش؛ من أجل الأعمال وأفضلها عند الله، وأعظمها في القربى والزلفى لديه.

وإنه لعمل كبير أن يقوم تاجر أو محسن بتفقد أهل حارته، والبحث عن المحتاجين منهم، ومدهم بما يستطيع دون منّ ولا أذى، ولا رياء ولا سمعة.

ثم إذا أعطى الغني محتاجاً فليغنه بعطائه، يعطيه ما يكفيه وولده وأسرته لفترة كافية، أو يستطيع أن يؤمن به حاجاته الضرورية التي لا غنى للإنسان عنها. { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المزمل: ٢٠].

الوقفه الرابعة عشرة

رمضان شهر التوبة

في رمضان يعود العباد إلى ربهم تعالى، ويقلعون عن الآثام؛ وذلك لسببين: أولهما: جود الله تعالى على عباده، وصفحه وعفوه عنهم في هذا الشهر الكريم، حتى إنه صح أن الله تعالى في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار^(١١٧). ثانيهما: أن الشياطين تصفد وتسلسل إذا جاء رمضان، وتغلق أبواب النيران، وتفتح أبواب الجنة^(١١٨)؛ فيكون العباد قريبين من ربهم. فرمضان فرصة ثمينة ليتوب فيها العبد، وإن لم يتب فيه فليت شعري متى يتوب؟! وللتوبة شروط ستة لا بد من توافرها؛ لكي تكون التوبة صحيحة صادقة، وهي بإيجاز:

أولاً: الإخلاص لله تعالى، بحيث تكون لوجه الله، لا يشوبها مقصد دنيوي. ثانياً: أن تكون في زمن الإمكان، أي قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم ويغرغر؛ فإن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. ثالثاً: الإقلاع عن الذنب، فلا يصح أن يدعي العبد التوبة وهو مقيم على معصيته.

رابعاً: الندم على ما مضى، وكم من تائب أكل الندم قلبه أكلاً؛ ولهذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الندم توبة"^(١١٩).

^(١١٧) أخرجه أحمد (٩٢١٣)، والدارمي (٦٩١) الترمذى (٦٨٢)، والنسائي (٢١٠٤)، وابن ماجه (١٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في الصحيحين.

^(١١٨) أخرجه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خامساً: العزم على عدم العود إلى الذنب.

سادساً: إن كان الذنب يتعلق بحقوق المخلوقين وجب رد حقوقهم إليهم،
والتحلل منهم، من مال، أو عرض، أو غيرهما

(^{١١٩}) أخرجه أحمد (٣٥٥٨)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، وأبو يعلى (٥٠٨١)، وابن حبان (٦١٢)، والحاكم (٧٦١٢)، والبيهقي (١٥٤/١٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢٥١): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. اهـ، وللحديث طرق عن غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

الوقفه الخامسة عشرة

رمضان شهر الدعاء

الله تعالى قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وذلك في كل حين، وبخاصة في رمضان، كما تقدم معنا أن لكل مسلم دعوة مستجابة في رمضان، فينبغي للمسلم الاجتهاد في الدعاء، مع تحري أسباب الإجابة.

ومجمل تلك الأسباب خمسة، هي:

- الأول:** اختيار الزمان الفاضل، وذلك في وقت السحر، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وما بين الأذان والإقامة، وفي الساعة الأخيرة من يوم الجمعة، وعند دخول الإمام إلى أن تنقضي صلاة الجمعة، وعند إفطار الصائم.
- الثاني:** اختيار المكان الفاضل، كالمساجد، ومكة، والمدينة، وغيرها.
- الثالث:** حال الداعي، كأن يكون مسافراً؛ فإن المسافر مستجاب الدعوة، أو أباً يدعو لولده، أو صائماً، أو مقاتلاً؛ فإن الدعاء عند التحام الصفين مستجاب، أو مظلوماً؛ فإن دعوة المظلوم لا ترد، بل يرفعها الله تعالى فوق السحاب ويقول: "وعزّي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين" (١٢٠)، أو يكون الداعي مضطراً، وحقيقة الاضطرار: أن ينقطع العبد من جميع

(١٢٠) أخرجه أحمد (٩٤٥٠)، الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وابن خزيمة (١٩٠١)، وابن حبان (٨٧٤) من حديث أبي مُلّة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن. قال المناوي في فيض القدير (٦٣٣٩): فيه مقال طويل، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٧١٨) من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/١٠) وقال: فيه من لم أعرفه. اهـ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٢٧٤): لا بأس بإسناده في المتابعات. اهـ، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١١٧).

الأسباب، ويتوجه بكل رجائه إلى الله وحده، ويفوض أمره إليه تفويضاً تاماً، قال الله تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل: ٦٢].
 فينبغي أن يكون الداعي على حال من الانكسار والاضطرار، والإحبات والانقطاع من الأمل في غير الله، وألا يكون دعاؤه على سبيل التجربة غير الواثقة؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ" (١٢١). وقد جاء هذا الحديث بإسنادين يقوي أحدهما الآخر فهو حديث حسن.
 الرابع: صفة الدعاء، فيحرص الداعي على الالتزام بآداب الدعاء من وضوء، واستقبال للقبلة، ورفع لليدين، وتكرير للدعاء ثلاثاً، واختيار لجوامع الدعاء، وإطابة للمطعم، وتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، وغير ذلك من الآداب النبوية.

وفي هذا المقام أود أن أنبه إلى خطأ يقع فيه كثير من الناس عندما يدعون، وهو الاعتداء في الدعاء؛ ومنه:
 أولاً: أن يفصل الداعي في دعائه تفصيلاً لا لزوم له، كما يقول بعض الناس اليوم في دعائهم: "اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا، وأجدادنا وجداتنا، وأخواننا وخالاتنا، وأعمامنا وعماتنا" .. ويمضي يعدد أقاربه، ثم ينتقل إلى تفصيل الدعاء لجيرانه، ثم لزملائه .. وهكذا يستغرق وقتاً ليس باليسير في هذه

(١٢١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١٨١٧)، والطبراني في الأوسط (٥١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ، وقال الحاكم: هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة. اهـ وأخرجه أحمد (٦٦١٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٨/١٠) وقال: إسناده حسن.

التفاصيل، وكان يُغنيه أن يقول: اللهم اغفر لنا، ولأقاربنا، ولأحبابنا..
بهذا الإجمال. ورحمة الله واسعة.

ثانياً: أن يدعو الداعي الله بأسماء لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كقول بعض الداعين: يا غفران، يا سلطان، فإنهما ليسا من أسماء الله - جل وعلا-.

ثالثاً: المبالغة في رفع الصوت بالدعاء، وقد انتشر ذلك في زماننا بخاصة؛ لوجود مكبرات الصوت، فربما سمعت الذي يدعو في شرق المدينة وأنت في غربها، وهذا لا يليق، فإن كان الداعي إماماً يدعو والناس يؤمنون وراءه؛ فليكن رفعه لصوته بقدر ما يسمعه المصلون، ولا داعي للتزديد في رفع الصوت؛ فإنه اعتداء وباب إلى الرياء.

وإن كان الداعي وحده يدعو لنفسه فليكن دعاؤه سرّاً، كما قال تعالى -
حاكياً عن زكريا -: (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)
(مريم: ٢، ٣)، والعبادة كلما كانت سرّاً كانت أقرب إلى الصدق والقبول.
الخامس: زوال المانع، فإن هناك أموراً تمنع من إجابة الدعاء، منها أكل الحرام:
سواء عن طريق الربا، أو الغش، أو تنفيق السلعة بالحلف الكاذب، أو أكل مال
اليتيم، أو غير ذلك، ففي صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر
الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا ربّ يا ربّ.
ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب
لذلك (١٢٢)!

(١٢٢) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن الموانع ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما جاء في حديثٍ رُوِيَ
من عدة طرق أن الله -تعالى- يقول: "يا أيها الناس، مروا بالمعروف،
وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم، وتستنصروني فلا
أنصركم، وتسألوني فلا أعطيكم" (١٢٣).
فإذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنفسهم، ولأولادهم،
ولأهلهم، ولجيرانهم، ولأقاربهم، ولعامّة المجتمع؛ عاقبهم الله -جل وعلا-
بحرمانهم من إجابة الدعاء.

(١٢٣) أخرجه أحمد (٢٤٧٢٧) وابن ماجه (٤٠٠٤)، وابن حبان (٢٩٠)، والبيهقي (٩٣/١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٧) وقال: فيه عاصم بن عمر أحد المجاهيل. اهد وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٨/٢) وفي إسناده لين وله شواهد من حديث أبي هريرة عند البزار والطبراني ومن حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط ومن حديث حذيفة عند الترمذي والبيهقي. اهد وقد حسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٥).

الوقفه السادسة عشرة

مع الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها عبر ودروس، ومثال حي للقذوة الحسنى، في رمضان وغيره من شهور السنة. فلنلمح إلى شيء من هديه صلى الله عليه وسلم في رمضان باختصار.

- كان النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر يصوم يوم عاشوراء قبل أن يفرض عليه صيام رمضان، وذلك حين قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟" قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه؛ فصامه موسى شكرًا؛ فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فنحن أحق وأولى بموسى منكم". فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه^(١٢٤).

وقال جماعة من العلماء: إنه كان واجبًا. وفي الصحيحين من حديث الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: "من كان أصبح صائمًا؛ فليتم صومه. ومن كان أصبح مفطرًا؛ فليتم بقية يومه" أي يمكس بقية يومه. فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا الصغار منهم - إن شاء الله -

(١٢٤) رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العهن^(١٢٥)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك، حتى يكون عند الإفطار^(١٢٦).

- فلما فرض رمضان كان صوم عاشوراء سنة؛ من شاء صامه، ومن شاء تركه^(١٢٧).

وأول ما فرض رمضان كان على التخيير: إن شاء المسلم صام، وإن شاء أفطر وأطعم، حتى أنزلت: { فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } [البقرة: ١٨٥]؛ فألزم الناس بالصيام^(١٢٨).

ولكن كان غير جائز لمن نام من الليل أن يأكل إذا استيقظ، فإذا أفطر عند المغرب ثم نام بعد العشاء، فليس له أن يأكل لو استيقظ ليلاً.

روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر؛ لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا! ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: حية لك. فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم^(١٢٩)، فنزلت هذه الآية: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)

(١٢٥) العهن: الصوف المصبوغ ألواناً، وقيل: الصوف مطلقاً. لسان العرب (٢٩٧/١٣)، المعجم الوسيط (٦٥٨/٢).

(١٢٦) أخرجه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦) من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها.

(١٢٧) أخرجه البخاري (٣٨٣١)، ومسلم (١١٢٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٢٨) أخرجه البخاري (٤٥٠٧) ومسلم (١١٤٥) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(١٢٩) أخرجه البخاري (١٩١٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

[البقرة: ١٨٧]؛ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) [البقرة: ١٨٧].

- وصام النبي صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات، أولها في السنة الثانية، التي كان فرضه فيها.

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في هذا الشهر من العبادة، حتى إنه ربما واصل الصيام يومين أو ثلاثة؛ تفرغاً للعبادة. ولما واصل أصحابه نهاهم، وقال: "إني لست كهيتتكم، إني يطعمني ربي ويسقيني"^(١٣٠). وقد تكلم الإمام ابن القيم في (زاد المعاد) عن هذا الحديث بالتفصيل، وبين معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني، فليرجع إليه من شاء^(١٣١).

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في رمضان من قراءة القرآن - كما سبق بيان ذلك -.

- وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعجيل الفطر، وتأخير السحور، فإنه كان يفطر قبل صلاة المغرب، ثم يصلي. وكان يتسحر فلا يكون بين سحوره وصلاة الفجر إلا وقت يسير^(١٣٢).

- وسافر صلى الله عليه وسلم في رمضان عدة أسفار، منها سفره لغزوة بدر، وسفره لفتح مكة، وكان صلى الله عليه وسلم ربما صام في سفره، وربما أفطر، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنا في سفر في يوم

^(١٣٠) أخرجه البخاري (١٩٥٦)، ومسلم (١١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(١٣١) انظر زاد المعاد (٣٢/٢) وما بعدها.

^(١٣٢) انظر صحيح البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

شديد الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة (١٣٣).

وفي السنن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر" (١٣٤).

وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام. فقال: " أولئك العصاة. أولئك العصاة" (١٣٥).

- وكان صلى الله عليه وسلم يزداد جوداً في رمضان - كما تقدم بيان ذلك -

- ومن الأحكام التي بينها صلى الله عليه وسلم بفعله أنه كان يدركه الفجر وهو جنب، ثم يغتسل ويصوم (١٣٦).

(١٣٣) أخرجه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(١٣٤) أخرجه النسائي (٢٣٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في إسناده جعفر بن أبي المغيرة، قال الحافظ في التقریب: صدوق يهيم، وقال ابن منده: ليس بالقوي في سعيد بن جبیر.

(١٣٥) أخرجه مسلم (١١١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(١٣٦) البخاري (١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩) من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

الوقفه السابعة عشرة

السواك في رمضان

سبق التعرض لقضية السواك بإيجاز، ولا بأس بإفرادها هنا بحديث مستقل،

فأقول:

السواك مشروع في كل وقت، وبخاصة في المواضع التي ورد النص عليها، وهي

سنة:

الأول: عند الصلاة.

الثاني: عند الوضوء.

الثالث: عند دخول المنزل.

الرابع: عند الاستيقاظ من النوم.

الخامس: عند قراءة القرآن.

السادس: عند تغيير رائحة الفم.

وأدلة ذلك كثيرة، منها حديث أبي هريرة في الصحيحين أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل

صلاة" (١٣٧)، وفي الموطأ: "لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك مع كل

وضوء" (١٣٨).

(١٣٧) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣٨) أخرجه مالك (١٤٨) وهذا لفظه، والبخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها قول عائشة - رضي الله عنها- لما سئلت: بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: "بالسواك" (١٣٩).

ومنها حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص^{١٤٠} فاه بالسواك" (١٤١).

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب" (١٤٢). إلى غير ذلك من النصوص.

فينبغي للمسلم أن يتعاهد السواك في كل حين، وبخاصة في هذه المواضع الستة، وذلك في رمضان وفي غيره، فإن القول الصحيح أن السواك مشروع للصائم قبل الزوال وبعد الزوال، تمامًا كالمفطر؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم: "عند كل صلاة"، "عند كل وضوء" يشمل ما قبل الزوال وما بعده.

أما حديث علي: "إذا صمتم فاستاكوا بالغداة، ولا تستاكوا بالعشي" (١٤٣) فهو حديث ضعيف جدًا، وأما حديث: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما لا أحصي يستاك وهو صائم" (١٤٤) فهو -أيضاً- حديث ضعيف.

(١٣٩) أخرجه مسلم (٢٥٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٤٠) يشوص: يذك، وينظف. المعجم الوسيط (٥١٩/١).

(١٤١) أخرجه البخاري (٢٤٦)، ومسلم (٢٥٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(١٤٢) أحمد (٢٣٦٨٣)، والدارمي (٦٨٤)، والنسائي (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح.

(١٤٣) أخرجه البزار (٢١٣٧)، والدارقطني (٨)، والطبراني (٢٦٩٦)، والبيهقي (٨١٢١) من حديث كيسان عن يزيد بن بلال عن علي رضي الله عنه. قال الدارقطني: كيسان هو ابن عمرو القصاب غير قوي، وي زيد غير معروف، اهـ، ونقل المناوي في فيض القدير (١٥٩٢) عن العراقي قال في شرح الترمذي: حديث ضعيف جدًا، وفي تخريج الهداية فيه كيسان القصاب ضعيف جدًا. وقال ابن حجر: فيه كيسان ضعيف عندهم. اهـ.

(١٤٤) أخرجه عبد الرزاق (٧٤٧٩) والحميدي (١٤١)، وابن أبي شيبعة (٩١٤٨)، وأحمد (١٥٢٥١)، والبخاري تعليقًا (٦٨٢/٢)، وأبو داود (٢٣٦٤)، والترمذي (٧٢٥)، والبزار (٣٨١٣)، وأبو يعلى (٧١٩٣)، والدارقطني (٢٠٢/٢) والضياء في المختارة (٢٠٠) من حديث عمر بن ربيعة العنزي رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم. اهـ قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري (٣٩/١): وصله أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والدارقطني وغيرهم من طريق عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. اهـ وقال في تعليق التعليق (١٥٩/٣): وأما إمام أهل الصنعة محمد بن إسماعيل فعلق حديثه بصيغة التمريض للين فيه، قال ابن معين ضعيف وقال البخاري منكر الحديث. اهـ.

الوقفه الثامنة عشرة

وقت المسلم في رمضان

وقت المسلم - عمومًا - ثمين، وهو في رمضان - بالذات - أثنى وأعلى؛ ولذلك وجب التنبيه إلى بعض الأمور المتعلقة بقضاء الوقت في هذا الشهر:

الأول: أن بعض الناس يسهرون الليل كله في رمضان، وهذا خطأ، فلا بد أن يجعل الشخص لنفسه جزءاً من الليل ينام فيه؛ لأن نوم الليل ليس كنوم النهار، وإن ساعة أو ساعتين ينامهما المرء في الليل لتعويضانِ بدنه كثيراً من الراحة في غيره.

الثاني: أنه ينبغي للمسلم أن يستغل وقته في رمضان في قراءة القرآن، فيقرأ في المصحف، ويقرأ عن ظهر قلب، في المسجد، وفي البيت، وفي السيارة، وفي غير ذلك من المواضع الممكنة. ويحرص على أن يجتهد القرآن - إن أمكن - كل ثلاثة أيام، أو كل أسبوع، أو كل عشرة أيام، أو على الأقل أن يجتهد مرة في شهر رمضان كله، مع أن في ذلك تفريطاً واضحاً.

الثالث: ضرورة تجنب مجالس اللغو، فإن بعض الشباب يجتمعون بعد التراويح على سهرات دورية، يتبادلون فيها الأحاديث، وربما كثر في مجالسهم اللغو، والهزل، والضحك، بل ربما وقعوا في الغيبة والنميمة، وقول الزور... ونحوه، وهذا كله لا يليق بالمسلم في كل حين، وفي هذا الشهر على وجه

الخصوص، وإنه لحرمان أن يعمل العبد شيئاً من الحسنات، ثم ينبري لإتلافها بالمعاصي والآثام.

الرابع: أن بعض الشباب يعدّون رمضان فرصة للعب واللهو، فترى مجموعات منهم يذهبون بعد صلاة العشاء، أو بعد التراويح ليلعبوا الكرة، ويضيّعوا فيها ليلهم كله حتى وقت السحور، وربما كان فرح بعضهم بـرمضان من أجل هذه الفرصة، وتراهم مستعدين بالأنوار الكاشفة وغيرها من الأسباب.

ولست - بكلامي هذا - أريد أن أمنع من ممارسة الرياضة، إذا كانت بالقدر المعقول، لكنني لا أشك أن قضاء الليل كله في اللعب إهمال وتفريط، وتضييع للوقت. وإن نوم العبد في الليل أفضل من حال أولئك الشباب، الذين يقضون ليلهم فيما لا فائدة فيه، سواء في لعب الكرة، أو مشاهدة التلفاز الذي يكون فيه من صور النساء، والموسيقى والغناء، والمسلسلات الهدامة؛ مالا ينبغي لحريص على وقته الثمين أن يضيعه فيه، فيخسر أجراً، ويحمل وزراً.

الخامس: أن كثيراً من الشباب يقضون معظم نهارهم في النوم؛ وذلك بسبب سوء ترتيبهم لبرنامجهم اليومي، وتفريطهم في الاستزادة من الخير في هذا الموسم الجليل.

وهذه مشكلة عظيمة، يجب على المسلمين تلافئها، فلئن كان الشخص محتاجاً أن يقضي جزءاً من النهار في العمل أو الدراسة؛ فلا بد أن يخصص جزءاً من الليل للنوم؛ حتى يستطيع أن يحضر الصلوات مع الجماعة، ويجعل في نهاره وقتاً لتلاوة القرآن، ولغير ذلك من القربات.

وإن من المؤسف أن ترى بعض الموظفين، ينامون في وقت العمل، وبعض الطلاب، ينامون في وقت الدراسة.

فهل الراتب الذي يتقاضاه الموظف من أجل أن ينام على مكتبه، أو من أجل أن يخدم المراجعين، ويسعى في مصالح المسلمين؟! لا شك أنه من أجل القيام بما كُلف به من أعمال، فلا يجوز له أن ينام في وقت عمله.

وإن كان الكثير من الموظفين - بحمد الله - على درجة من الشعور بالمسؤولية والإحساس بالواجب، وحسن معاملة المسلمين في كل وقت، وفي شهر رمضان خاصة، ولكن هذا لا يمنع من التنبيه على خطأ طائفة قليلة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الوقفه التاسعة عشرة

المرأة في رمضان

"النساء شقائق الرجال"^(١٤٥)، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فما ثبت للرجال ثبت للنساء، إلا بدليل، فيجب عليهن الصيام، ويستحب لهن الإكثار من تلاوة كتاب الله، والإنفاق في سبيل الله، وقيام الليل، والاجتهاد في الدعاء، وغير ذلك من القربات والطاعات.

بيد أن ثمة أمورًا خاصة بالنساء في رمضان، لعلنا نبين أهمها في هذه الوقفة، ومن ذلك:

أولاً: أن الحائض والنفساء لا تصلي ولا تصوم، ولكنها تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة، كما ثبت من حديث عائشة -رضي الله عنها- الذي سبق إيراده، وهو قولها: "كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة"^(١٤٦). ومن الأمور التي قد تخفى على بعض النساء في موضوع الحيض ما يتعلق باستخدام بعضهن لحبوب منع العادة في رمضان، وهذه الحبوب - وإن كنت لا أنصح باستخدامها؛ لأنها تضر في كثير من الحالات - يستعملها بعضهن؛ رغبة في الصلاة والصيام مع المسلمين، أو لأنها تريد أن تعتمر في

^(١٤٥) أخرجه أحمد (٢٥٦٦٣)، وأبو داود (٢٣٧)، والترمذي (١١٣)، وابن ماجه (٦١٢)، وأبو يعلى (٤٦٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، والحديث أصله في صحيح مسلم (٣١١) بدون زيادة "النساء شقائق الرجال"، وقد صحح هذه الزيادة الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٩٨٣).

^(١٤٦) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٣٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رمضان، ودورتها تضطرب في رمضان، فتأتيها يوماً، وتذهب يوماً، فتسعى باستعمالها لهذه الأسباب إلى تنظيم العادة، والسلامة من الحرج. فرمما يظن بعضهم أنه يجب عليها قضاء الأيام التي توقفت فيها عنها العادة بسبب هذه الحبوب، ويسأل كثير منهم عن ذلك. والصواب أنه لا قضاء عليها في هذه الحال.

ثانياً: كثير من النساء يرتدن المساجد من أجل صلاة التراويح، وهذا أمر لا بأس به، وإن كانت صلاة المرأة في بيتها أفضل، لكن على كل حال إن جاءت إلى المسجد؛ لأنها لا تجيد التلاوة، أو ليكون وجود الجماعة أنشط لها؛ فلا بأس بذلك، لكن عليها إذا خرجت إلى المسجد أن تخرج إليه بصفة شرعية، فلا يجوز لها أن تخرج وهي متعطرة، أو متجملة. ولا يجوز أن يخضعن بالقول؛ درءاً للفتنة، ولا أن ترفع صوتها في المسجد؛ فإن ذلك أمر مذموم، وفيه إيذاء للمصلين.

كما يجب عليها إذا خرجت إلى المسجد ألا تغفل عن صبياتها، فقد يتعرضون إذا غفلت عنهم للخطر، من دعس سيارة، أو اختطاف، أو غير ذلك. وربما يكون بين الصبيان في أثناء لعبهم شباب أكبر منهم سناً، فقد يفسدهم بعض الخبثاء من أولئك الكبار، إما بإيقاعهم في التدخين، أو في المخدرات، أو الفاحشة، أو غير ذلك من المفاسد.

فمن الخطأ أن تشتغل الأم بنافلة عن فريضة، فإن رعاية أطفالها، والمحافظة عليهم في أخلاقهم وأرواحهم؛ واجبة عليها وعلى أبيهم كذلك.

ثالثاً: من الأخطاء التي ينبغي تحذير المرأة منها دائماً، وفي رمضان خاصة: الغيبة، فإن الغيبة ذنب عظيم، وإثم كبير، بل لقد ذكر القرطبي أن الإجماع قائم على أن الغيبة من كبائر الذنوب، وقد قال الله تعالى: (**أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**) [الحجرات: ١٢].

رابعاً: أن فرصة وجود المرأة في المسجد حريّةً بأن يستثمرها الدعاء والمصلحون في إثارة موضوعات تخص المرأة؛ من أحكام، أو آداب، أو توجيهات، أو مواعظ، فإن النساء قلماً تصل إليهن المواعظ، وخروجهن في رمضان أمر معروف، فينبغي استغلاله بحيث يكون الحديث موجهاً إليهن، ولو في بعض الأيام على الأقل.

الوقفة العشرون

العمرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"^(١٤٧).

وهذا الفضل العظيم للعمرة عامٌّ في كل حين، وأما في رمضان فإن فضلها يتضاعف؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: "ما منعك أن تحجي معنا؟ قالت: أبو فلان - زوجها - له ناضحان"^(١٤٨)، حج على أحدهما، والأخر نستقي عليه. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة، أو قال: حجة معي"^(١٤٩).

ويا له من فوز أن تكون كمن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف معه بعرفة، وبات معه بمزدلفة، وأفاض بصحبته إلى منى، وطاف بجواره وسعى - كما هو المفهوم من ظاهر هذا الحديث -.

وإن مما يثلج الصدر أن نرى إقبال المسلمين على العمرة في هذا الشهر الفاضل، لكن هناك أخطاء يقع فيها بعض الناس في هذا الباب، فلا مناص من التنبيه إليها، وهي:

^(١٤٧) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(١٤٨) الناضح: البعير، الذي يستقى عليه الماء. لسان العرب (٦١٩/٢).

^(١٤٩) أخرجه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

منها: أن بعض المعتمرين يهملون أهليهم الذين استرعاهم الله إياهم، فقد يسافر الأب والأم إلى مكة للعمرة، ويتركان أولادهما - من أجل الدراسة- في بلدهم، فيقضي الوالدان نصف رمضان أو أكثر في مكة، والأولاد طوال هذه المدة بدون رقيب، وقد يكونون من الصغار الذين لا يدركون، أو من المراهقين الذين يخشى أن ينزلقوا في مزلق كبيرة - ذكوراً أو إناثاً-؛ بسبب استفزاز شياطين الجن والإنس لهم. وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول!

وقد يحدث الخطأ بصورة أخرى، وهي أن كثيراً من الناس يسافرون بأهليهم إلى مكة، ثم يعتكف الأب في الحرم، أو يقضي غالب وقته فيه، ويغفل تماماً عن مراقبة أبنائه وبناته، تاركاً لهم الحبل على الغارب؛ فينتج عن ذلك من المساوئ ما يندي له الجبين. ومن مظاهر ذلك ما رأيناه - وراه غيرنا - في أظهر بقعة من التبرج، وتضييع الحشمة لدى بعض البنات .

حقاً ، إن اصطحاب الأبناء إلى البلد الحرام أمر طيب، فيه تربية لهم، وتمكين لهم من إدراك فضيلة الزمان والمكان، ومضاعفة الحسنات، فإذا كان الأب رجلاً حازماً يستطيع أن يحافظ على رعيته فحبذا ذاك، وأما إن كان عاجزاً عن رعايتهم ومراقبتهم، وضبط تصرفاتهم؛ فليبق في بيته؛ طلباً للسلامة من الفساد والضرر البالغ، الذي قد يلحق برعيته؛ فيرجع بوزرهم بدلاً من الرجوع بالثواب المضاعف.

ومنها: أن بعضاً من أئمة المساجد، ومن المصلحين: الأمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، والوعاظ، والموجهين؛ يتركون ثغورهم ويؤمنون مكة؛ ليعتمروا ويقضوا العشر الأواخر هناك، ولا ريب أن من كان مرتبطاً بإمامة أو وعظ أو

وظيفة يحتاج إليها المسلمون؛ فإن الأوجب في حقه أن يبقى على ثغره؛ فإن في ذلك من تحصيل المصالح المتعدية خيراً كثيراً. وإن أبي إلا الذهاب للعمرة؛ فليكن ذلك في مدة وجيزة يوماً أو يومين، يعود بعدها إلى مكانه؛ فإن من غير الحسن أن تخلو المساجد وغيرها من الوعاظ والمرشدين، والأئمة المؤثرين في هذا الزمان الفاضل - وخاصة العشر الأواخر-، فلينتبه الحريصون على الخير لذلك، ولينظروا إلى الأمور بميزان عادل.

الوقفه الحادية والعشرون

الاعتكاف

وهو لزوم المسجد بنية مخصوصة؛ لطاعة الله تعالى. وهو مشروع مستحب باتفاق أهل العلم، قال الإمام أحمد -فيما رواه عنه أبو داود-: "لا أعلم عن أحد من العلماء إلا أنه مسنون"، ونقل عن الإمام مالك أنه قال: "تأملت أمر الاعتكاف، وما ورد فيه، وكيف أن المسلمين تركوه، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتركه؛ فرأيت أنهم إنما تركوه لمشقة ذلك عليهم"، وقال -رحمه الله-: "ولم أعلم عن أحد من السلف أنه اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن"^(١٥٠)، وما قاله الإمام مالك متعقب، فإنه قد نقل عن جماعات من السلف أنهم كانوا يعتكفون.

وقال الزهري - رحمه الله -: "عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله"^(١٥١).
سرُّ الاعتكاف:

إن في العبادات من الأسرار والحكم الشيء الكثير، ذلك أن المدار في الأعمال على القلب، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد

^(١٥٠) انظر المدونة الكبرى (٢٣٧/١).

^(١٥١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٨٥/٤) وعزاه لابن المنذر.

مضغَةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (١٥٢).

وأكثر ما يفسد القلب الملهيات، والشواغل التي تصرفه عن الإقبال على الله؛ من شهوات المطاعم، والمشارب، والمناكح، وفضول الكلام، وفضول النوم، وفضول الصحبة...، وغير ذلك من الصوارف التي تفرق أمر القلب، وتفسد جمعيته على طاعة الله، فشرع الله تعالى قربات تحمي القلب من غائلة تلك الصوارف، كالصيام - مثلاً -، الصيام الذي يمنع الإنسان من الطعام والشراب والجماع في النهار؛ فينعكس ذلك الامتناع عن فضول هذه الملذات على القلب، فيقوى في سيره إلى الله، وينعتق من أغلال الشهوات التي تصرف المرء عن الآخرة إلى الدنيا.

على أن هذا الامتناع عن رغبات النفس في حال الصيام امتناع معتدل، ليس فيه ما في الأديان الأخرى والمذاهب الأرضية الباطلة من الغلو، كما هو حال الذين يصومون شهراً كاملاً ليله مع نهاره، أو يمتنعون أنفسهم من الأكل والشرب والنوم عدة أيام - وربما على مدى شهور -، أو يدفنون أنفسهم في الأرض، أو يفعلون غير ذلك من صور الجور على الجسد، والغلو في منعه من رغباته.

هذا كله ليس في الإسلام، وإنما فيه صيام معتدل تحصل به تربية الجسد، وحماية القلب وتقويته، من دون إفراط أو تجاوز.

(١٥٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وكما أن الصيام درع للقلب يقيه مغبة صوارف الشهوة: من فضول الطعام، والشراب، والنكاح؛ فكذلك الاعتكاف، ينطوي على سر عظيم، وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة؛ فإن الصحبة قد تزيد على حد الاعتدال؛ فيصير شأنها شأن التُّخمة بالمطعومات لدى الإنسان، كما قال الشاعر: عدوك من صديقك مُستفاد فلا تستكثرن من الصَّحَابِ
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
وفي الاعتكاف - أيضاً - حماية للقلب من جرائر فضول الكلام؛ لأن المرء غالباً يعتكف وحده، فيقبل على الله تعالى بالقيام وقراءة القرآن والذكر والدعاء.. ونحو ذلك.

وفيه - كذلك - حماية من كثرة النوم؛ فإن العبد إنما اعتكف في المسجد؛ ليتفرغ للتقرب إلى الله، بأنواع من العبادات، ولم يلزم المسجد لينام. ولا ريب أن نجاح العبد في التخلص من فضول الصحبة، والكلام، والنوم؛ يسهم في دفع القلب نحو الإقبال على الله تعالى، وحمايته من ضد ذلك.

الجمع بين الصوم والاعتكاف:

لا ريب أن اجتماع أسباب تربية القلب بالإعراض عن الصوارف عن الطاعة أدعى للإقبال على الله تعالى، والتوجه إليه بانقطاع وإخبات؛ ولذلك استحب السلف الجمع بين الصيام والاعتكاف، حتى قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "و لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطراً قط؛ بل قد قالت عائشة: لا اعتكاف إلا بصوم"^(١٥٣).

(١٥٣) أخرجه أبو داود (٢٤٧٣) عن عائشة - رضي الله عنها - وإسناده جيد.

ولم يذكر الله - سبحانه - الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم.

فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: "أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية"^(١٥٤) اهـ.

واشترط الصوم في الاعتكاف نُقِلَ عن ابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهما-، وبه قال مالك والأوزاعي وأبو حنيفة، واختلف النقل في ذلك عن أحمد والشافعي.

وأما قول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطراً قط"؛ ففيه بعض النظر، فقد نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في شوال^(١٥٥)، ولم يثبت أنه كان صائماً في هذه الأيام التي اعتكفها، ولا أنه كان مفطراً؛ فالأصح أن الصوم مستحب للمعتكف، وليس شرطاً لصحته.

مع النبي صلى الله عليه وسلم في معتكفه: اعتكف صلى الله عليه وسلم في العشر الأوسط؛ يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأواخر فاعتكفها .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في العشر التي في وسط الشهر، فإذا كان من حين تمضي عشرون

^(١٥٤) زاد المعاد (٢/٨٧، ٨٨).

^(١٥٥) أخرجه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٣) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

ليلة، ويستقبل إحدى وعشرين؛ يرجع إلى مسكنه، ورجع من كان يجاور معه، ثم إنه أقام في شهر، جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها، فخطب الناس، فأمرهم بما شاء الله، ثم قال: إني كنت أجاور هذه العشر، ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر، فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه، وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين، قال أبو سعيد رضي الله عنه: مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فوكف المسجد^(١٥٦) في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه، وقد انصرف من صلاة الصبح، ووجهه مبتل ماء وطيناً^(١٥٧)؛ فتحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته. ثم حافظ صلى الله عليه وسلم على الاعتكاف في العشر الأواخر، كما في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده^(١٥٨). وفي العام الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم اعتكف عشرين يوماً^(١٥٩)، أي: العشر الأوسط والعشر الأواخر جميعاً؛ وذلك لعدة أسباب:

أولها: أن جبريل عارضه القرآن في تلك السنة مرتين^(١٦٠)؛ فناسب أن يعتكف عشرين يوماً؛ حتى يتمكن من معارضة القرآن كله مرتين.

(١٥٦) وكف المسجد: قطر ماء المطر من سقفه.

(١٥٧) أخرجه البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١٥٨) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٥٩) أخرجه البخاري (٢٠٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٦٠) أخرجه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثانيها: أنه صلى الله عليه وسلم أراد مضاعفة العمل الصالح، والاستزادة من الطاعات؛ لإحساسه صلى الله عليه وسلم بدنو أجله، كما فهم ذلك من قول الله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِظْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر: ١ - ٣] فإن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالإكثار من التسبيح والاستغفار في آخر عمره، وهكذا فعل صلى الله عليه وسلم، فقد كان يكثر في ركوعه وسجوده من قول: "سبحانك اللهم، وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن^(١٦١).

ثالثها: أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك شكراً لله - تعالى - على ما أنعم به عليه من الأعمال الصالحة: من الجهاد، والتعليم، والصيام، والقيام...، وما آتاه من الفضل: من إنزال القرآن عليه، ورفع ذكره...، وغير ذلك مما امتن الله تعالى به عليه.

هذه - والله أعلم - أبرز الأسباب التي جعلته صلى الله عليه وسلم يعتكف عشرين يوماً في العام الذي قبض فيه. وكان صلى الله عليه وسلم يدخل معتكفه قبل غروب الشمس، فإذا أراد - مثلاً - أن يعتكف العشر الأوسط دخل المعتكف قبل غروب الشمس من ليلة الحادي عشر، وإذا أراد أن يعتكف العشر الأواخر دخل المعتكف قبل غروب الشمس من ليلة الحادي والعشرين.

(١٦١) أخرجه البخاري (٨١٧) ومسلم (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنه.

أما ما ثبت في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم صلى الفجر ثم دخل معتكفه^(١٦٢)، فإنما المقصود أنه دخل المكان الخاص في المسجد بعد صلاة الفجر، فقد كان يعتكف في مكان مخصص لذلك، كما ورد في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف في قبة تركية^(١٦٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يخرج رأسه وهو معتكف في المسجد إلى عائشة - رضي الله عنها - وهي في حجرتها، فتغسله وترجله^(١٦٤)، وهي حائض - كما جاء في الصحيحين^(١٦٥) -، وفي مسند أحمد أنه كان يتكئ على عتبة باب غرفتها، ثم يخرج رأسه، فترجله^(١٦٦). وفي ذلك دليل على أن إخراج المعتكف بعض جسده من المعتكف لا بأس به، كأن يخرج يده أو رجله أو رأسه، كما أن الحائض لو أدخلت يدها أو رجلها - مثلاً - في المسجد فلا بأس؛ لأن هذا لا يعدُّ دخولاً في المسجد.

ومن فوائد هذا الحديث - أيضاً - أن المعتكف لا حرج عليه أن يتنظف، ويتطيب، ويغسل رأسه، ويسرحه، فكل هذا لا يخل بالاعتكاف. ومما وقع له صلى الله عليه وسلم في اعتكافه ما رواه الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر، ثم دخل معتكفه، وإنه أمر بخبائه^(١٦٧) فضرب؛ أراد

^(١٦٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٣) ومسلم (١١٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

^(١٦٣) أخرجه مسلم (١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

^(١٦٤) ترجله: تسوي شعره وتزينه وتسرحه. لسان العرب (٢٧٠/١١)، المعجم الوسيط (٣٤٤/١).

^(١٦٥) البخاري (٣٠١، ٢٣٠١)، (١٩٢٦١)، ومسلم (٣١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

^(١٦٦) أخرجه أحمد (٢٥٨٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

^(١٦٧) الخبَاء من الأبنية: ما يكون من وبر، أو صوف، أو شعر. القاموس المحيط (١٦٥٠/١).

الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فأمرت زينب بجبائها فضرب، وأمر غيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بجبائه فضرب، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر نظر فإذا الأخبية، فقال: آلبر تُردن؟، فأمر بجبائه فقوض، وترك الاعتكاف في شهر رمضان، حتى اعتكف في العشر الأول من شوال^(١٦٨). ومعنى قوله: "آلبر تردن"؟ أي: هل الدافع لهذا العمل هو إرادة البر، أو الغيرة والحرص على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والأظهر - والله أعلم - أن اعتكافه صلى الله عليه وسلم في شوال من تلك السنة بدأ بعد يوم العيد، أي في الثاني من شوال، هذا هو الأظهر، ويحتمل أن يكون بدأ من يوم العيد، فإن صح ذلك فهو دليل على أن الاعتكاف لا يشترط معه الصوم؛ لأن يوم العيد لا يصام.

ومما وقع له صلى الله عليه وسلم في اعتكافه ما رواه الشيخان - أيضاً - أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم جاءت تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار، فسلمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: "على رسلكما"^(١٦٩)، إنما هي صفية بنت حُيي"، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم. وفي لفظ: يجري من

(١٦٨) أخرجه البخارى (٢٠٣٣) ومسلم (١١٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٦٩) على رسلكما: أي: اتندا ولا تعجلا.

الإِنسان مجرى الدم. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً. وفي لفظ: شرّاً" (١٧٠).

فمن شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على صدق إيمان هذين الأنصارين، وخشيته أن يلقي الشيطان في قلوبهما شيئاً؛ فيشكك في الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك كفراً، أو يشتغلا بدفع هذه الوسوسة؛ بين صلى الله عليه وسلم الأمر، وقطع الشك، ودفع الوسواس، فأخبرهما أنها صافية - رضي الله عنها-، وهي زوجته.

هذه القصة مما وقع له في اعتكافه صلى الله عليه وسلم وفيها من الدروس ما هو جدير بالتفصيل، لولا خشية الاستطراد عن الموضوع الذي نحن بصددده.

ملحوظات حول الاعتكاف:

الأولى: أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى. والصواب أن الاعتكاف جائز في كل مسجد تُصلى فيه الفروض الخمسة، قال الله تعالى: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) [البقرة: ١٨٧]؛ فدل عموم قوله (فِي الْمَسَاجِدِ): على أنه جائز في كل مسجد. ويستحب أن يكون في مسجد جامع؛ حتى لا يحتاج المعتكف إلى الخروج للجمعة.

(١٧٠) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥) من حديث أم المؤمنين صافية - رضي الله عنها-.

وأما حديث: "لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة"^(١٧١)؛ فهو - على القول بصحته - مؤول، بمعنى أن أكمل ما يكون الاعتكاف في هذه المساجد - كما قال أهل العلم -، وقد انقدح في ذهني تأويل آخر للحديث، وهو أن يكون المراد أن من نذر أن يعتكف في مسجد يحتاج إلى سفر للوصول إليه، فإنه لا يسافر إلا أن يكون نذر الاعتكاف في شيء من المساجد الثلاثة. فلو نذر أحد أن يعتكف مثلاً في مسجد (جَوَاتِي) ^(١٧٢) - وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة خارج المدينة المنورة، ولا يزال معروفاً في الأحساء اليوم لو نذر أن يعتكف فيه، فإنه لا يجوز أن يشدُّ الرَّحْلَ، ويسافر إليه؛ ليعتكف فيه، ولكن يعوض ذلك بأن يعتكف في أحد مساجد بلده، أو يسافر إلى أحد المساجد الثلاثة، ويعتكف فيه.

وإذا نذر المرء أن يعتكف في المسجد الحرام وجب عليه الوفاء بنذره، فيعتكف في المسجد الحرام. ولكن لو نذر - مثلاً - أن يعتكف في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز له أن يعتكف في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو في المسجد الحرام؛ لأن المسجد الحرام أفضل، ولو نذر أن يعتكف في المسجد الأقصى جاز له أن يعتكف في المسجد الأقصى، أو في المسجد الحرام، أو في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهما أفضل من المسجد الأقصى. فالخلاصة أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة": لا اعتكاف ينذر ويسافر إليه، وأن الاعتكاف يصح في كل مسجد،

^(١٧١) أخرجه عبد الرزاق (٨٠١٦)، وابن أبي شيبة (٩٦٦٩)، وسعيد بن منصور ومن طريقه ابن الجوزي في التحقيق (١١٨١)، والفاكهي في أخبار مكة (١٣٣٤)، والطبراني (٩٥١١)، الإسماعيلي في معجمه (٣٣٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٠/٤)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨١/١٥) عن حذيفة رضي الله عنه. قال الذهبي: صحيح غريب عال.
^(١٧٢) جَوَاتِي: اسم مدينة أو حصن بالبحرين. لسان العرب (١٢٩/٢)، معجم ما استعجم (٤٠١/١).

وقد أجمع الأئمة -خاصة الأئمة الأربعة- على صحة الاعتكاف في كل مسجد جامع، ولم يقل بعدم صحة الاعتكاف إلا في المساجد الثلاثة أحد من الأئمة المعروفين المتبوعين، لا الأربعة، ولا العشرة، ولا غيرهم، وإنما نقل هذا عن حذيفة رضي الله عنه وواحد أو اثنين من السلف.

الثانية: أن بعض الناس يعدون الاعتكاف فرصة للخلوة ببعض أصحابهم وأحبابهم، وتجاذب أطراف الحديث معهم، وهذا ليس بجيد. حقاً أنه لا حرج في أن يعتكف جماعة معاً في مسجد، فقد اعتكف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه، حتى لقد كانت إحداهن معتكفةً معه، وهي مستحاضة ترى الدم وهي في المسجد^(١٧٣)، فلا حرج أن يعتكف الشخص مع صاحبه أو قريبه أو حبيبه أو صديقه، ولكن الحرج في أن يكون الاعتكاف فرصة للسمر والسهر، والقيل والقال، وما شابه ذلك. ولذلك قال الإمام ابن القيم - بعدما أشار إلى ما يفعله بعض الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عشرة، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الأحاديث بينهم-، قال: "فهذا لون، والاعتكاف النبوي لون^(١٧٤)".

الثالثة: أن بعض الناس يترك عمله، ووظيفته وواجبه المكلف به؛ لكي يعتكف، وهذا تصرف غير سليم؛ إذ ليس من العدل أن يترك المرء واجباً يؤدي سنة، فيجب على من ترك عمله الوظيفي واعتكف، أن يقطع الاعتكاف، ويعود إلى عمله.

(١٧٣) أخرجه البخاري (٣٠٩) من حديث عائشة - رضي الله عنها-.

(١٧٤) زاد المعاد (٢/٩٠).

الوقفه الثانية والعشرون

العشر الأواخر

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، مالا يجتهد في غيرها^(١٧٥). ومن ذلك أنه كان يعتكف فيها - كما سبق -، ويتحرى ليلة القدر خلالها^(١٧٦).

وفي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر "أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشدّ مئزره"^(١٧٧). زاد مسلم: "وَجَدَّ، وَشَدَّ مِئْزَرَهُ".

قولها "وشدّ مئزره": كناية عن الاستعداد للعبادة، والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، ومعناه التشمير في العبادات، كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري: أي تشمرت له وتفرغت. وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء، وترك الجماع، وهذا هو الأقرب، فإن هذه كناية معروفة عند العرب، كما قال الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

دون النساء ولو باتت بأطهار

وقولها "أحيا الليل": أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها. وقد جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها - الآخر: "لا أعلم رسول الله صلى الله عليه

^(١٧٥) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

^(١٧٦) البخاري (٢٠١٦) ومسلم (١١٦٧) من حديث أبي سعيد لخدي رضي الله عنه.

^(١٧٧) البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهراً كاملاً قط غير رمضان^(١٧٨).

فيحمل قولها: "أحيا الليل" على أنه يقوم أغلب الليل، أو يكون المعنى أنه: يقوم الليل كله، لكن يتخلل ذلك العشاء والسحور وغيرهما، فيكون المراد أنه يحصي معظم الليل.

وقولها: "وأيقظ أهله" أي: أيقظ أزواجه للقيام. ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في سائر السنة، لكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل، ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: "سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟! ماذا أنزل من الخزائن؟! من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"^(١٧٩)، وفيه كذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يوقظ عائشة - رضي الله عنها - إذا أراد أن يوتر^(١٨٠)، لكن إيقاظه صلى الله عليه وسلم لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

^(١٧٨) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (٧٤٦)، والنسائي (١٦٤١) وهذا لفظه من حديث عائشة رضي الله عنها.

^(١٧٩) أخرجه البخاري (١١٢٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

^(١٨٠) أخرجه البخاري (٩٩٧)، ومسلم (٥١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الوقفه الثالثة والعشرون

ليلة القدر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:
(حم) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الدخان: ١ - ٦].

أنزل القرآن الكريم في تلك الليلة التي وصفها رب العالمين بأنها "مباركة"، وقد صح عن جماعة من السلف: منهم ابن عباس - رضي الله عنهما -، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم...؛ أن الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن هي ليلة القدر.

(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ): أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والمهلكون، والسعداء والأشقياء، والحاج والداج^(١٨١)، والعزير والذليل، والجذب والقحط، وكل ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ.

والمقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر - والله أعلم - أنها: تنقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "إن الرجل يُرَى

(١٨١) يقال: ما حج، ولكن دَجَّ: لم يقصد النسك؛ بل قصد التجارة. المعجم الوسيط (١/٢٨٠، ٢٨١).

يفرش الفرش، ويزرع الزرع، وإنه لفي الأموات"، أي أنه كتب في ليلة القدر أنه من الأموات، وقيل: إن المعنى أن المقادير تبين في هذه الليلة للملائكة. وفي سورة القدر يقول الله سبحانه وتعالى عن هذه الليلة العظيمة: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ مَطَّلِعُ الْفَجْرِ) [القدر: ٥-٥]، فسامها الله تعالى ليلة القدر؛ وذلك لعظيم قدرها، وجلالة مكانتها عند الله - جل وعلا-، ولكثرة مغفرة الذنوب، وستر العيوب فيها، فهي ليلة المغفرة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه" (١٨٢). وقيل: إنها سميت ليلة القدر؛ لأن المقادير تُقدَّر وتكتب فيها. وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت ليلة القدر؛ لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة، من (القدر) وهو التضيق، قال تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦] أي: ضيق عليه رزقه. قال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} [القدر: ٢] تنويهاً بشأنها، وإظهاراً لعظمتها. { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } [القدر: ٣] أي: خير مما يزيد على ثلاث وثمانين سنة- كما سبقت الإشارة إلى ذلك- وهذا فضل عظيم لا يقدر قدره إلا رب العالمين- تبارك وتعالى-.

* تحري ليلة القدر:

(١٨٢) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يستحب تحريها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه خاصة، وفي الأوتار منها بالذات، أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين. فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تحروا ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر من رمضان" (١٨٣). وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى" (١٨٤). فهي في الأوتار أخرى وأرجى إذن.

وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم لينخبرنا بليلة القدر، فتلاحى (١٨٥) رجلان من المسلمين، فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة (١٨٦). أي في الأوتار. وفي هذا الحديث دليل على شؤم الخصام والتنازع، وبخاصة في الدين، وأنه سبب في رفع الخير وخفائه.

وليلة القدر في السبع الأواخر أرجى؛ ولذلك جاء في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُرُو ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرى رؤياكم قد توأمت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحرها في السبع الأواخر" (١٨٧).

(١٨٣) أخرجه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(١٨٤) أخرجه البخاري (٢٠٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(١٨٥) تلاحى: تخاصم وتنازع. لسان العرب (٢٤٢/١٥)، والنهاية (٢٤٣/٤).
(١٨٦) البخاري (٤٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(١٨٧) رواه البخاري (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهي في ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أحمد، ومن حديث معاوية رضي الله عنه عند أبي داود؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليلة القدر ليلة سبع وعشرين"^(١٨٨). وكونها ليلة سبع وعشرين هو مذهب أكثر الصحابة وجمهور العلماء، حتى إن أبي بن كعب رضي الله عنه كان يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين^(١٨٩). وأخرج ابن أبي شيبة عن زر أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يشكّون أنها ليلة سبع وعشرين^(١٩٠).

ومن الأمور التي استنبط منها أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين: أن كلمة "فيها" من قوله تعالى: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) [القدر: ٤] هي الكلمة السابعة والعشرون من سورة القدر.

وبعض العلماء استدلوا على أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين بطريقة حسابية، وذلك أن كلمة "ليلة القدر"، تسعة أحرف، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، فبضرب التسعة في الثلاث تكون النتيجة سبعاً وعشرين. وهذا ليس عليه دليل شرعي، فلا حاجة لمثل هذه الحسابات، فبين أيدينا من الأدلة الشرعية ما يغنيها.

(١٨٨) أخرجه أحمد (٤٧٩٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإسناده صحيح، أخرجه أبو داود (١٣٨٦) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهذا لفظه.

(١٨٩) رواه مسلم (٧٦٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١٩٠) انظر هذه الروايات وغيرها في الدر المنثور تفسير سورة القدر

ومما يرجح أنها ليلة سبع وعشرين ما ورد : من أن رجلاً رآها ليلة سبع وعشرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أرى رؤياكم في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها"^(١٩١).

لكن كونها ليلة سبع وعشرين أمر غالب - والله أعلم - وليس دائماً، فقد تكون - أحياناً - ليلة إحدى وعشرين، كما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي سبق ذكره، وهو حديث متفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد صبيحة إحدى وعشرين في ماء وطين^(١٩٢).

* ومما يتعلق بليلة القدر أنه يستحب فيها الإكثار من الدعاء، وبخاصة الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم عائشة - رضي الله عنها - حين قالت: "يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: "قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني"^(١٩٣).

* العلامات التي تعرف بها ليلة القدر:

العلامة الأولى: ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن من علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها^(١٩٤).

العلامة الثانية: ثبت من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عند ابن خزيمة، ورواه الطيالسي في مسنده، وسنده صحيح؛ أن النبي صلى الله عليه

^(١٩١) البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

^(١٩٢) البخاري (٢٠٣٦) ومسلم (١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

^(١٩٣) أحمد (٢٤٩٦٩)، والترمذي (٣٥١٣) وابن ماجه (٣٨٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

^(١٩٤) مسلم (٧٦٢) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وسلم، قال: "ليلة القدر ليلة طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها صفيقة حمراء" (١٩٥).

العلامة الثالثة: ثبت عند الطبراني بسند حسن من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليلة القدر ليلة بَلَجَة" (١٩٦)، لا حارة ولا باردة، لا يرمى فيها بنجم (١٩٧) " (١٩٨).

هذه ثلاثة أحاديث صحيحة في بيان العلامات الدالة على ليلة القدر. وهناك حديث رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وسنده صحيح، إلا ما يخشى من انقطاعه، لكن يشهد له ما سبق، وهو حديث طويل وعجيب، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنها: "صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعًا، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها، حتى تصبح، وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ" (١٩٩).

وقد ذكر بعض أهل العلم علامات أخرى، لا أصل لها، وليست بصحيحة، وإنما أذكرها؛ لأنبه إلى عدم صحتها.

(١٩٥) أخرجه ابن خزيمة (٢١٩٢) والطيالسي (٢٦٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٧٥).

(١٩٦) لا يرمى فيها بنجم: لا ترسل فيها الشهب.

(١٩٧) رواه الطبراني في الكبير (١٣٩) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٧٢).

(١٩٨) أخرجه أحمد (٢٢٢٥٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٥/٣) وقال: رجاله ثقات. إله لکن: في إسناده خالد بن معدان، قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة عابد يرسل كثيرًا. إله وقال ابن أبي حاتم في المراسيل عن أبيه: لم يصح سماعه من عبادة بن الصامت. إله وقوله: ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ، أي لا يخرج معها صبيحة ليلة القدر خصوصًا، ذلك أن العادة في كل يوم أن تطلع الشمس بين قرني شيطان كما في صحيح البخاري (٣٠٩٩) وصحيح مسلم (٨٢٩).

(١٩٩) انظر ص ٤٥.

ذكر الطبري أن قومًا قالوا: إن من علاماتها أن الأشجار تسقط حتى تصل إلى الأرض، ثم تعود إلى أوضاعها الأصلية. وهذا لا يصح.
 وذكر بعضهم أن المياه المالحه تصبح في ليلة القدر حلوة، وهذا لا يصح.
 وذكر بعضهم أن الكلاب لا تنبح فيها، وهذا لا يصح.
 وذكر آخرون أن الأنوار تكون في كل مكان، حتى في الأماكن المظلمة، في تلك الليلة، وهذا لا يصح.

* ونختتم الحديث عن ليلة القدر بالأمرين التاليين:

الأول: ينبغي أن يعلم أنه لا يلزم أن يعلم من أدرك ليلة القدر أنه أدركها، وإنما العبرة بالاجتهاد والإخلاص، سواء علم بها أو لم يعلم. وقد يكون من الذين لم يعلموا بها، لكنهم اجتهدوا في العبادة والخشوع، والبكاء والدعاء؛ قد يكون منهم من هم أفضل عند الله تعالى، وأعظم درجة ومنزلة ممن عرفوا تلك الليلة.

الثاني: أن ليلة القدر ليست خاصة بهذه الأمة على الراجح، بل هي عامة لهذه الأمة، وللأمم السابقة، فقد روى النسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل تكون ليلة القدر مع الأنبياء، فإذا ماتوا رفعت؟ قال صلى الله عليه وسلم: "كلا، بل هي باقية".

وهذا الحديث أصح من الحديث الذي رواه مالك في الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار أمته، فكأنه تقالها، فأعطي ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر - وقد تقدم ذكر هذا الحديث - (٢٠).

وعلى فرض صحة هذا الحديث فهو قابل للتأويل، وأما حديث أبي ذر رضي الله عنه فهو صريح في أن ليلة القدر تكون مع الأنبياء. ومما يقوي ذلك قول الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١]. فمن المعلوم أن القرآن يوم أُنزل أُنزل بالنبوة على محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن قبل ذلك نبياً، حتى تكون تلك الليلة ليلة القدر في حقه.

الوقفه الرابعة والعشرون

مع العيد

العيد اسم لكل ما يعتاد، والأعياد شعارات توجد لدى كل الأمم، سواء أكانت كتابية أم وثنية أم غير ذلك؛ ذلك أن إقامة الأعياد ترتبط بفطرة، طبع الناس عليها، فكل الناس يحبون أن تكون لهم مناسبات فرح يظهرون فيها السرور، ويتذكرون الماضي.

وأعياد الأمم الكافرة ترتبط بأمر دنيوية، مثل قيام دولة، أو سقوطها، أو تنصيب حاكم، أو تنويجه، أو زواجه، أو مجلول مناسبة زمانية كفصل الربيع، أو غير ذلك.

ولليهود أعيادهم، وللنصارى أعيادهم الخاصة بهم، فمن أعياد النصارى العيد الذي يكون في الخميس الذي يزعمون أن المائدة أنزلت فيه على عيسى عليه السلام؛ وكذلك عيد ميلاد عيسى، وعيد رأس السنة (الكريزمس)، وعيد الشكر، وعيد العطاء... ويحتفلون بها الآن في جميع البلاد الأوربية والأمريكية وغيرها من البلاد التي للنصرانية فيها ظهور؛ وإن لم تكن نصرانية في الأصل، وقد يشاركهم بعض المنتسبين إلى الإسلام من حولهم عن جهل، أو عن نفاق. وللمجوس - كذلك - أعيادهم الخاصة بهم، مثل عيد المهرجان، وعيد النيروز، وغيرهما.

وللرافضة - أيضاً - أعيادهم، مثل عيد الغدير الذي يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع فيه علياً رضي الله عنه بالخلافة، وبايع فيه الأئمة الاثني عشر

من بعده، وللرافضة في هذا العيد مصنفات كثيرة، حتى إن منها كتاباً اسمه "يوم الغدير" يقع في عشرات المجلدات.

أما المسلمون فليس لهم إلا عيدان: عيد الفطر، وعيد الأضحى. ففي سنن أبي داود والنسائي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال صلى الله عليه وسلم: "كان لكم يومان تلعبون فيهما. وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى"^(٢٠٠)؛ ولذلك قال الشاعر:

عيدان عند أولي التُّهى لا ثالث *** لهما لمن يبغى السلامة في غدِ
الفطر والأضحى، وكلُّ زيادة *** فيها خروجٌ عن سبيل محمدِ
قال ذلك رداً على الشاعر الذي أضاف عيداً ثالثاً، هو عيد مولد محمد صلى
الله عليه وسلم في قوله:

المسلمون ثلاثةٌ أعيادهم *** الفطر والأضحى وعيد المولدِ
فإذا انتهت أعيادهم فسروهم *** لا ينتهي أبداً بحبِّ محمدِ
وهذان العيدان اللذان شرعهما الله للمسلمين هما من شعائر الإسلام التي ينبغى
إحيائها، وإدراك مقاصدها، واستشعار معانيها.

* أحكام العيد:

أولاً: يحرم صوم يومي العيدين؛ لحديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين: يوم الفطر، ويوم النحر^(٢٠١).

(٢٠٠) أخرجه أحمد (١٢٤١٦)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦).
(٢٠١) أخرجه البخاري (١١٩٧) ومسلم (٨٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثانياً: يستحب الخروج للصلاة، للرجال والنساء، لقول أم عطية- رضي الله عنها- " : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق^(٢٠٢) والحائض، وذوات الخدور^(٢٠٣)، فأما الحائض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين^(٢٠٤).

فما دامت الحائض والعواتق، وذوات الخدور قد أمرن أن يخرجن لصلاة العيد؛ فلا شك أن من الأولى أن يؤمر الرجال شيئاً وشباباً بالخروج لها، بل قد ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الخروج لصلاة العيد؛ لهذا الحديث، ولغيره من الأدلة؛ كقول الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) [الأعلى: ١٤ - ١٥]. قال بعضهم : المقصود في هذه الآية صلاة العيد.

ثالثاً: من أحكام العيد أن الصلاة فيه قبل الخطبة، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر، وأبي سعيد، وابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل الخطبة^(٢٠٥).

رابعاً: يستحب للإمام أن يكبر في الصلاة سبعاً في الأولى، وخمساً في الثانية، فقد ثبت هذا عن جماعة من الصحابة، والتابعين؛ كعمر^(٢٠٦)، وعثمان^(٢٠٧)، وعلي^(٢٠٨)، وأبي هريرة^(٢٠٩)، وابن عباس^(٢١٠)، وأبي سعيد

^(٢٠٢) العواتق: جمع عاتق، وهي الأنثى أول ما تبلغ، والتي لم تتزوج بعد. انظر: لسان العرب (٢٣٥/١٠).

^(٢٠٣) الخدور: البيوت، وقيل: الخدر: ستر يكون في ناحية البيت. انظر: النهاية (١٣/٢).

^(٢٠٤) أخرجه البخاري (٩٧٤) ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية الأنصارية رضي الله عنها.

^(٢٠٥) حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٩٦٣)، ومسلم (٨٨٨)، وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري (٩٥٦)، ومسلم (٤٩)، وحديث ابن عباس أخرجه البخاري (٥٨٨٠)، ومسلم (٨٨٤).

^(٢٠٦) مصنف ابن أبي شيبة (٥٧١٨).

^(٢٠٧) أحمد (٥٤٣) عن عبد الله بن فروخ.

^(٢٠٨) البزار (٤٨٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٣/٢) قال: لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد، وفيه من لم أعرفه. اهـ

^(٢٠٩) أحمد (٨٤٦٤) من حديث الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومالك في الموطأ (٤٣٤)، وابن أبي شيبة (٥٧٠٣)،

والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٤٤/٤)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٧٤) عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٢١٠) ابن أبي شيبة (٥٧٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٧٥) عن عطاء.

الخدري^(٢١١)، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما ، وغيرهم.

وقد ورد في ذلك أحاديث عدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده^(٢١٢)، ومن طريق كثير بن عبد الله المزني عن عمرو بن عوف رضي الله عنه^(٢١٣). لكن كل تلك الأحاديث المرفوعة لا تصح. وإنما ثبت ذلك في آثار موقوفة. ويجوز أن يكبر الإمام أربع تكبيرات في الركعة الأولى، وأربعاً في الثانية، فقد ثبت هذا عن جماعة من السلف، منهم ابن مسعود رضي الله عنه، كما رواه عن الفريابي وغيره. وهو مذهب الأحناف.

خامساً: يستحب أن يقرأ الإمام في صلاة العيد بـ"ق" و"اقتربت الساعة"، كما في صحيح مسلم أن عمر رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق: ١]، و(اقتربت الساعة وأنشق القمر) (القمر: ١) [٢١٤].

(٢١١) (أخرجه ابن أبي شيبه (٥٧٢٠) والهارث بن أبي أسامة في مسنده (٢١٠- زوائد).
 (٢١٢) أخرجه أحمد (٦٦٤٩)، وأبو داود (١١٥٢)، وابن ماجه (١٢٧٨)، والدارقطني (٤٧/٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٤٣/٤)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٦٦)، وفي الصغرى (٧١٧) من حديث عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال العظيم آبادي في عون المعبود: عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي قال ابن القطان في كتابه: والطائفي هذا وضعفه جماعة منهم ابن معين. قاله الزيلعي: وقال المنذري: في إسناده عبد الله ابن عبد الرحمن الطائفي وفيه مقال. وقد أخرج له مسلم في المتابعات. اهـ.
 (٢١٣) أخرجه الترمذي (٥٣٦)، وابن ماجه (١٢٧٩)، وعبد بن حميد (٢٩٠)، والبخاري (٣٣٨٩)، والطبراني في الكبير (١٤/١٧)، وابن خزيمة (١٤٣٩)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٦٨) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه. قال المباركفوري في تحفة الأحوذى (٦٥/٢): كثير بن عمرو ابن عوف المزني المدني، قال الحافظ في التقريب: ضعيف، منهم من نسبه إلى الكذب. اهـ وقال الشافعي: ركن من أركان الكذب. وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة كما في الميزان. اهـ.
 (٢١٤) مسلم (٨٩١) من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأكثر ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بـ "سبح" و"الغاشية" كما كان يقرأ بهما في الجمعة^(٢١٥).

سادساً: لا نافلة قبل صلاة العيد ولا بعدها، كما روى الستة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم العيد، فصلى ركعتين، لم يصل قبلهما ولا بعدهما^(٢١٦).
إلا إن صلى الناس العيد في المسجد فلا بد - حينئذ - من صلاة ركعتين تحية للمسجد.

* آداب العيد:

أولاً: الاغتسال قبل الخروج للصلاة، فقد صحَّ في الموطأ وغيره أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى^(٢١٧)، وضح عن السائب بن يزيد، و سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: "سنة العيد ثلاث: المشي، والاختسال، والأكل قبل الخروج".
هذا من كلام سعيد بن جبير، ولعله أخذ ذلك عن بعض الصحابة.
وذكر النووي - رحمه الله - اتفاق العلماء على استحباب الاغتسال لصلاة العيد.

والمعنى الذي يستحب بسببه الاغتسال للجمعة وغيرها من الاجتماعات العامة موجود في العيد، بل لعله في العيد أوضح.

^(٢١٥) مسلم (٨٧٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

^(٢١٦) البخارى (٩٦٤)، ومسلم (٨٨٤)، والترمذي (٥٣٧)، وأبو داود (١١٤٢)، والنسائي (١٥٨٧)،

وابن ماجه (١٢٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

^(٢١٧) (الموطأ) (٤٢٨) من حديث نافع عن ابن عمر.

ثانياً: ألا يخرج في عيد الفطر إلى الصلاة حتى يأكل تمرات؛ لما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات^(٢١٨).

وإنما استحب الأكل قبل الخروج مبالغة في النهي عن الصوم في ذلك اليوم. وأما في عيد الأضحى فإن المستحب هو ألا يأكل إلا بعد الصلاة من أضحيته. ثالثاً: التكبير في يوم العيد، قال الله تعالى: (وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: ١٨٥].

وقد نقل عن ابن عمر - رضي الله عنهما - من طرق، وبأسانيد صحيحة، عند البيهقي وابن أبي شيبة؛ أنه كان يكبر إذا خرج من بيته إلى المصلّى^(٢١٩). ولقد كان التكبير من حين الخروج من البيت إلى المصلّى، وإلى دخول الإمام أمراً مشهوراً جداً عند السلف. وقد نقله جماعة من المصنفين، كابن أبي شيبة، وعبدالرزاق، والفريري في كتاب (أحكام العيدين)، عن جماعة من السلف. ومن ذلك أن نافع بن جبير كان يكبر، ويتعجب من عدم تكبير الناس فيقول: "ألا تكبرون؟! " وكان محمد بن شهاب الزهري يقول: "كان الناس يكبرون منذ يخرجون من بيوتهم، حتى يأتوا المصلّى وحتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام سكتوا"^(٢٢٠).

فالحلaxe: أنه يشرع أن يكبر المسلم من حين خروجه من منزله إلى أن يدخل الإمام.

^(٢١٨) أخرجه البخاري (٩٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
^(٢١٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٩٢٤).
^(٢٢٠) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٢٩) من حديث ابن أبي ذئب عن الزهري.

رابعاً: من آداب العيد التهنئة التي يتبادلها الناس فيما بينهم، أيًا كان لفظها، مثل قول بعضهم لبعض: عيدكم مبارك، تقبل الله منا ومنكم. وما أشبه ذلك من عبارات التهنئة المباحة. والتهنئة كانت معروفة عند الصحابة، ورخص فيها أهل العلم، كالإمام أحمد وغيره، وقد ورد ما يدل عليه؛ من مشروعية التهنئة بالمناسبات، وتهيئة الصحابة بعضهم بعضاً عند حصول ما يسرُّ، مثل: أن يتوب الله تعالى على امرئ؛ فيقومون بتهنئته بذلك، إلى غير ذلك. والآثار المنقولة عن الصحابة التي يحتج بها على أنه لا بأس أن يهنئ الناس بعضهم بعضاً بالعيد آثار عديدة. ولا ريب أن هذه التهنئة من مكارم الأخلاق، ومحاسن المظاهر الاجتماعية بين المسلمين.

وأقل ما يقال في موضوع التهنئة أن تهنئ من هنأك بالعيد، وتسكت إن سكت، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "إن هنأني أحد أحبته، وإلا لم أبتدئه".

خامساً: التجميل بأحسن الملابس؛ لما روى البخاري عن عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: أخذ عمر رضي الله عنه جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ابتع هذه تجملُ بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هذه لباس من لا خلاق له^(٢٢١) . . . الحديث.

(٢٢١) أخرجه البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فدل ذلك على أن التجمل للعيد كان معروفاً، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم عمر على التجمل، لكنه أنكر عليه شراء هذه الجبة؛ لأنها من حرير. وعن جابر رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم جبة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة^(٢٢٢).

وروى البيهقي بسند صحيح أن ابن عمر - رضي الله عنهما - "كان يلبس في العيدين أحسن ثيابه"^(٢٢٣).

فينبغي للرجل أن يلبس أجمل ما عنده من الثياب عند الخروج للعيد. أما النساء فيبتعدن عن الزينة إذا خرجن؛ لأنهن منهيات عن إظهار الزينة للرجال الأجانب، وكذلك يحرم على من أرادت الخروج أن تمس الطيب أو تتعرض للرجال بالفتنة، فإنها ما خرجت إلا لعبادة وطاعة.. أفترأه يصح من مؤمنة أن تعصي من خرجت لطاعته، وتخالف أمره بلبس الضيق والثوب الملون الجذاب اللافت للنظر، أو مس الطيب أو نحوه؟

* تنبيهات على بعض المنكرات:

أولاً: بعض الناس يعتقدون مشروعية إحياء ليلة العيد بالصلاة، ويتناقلون في ذلك حديثاً لا يصح، وهو أن "من قام ليلتي العيد محتسباً لله؛ لم يمته قلبه يوم تموت القلوب"^(٢٢٤).

(٢٢٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٦٥)، والبيهقي في الكبرى (٥٩٣١) عن جابر رضي الله عنهما.

(٢٢٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٣٨) عن نافع مولى ابن عمر.

(٢٢٤) أخرجه ابن ماجه (١٧٨٢) من حديث بقية بن الوليد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة رضي الله عنه. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٦٤٤): إسناده ضعيف لتدليس بقية. اه، وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد (١٩٨/٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال الهيثمي: فيه عمر بن هارون الجلي والغالب عليه الضعف وأثنى عليه ابن مهدي لكن ضعفه جمع كثيرون. اه، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٠٨٧)، وفي شعب الإيمان (٣٧١١) من حديث الشافعي عن إبراهيم بن محمد قال قال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي النرداء

وهذا الحديث جاء من طريقين، أحدهما ضعيف، والآخر ضعيف جداً، فلا يشرع تخصيص ليلة العيد بذلك من بين سائر الليالي، وأما من كان يقوم في سائر الليالي؛ فلا حرج أن يقوم في ليلة العيد.

ثانياً: اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع وغيرها، ومن المحزن أن هذا يحدث في أقدس البقع، في المساجد، بل في المسجد الحرام، فإن بعض النساء - هداهن الله - يخرجن متجملات متعطرات، سافرات، متبرجات، ويحدث في المسجد الزحام الشديد؛ وفي ذلك من الفتنة والخطر العظيم ما لا يخفى .

ثالثاً: أن بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء؛ واللهو المحرم، وهذا لا يجوز في العيد ولا غيره ، وليس مناسبة لانتهاك المحرمات ، ولكنه مناسبة شكر لله وفرح بفضله .

رابعاً: أن بعض الناس يفرحون بالعيد؛ لأنهم تركوا رمضان، وانتهوا من الصيام، وهذا خطأ، فإن العيد إنما يفرح به المؤمنون؛ لأن الله تعالى وفقهم لإكمال عدة الشهر وإتمام الصيام، وليس الفرحة بسبب إنهاء الصيام الذي يعده بعض الناس عبئاً ثقیلاً عليهم.

رضي الله عنه موقوفاً. قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٨٠/٢): رواه ابن ماجه من حديث ثور عن خالد بن معدان عن أبي أمامة وذكره الدارقطني في العلل من حديث ثور عن مكحول عنه قال والصحيح أنه موقوف على مكحول ورواه الشافعي موقوفاً على أبي الدرداء وذكره بن الجوزي في العلل من طرق ورواه الحسن بن سفيان من طريق بشر بن رافع عن ثور عن خالد عن عبادة بن الصامت وبشر متهم بالوضع. اهـ وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٧٢/٥) من طريق ابن كردوس عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب". قال الذهبي: حديث منكر مرسل. اهـ وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد (٢٤٧/٢) أنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في إحياء ليلتي العيدين شيء.

الوقفه الخامسة والعشرون

مع صدقة الفطر

وهي فرض على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - المتفق عليه: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين" (٢٢٥).

وأما الأصناف التي تُخرج منها صدقة الفطر، ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصحيحين قال: "كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب" (٢٢٦). وفي بعض الروايات - كما في صحيح ابن خزيمة -: "أو صاعاً من سُلت" (٢٢٧). والسُلت: نوع من جيد الشعير، ليس فيه قشر.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عند ابن خزيمة أنه قال: "من أدى سُلْتًا قَبْلَ منه، ومن أدى دَقِيقًا قَبْلَ منه، ومن أدى سَوِيقًا قَبْلَ منه" (٢٢٨)؛ ولذلك بَوَّبَ ابن خزيمة - رحمه الله - باب: "إخراج جميع الأطعمة في صدقة الفطر.." (٢٢٩).

(٢٢٥) أخرجه البخاري (١٥٠٨) ومسلم (٩٨٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
 (٢٢٦) أخرجه البخاري (١٥٠٦) ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
 (٢٢٧) أخرجه ابن خزيمة (٢٤١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه ابن خزيمة أيضاً (٢٤١٤) والدارقطني (١٤٦/٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
 (٢٢٨) أخرجه ابن خزيمة (٢٤١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
 (٢٢٩) انظر صحيح ابن خزيمة (٨٩/٤).

فالصحيح أن صدقة الفطر تخرج من طعام البلد، صاعاً من قوت البلد، أيًا كان قوته.

وصدقة الفطر إنما هي للمساكين خاصة، وليست لسائر أصناف أهل الزكاة الثمانية؛ لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صدقة الفطر: "طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين"^(٢٣٠). وهذا ما رجحه جماعة من أهل العلم، كابن تيمية، وابن القيم - رحمهما الله -.

وتؤدَّى صدقة الفطر قبل الخروج لصلاة العيد، كما في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر، قبل خروج الناس إلى الصلاة^(٢٣١).

ومن أداها قبل العيد بيوم أو يومين فلا حرج، كما جاء في البخاري: "وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين"^(٢٣٢).

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أُخرت عنها فإنما هي صدقة من الصدقات.

^(٢٣٠) أخرجه أبو داود (١٦٠٩) وابن ماجه (١٨٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

^(٢٣١) أخرجه البخاري (١٥٠٣) ومسلم (٩٨٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

^(٢٣٢) أخرجه البخاري (١١٥١١)، ومسلم (٩٨٤) من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الوقفه السادسة والعشرون

مع أحكام القضاء

* والناس في أحكام القضاء أنواع:

النوع الأول: الحائض والنفساء والمسافر، فهؤلاء يفطرون ويقضون.

النوع الثاني: الحامل والمرضع، إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما؛

فإنهما تفطران. والراجح أن عليهما القضاء فقط، ولا إطعام عليهما؛ لقول الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) [البقرة:

١٨٤]. والحامل والمرضع تلحقان بالمرريض؛ ولما في السنن من حديث أنس بن

مالك الكعبي - رضي الله عنه، أنه جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فوجده

يتغدى، فقال: أذن فكل . فقال: إني صائم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

"اجلس أحدثك عن الصلاة وعن الصيام، إن الله تعالى وضع شطر الصلاة،

والصوم عن المسافر، وعن المرضع أو الحلبى" (٢٣٣).

وقال بعض أهل العلم: عليهما القضاء والإطعام، وقال آخرون: عليهما

الإطعام فقط.

وهذا الخلاف إنما هو فيما إذا خافتا على ولديهما.

النوع الثالث: المريض، وهو قسمان:

(٢٣٣) أخرجه أحمد (١٨٥٦٨)، والترمذي (٧١٥) وأبو داود (٢٤٠٨) والنسائي (٢٢٧٤) من حديث أنس بن مالك الكعبي القشيري رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن.

الأول: المريض الذي يُرجى بُرؤه، كمن يكون فيه حمى، فهذا يفطر، ويقضي إذا شفي. فإن مات قبل أن يشفى فلا شيء عليه ولا على قرابته من بعده، لأن الواجب عليه قضاء صيامه في أيام أخر وهو لم يدرك هذه الأيام الأخر، أما إن كان تمكن من القضاء وفرط فيه، فعلى قرابته أن يصوموا عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: " من مات وعليه صوم صام عنه وليه " (٢٣٤).

الثاني: المريض الذي لا يرجى برؤه، فهذا يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً.

النوع الرابع: الكبير الهرم، الذي أصابه الخرف، وزال عقله، وذهب تمييزه، فهذا لا صوم عليه، ولا قضاء، ولا إطعام.

* تنبيهات حول القضاء:

أولاً: بعض الناس يؤخرون القضاء إلى ما بعد رمضان الآخر، وهذا لا يجوز؛ لقول عائشة - رضي الله عنها -: "كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان". قال يحيى بن سعيد الأنصاري: الشُّغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٣٥).

فلا يجوز تأخير القضاء إلى ما بعد رمضان الآخر؛ لهذا الحديث، ولأن ذلك يسبب تراكم الصيام على العبد؛ ولأن الصيام عبادة موقوتة بالسنة فلا يصح أن تؤخر تلك العبادة إلى السنة التي بعدها.

(٢٣٤) أخرجه البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧) من حديث عائشة.

(٢٣٥) البخاري (١٩٥٠)، ومسلم (١١٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، والمعنى: أنه يمنعها من القضاء الشُّغل برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: لا يشترط التتابع في قضاء رمضان - كما يعتقد بعض الناس - بل يصح أن يصوم - الذي عليه قضاء - يوماً، ويفطر يوماً، أو كما يشاء.

ثالثاً: يستحب الإسراع والتعجيل بالقضاء؛ لأن ذلك أسرع في إبراء الذمة، والإنسان مُعرَّض للموت في أي لحظة، فينبغي له المبادرة بإبراء ذمته، والاستعداد للرحيل، قبل أن يباغته ما يُفوّت عليه ذلك.

الوقفه السابعة والعشرون

صيام الست من شوال

يشرع للمسلم صيام ستة أيام من شوال، وفي ذلك فضل عظيم، وأجر كبير، كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال؛ كان كصيام الدهر" (٢٣٦).

وهذا المعنى جاء عند الدرامي، وابن ماجه، من حديث ثوبان رضي الله عنه (٢٣٧)، وجاء عند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه (٢٣٨)، وعند البزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وكل هذه الأحاديث تدل على مشروعية صيام الست من شوال، وهذا هو الصحيح، وهو مذهب الجماهير، خلافاً لمالك - رحمه الله - .

وإنما كان صيام الست من شوال مع صيام رمضان كصيام الدهر؛ لأن رمضان عن عشرة أشهر؛ حيث إن الحسنة بعشر أمثالها، وعشرة أشهر مع شهرين حولاً كامل، وتستحب المبادرة بصيام الست من شوال، بحيث يبدأ بها من اليوم الثاني من الشهر، ولا حرج في عدم المبادرة، فلو أخرها إلى وسط الشهر أو آخره فلا بأس. ولا يصومها من كان عليه قضاء من رمضان حتى ينهي

(٢٣٦) أخرجه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢٣٧) أخرج أحمد (٢١٩٠٦)، والدارمي (١٧٥٥)، وابن ماجه (١٧١٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها".

(٢٣٨) أخرجه أحمد (١٣٨٩٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من صام رمضان وستاً من شوال فكأنما صام السنة كلها" في إسناده عمرو بن جابر الحضرمي وهو ضعيف.

ذلك القضاء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال" (٢٣٩) وهذا معناه أن صيام الست من شوال إنما يكون بعد إنهاء صوم رمضان كله.

وختاماً أنبه إلى أن بعض الناس يسمون اليوم الثامن من شوال "عيد الأبرار"، وهذه بدعة باطلة منكرة، فإن أعياد المسلمين اثنان لا ثالث لهما - كما تقدم-.

الوقفه الثامنة والعشرون

مع صيام النفل

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال: لا يفطر. ويفطر حتى يقال: لا يصوم. ولم يعلم عنه أنه صام شهراً كاملاً غير رمضان، إلا شعبان فإنه كان يصوم أكثره، بل كله^(٢٤٠).

وكان صلى الله عليه وسلم يتعاهد صيام يومي الاثنين والخميس^(٢٤١)، وأيام البيض، بل جاء عنه في حديث - وإن كان فيه ضعف - أنه كان لا يترك صيام أيام البيض في حضر ولا سفر^(٢٤٢)، وكان يأمر بصيامها ويحث عليه، فقد أوصى أبا هريرة رضي الله عنه بثلاث: منها صيام ثلاثة أيام من كل شهر^(٢٤٣). كما أوصى أبا ذر رضي الله عنه بذلك^(٢٤٤).

وَأَذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - أن يصوم يوماً، ويفطر يوماً^(٢٤٥). ونهى عن صيام الدهر فقال: "من صام الدهر لا صام ولا أفطر"^(٢٤٦).

^(٢٤٠) انظر البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦-١١٥٧).

^(٢٤١) أخرج الترمذي (٧٤٥)، والنسائي (٢١٨٦)، وابن ماجه (١٧٣٩) عن ربيعة الجرشي أنه سأل عائشة عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان يتحرى صيام الاثنين والخميس. قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

^(٢٤٢) أخرجه النسائي (٢٣٤٥) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، في إسناده جعفر بن أبي المغيرة، قال الحافظ في التقريب: صدوق يهيم، وقال ابن منده: ليس بالقوي في سعيد بن جبير.

^(٢٤٣) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٢٤٤) أخرجه النسائي (٢٤٠٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

^(٢٤٥) رواه البخاري (١٩٧٨) ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

^(٢٤٦) أخرجه أحمد (١٥٨٨٠)، والنسائي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (١٧٠٥) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

وقال: "لا صام من صام الأبد"^(٢٤٧) قالها مرتين. وقال: "من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا"^(٢٤٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول عن صوم يوم عرفة لغير الحاج: "صيام يوم عرفة أحْتَسِبُ على الله أن يكفِّر السنة التي قبله، والسنة التي بعده"^(٢٤٩). وأما الحاج فإنه يكره له أن يصوم ذلك اليوم، ففي الصحيحين أنه كان مفطراً يوم عرفة وهو حاج^(٢٥٠).

وصام صلى الله عليه وسلم عاشوراء، وأمر بصيامه^(٢٥١)، وقال: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع"^(٢٥٢)، وقال: "صيام يوم عاشوراء أحْتَسِبُ على الله أن يكفِّر السنة التي قبله"^(٢٥٣)، إنه لجدير بالمسلم أن يكون له حظ من صيام قلَّ أو كثر:

وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَذْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ *** تفوز بعيدِ الفطر والناسُ صُومَ
اللهم وفقنا لما تحبُّ وترضى يا كريم.

(٢٤٧) أخرجه البخاري (١٩٧٧) ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٢٤٨) أخرجه الطيالسي (٥١٣)، وابن أبي شيبة (٩٥٥٣)، وأحمد (١٩٢١٤)، والرويانى (٥٦١)، وابن خزيمة (٢١٥٤)، وابن حبان (٣٥٨٤)، والبخاري (٣٠٦٢)، والطبراني في الأوسط (٢٥٦٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٣/٣): رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. اهـ وقد اختلف في وقفه ورفعته.
(٢٤٩) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.
(٢٥٠) البخاري (١٦٥٨)، ومسلم (١١٢٣) من حديث أم الفضل الهلالية رضي الله عنها.
(٢٥١) أخرجه البخاري (٣٩٤٣)، ومسلم (١١٣٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٢٥٢) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٢٥٣) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

الوقفه التاسعة والعشرون

ذكرى

اغتنم - يا أخي - أيام هذا الشهر الكريم، ولياليه، وساعاته؛ في الاستزادة من الخير، والإقبال على القرب، فإن العاقل الحازم لا يفرط في مواسم الخيرات، بل يهتبل^(٢٥٤) الفرص، ويتعرض لنفحات الله، ويتزود ليوم الرحيل، ومن يدري - يا أخي - لعلك مكتوب في سجلّ الموتى في هذا العام، فالبدارَ البدار، ما دمت في زمن الإمكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جلسة رمضانية في البدائع

جلسة رمضانية في البدائع

عن رمضان والفوائد التربوية العظيمة التي يريدنا الله تعالى من هذه الشعيرة، تحدث الشيخ في هذا الموضوع؛ مبيناً سرعة مرور الأيام وتقلبها ذاكراً بعض الواجبات المتحتم القيام بها في هذا الشهر، والأمور التي يقصر فيها كثير من الناس في شئونهم الشخصية والعائلية والتعبدية والاجتماعية في هذا الشهر المبارك.

سرعة مرور الأيام والليالي

نحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ويرضى، فهو مستحق الحمد وأهله، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

أحبي الكرام.. ربما لا يسمح وقت هذا الشهر الكريم بمزيد من العناية بمثل هذه المجالس، ولكن حسبكم وأنتم تعكفون في مثل هذا المكان الطيب أن تسمعوا اسم الله جل جلاله، فتذكروه وتوقروه وتحمدوه وتكبروه، أو تسمعوا اسم نبيه محمد، فتصلوا وتسلموا عليه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، فيكتب لكم بذلك أجر، ويرفع لكم به قدر، ويحط عنكم به وزر.. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الأبرار الأخيار الأطهار..

أيها الأحبة: هذه جلسة رمضانية في هذه الليلة، ليلة الثالث من رمضان -ليلة الجمعة- في هذا المسجد في البدائع، وهذه الجلسة الرمضانية -أيها الأحبة- سوف أتحدث فيها على عجل وإيجاز مراعاة لظروفكم وأوقاتكم عن عدد من الدروس التي لا بد أن يخرج بها المسلم في رمضان، ثم أدع الفرصة إذا كان ثمة أسئلة يرى عرضها وطرحها للإجابة عليها.

فأول ما يقف عنده الإنسان وهو يتسامع بخير شهر رمضان هو أن يتعجب من سرعة مرور الأيام والليالي وكرورها، فما أن يودع الإنسان شهراً حتى يستقبل آخر، ويطوي من ذلك أياماً ثم أسابيع ثم شهوراً، وإذا بالعام الثاني يأتي وكأنه لحظة بصر أو خطفة برق! فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين..!

البرد يسلمك إلى حر، والحر يسلمك إلى برد، والعمل يسلمك إلى إجازة، والإجازة تسلمك إلى عمل، والشهر يسلمك إلى آخر، وهكذا أيام وليالي تمر وتكر، وإنما هي مراحل ينتقل الإنسان

عبرها إلى قبره ومستقره إلى أن يأذن الله تعالى ببعث الناس من قبورهم: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

حب الحياة يورد الموارد المهلكة

أيها الأحبة: لو تأملنا لوجدنا أن حب الحياة أورد كثيرين الموارد المهلكة، فكم من إنسان تلجلجت كلمة الخير في فمه واحتجبت وتوقفت! بل ونطق وجهر بالباطل الذي يعلم هو في قرارة نفسه أنه باطل لا يرضي الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه سيسخط عليه أيضاً عباد الله الصالحين، ولكنه نطق وربما جهر به، لا لشيء إلا تشبهاً بهذه الحياة وحباً لها.

وكم من إنسان فر من المعركة خوفاً من الموت، فقد تكون هذه المعركة معركة السلاح التي تتلاقى فيها السيوف ولها بريقٌ ولمعان، وتترف فيها الدماء، وتتطاير فيها الرءوس، فرما فر منها وهو يرجو الحياة والبقاء، ويخاف أن يأتيه حتفه فيها، أو قد يكون فر من المعركة الكبرى: معركة الإسلام مع خصومه وأعدائه شحاً بالحياة وبخلاً بها.

وإنما شَحَّ وَبَخَّلَ؛ لأنه لم يفقه معنى الحياة، ولم يفقه سر تغير الأيام والليالي وتبدلها وتحولها؛ وأن الإنسان كما لو كان في قطار يسير به سيراً وعلى ظهر هذا القطار الإنسان الغافل، والإنسان اليقظ، والنائم، والصاحي، والعاقل والمجنون وغيرهم.

هوان الحياة الدنيا

ولو تأمل الإنسان وتبصر لوجد أن حقيقة هذه الدنيا أقل من أن يتعب الإنسان وراءها أو يضحى بشيءٍ في سبيلها، فقد كانت الحياة هينةً، لا أقول فقط عند الذين يؤمنون بالله تعالى والدار الآخرة، ويرجون ما عند الله، فهؤلاء -نعم- هانت عليهم الحياة، فبدلوا في سبيل الله تعالى الحياة رخيصة، وكان الواحد منهم يخوض المعركة وروحه على راحتته، يلقي بها في مهاوي الموت ولا يبالى!..

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

بل كانت الحياة رخيصة حتى عند الذين عقلوا أمورهم عقلاً صحيحاً، فقد كان كثير من العقلاء -حتى في جاهليتهم قبل الإسلام وحتى في هذا الزمان- لا يفهمون من معنى الحياة إلا معنى العزة

والكرامة والقوة، فإذا آلت الحياة إلى معاني الذل والمهانة؛ كان الموت عندهم خيراً منها، وكانوا يقولون: (موتٌ في عزٍ خيرٌ من حياةٍ في ذل) ويقول آخرون:

الموت لا يكون إلا مرةً والموتُ خيرٌ من حياةٍ مرةً

مواقف الناس تجاه سرعة الأيام والليالي

وأنت تجد كثيراً من العوام والخواص إذا قيل: ما شاء الله! أُعْلِنَ رمضان، قال: سبحان الله! ما أسرع الأيام والليالي! كأنه أمس!.. وهكذا في كل مناسبة يقولون هذا الكلام، لكن يظل هذا الكلام مجرد كلماتٍ تداعب شفاههم، ولا يتحول إلى عقيدة في قلوبهم، وإلى مُسَيِّرٍ لأعمالهم، وإلى ضابطٍ وحاكمٍ لتصرفاتهم؛ بحيث تجد الإنسان قد فقه معنى الحياة، فأصبحت الحياة عنده هي الجهاد في سبيل الله، وقليلٌ من الناس من يكونون كذلك.

قيمة الأعمار بما أنجز فيها من الأعمال

يا أخي الكريم:

كم من إنسان لو حسبت عمره بميزان الأيام والليالي والساعات لوجدته قصيراً! فلان عاش ثلاثين أو أربعين سنة، ولكنها مليئةٌ بجلائل الأعمال، وبالبطولات والتضحيات، مليئةٌ بالجهاد، وبالعلم، مليئةٌ بالعمل، وبالدعوة؛ ولهذا كانت هذه السنوات كبيرة في ميزان الله تعالى، عظيمةٌ عند العقلاء! وربما ظل هذا الإنسان حياً في ذاكرة التاريخ تتسامع به الأجيال، جيلاً بعد جيل، ورعيلاً بعد رعييل، مع أنه لم يعيش من زمانه إلا سنين قصيرة.

وكم من إنسان قد يكون من المعمرين وبجسبك أن تقرأ كتاب "المعمرون والوصايا" لأبي حاتم السجستاني، فقد ذكر فيه أسماء المعمرين، ولو تصفحت هؤلاء المعمرين لم تجد منهم إنساناً يذكره التاريخ بالفضل إلا أقل القليل! أما الباقيون فلا يعرفون إلا بأنهم طالت أعمارهم، كما يكتب في الجرائد أحياناً أن فلاناً مات عن مائة وثلاثين سنة أو مائة وأربعين سنة، وهذا بحد ذاته لا يحمد ولا يذم، إنما الذي يحمد ويذم هو العمل الذي ملأ به الإنسان هذه السنين، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فلا أدري -أيها الأحبة- متى يصحو الإنسان من تقلبات الأيام والليالي، وكرور الشهور بعد الشهور، ومرور الأعوام بعد الأعوام؛ حتى ينتبه إلى أن الحياة ليست هي الساعات فحسب، وإنما الحياة هي الأعمال التي تسجل لهذا الإنسان!

والله يا إخواني! إنها لحسرة وندامة للإنسان منا أن يموت ثم لا يسمع به أحد، ولا يعرفه أحد، ولا يثني عليه أحد، ويمحى اسمه من سجل الأحياء، ويمحى من سجل التاريخ؛ فلا يذكر بشيء. وأسوأ من ذلك أن يذكر بشيء، أو يُدعى عليه، أو يُسبَّ، أو يذم بالحق، أما الذم بالباطل فلا يضير.

فالسؤال الذي يطرح نفسه عليك الآن: إذا مت -وأنت ميت لا محالة- فما هو العمل الذي قدمته وسوف تذكر به؟ هل سيثني عليك بخير؟ هل سيمدحك الأخيار شهود الله في أرضه؟ هل ستكون قد تركت وراءك علماً نافعاً: كتاباً، دروساً، محاضرات، أعمالاً، جهاداً، كلمة حق قلتها في مناسبة، طلاباً خرجتهم تذكر بهم ويدعى لك بسببهم وينفعون الناس، أولاداً صالحين تذكر بهم، أموالاً أنفقتها في سبيل الله؟! أم أنك سوف تموت ويطوى ذكرك وتحمل، ولا أحد يعرف عنك شيئاً؟!!

إذا متُّ كان الناس صنفين شامتٌ وآخرٌ مثنٌ بالذي كنتُ أصنعُ

متاعب الدنيا تهون إذا قيست بالآخرة

إن الواحد منا -وهو يصوم- يتذكر وقد مسه ألم الجوع والعطش أن ما يلاقيه الإنسان من حرمان في هذه الحياة يهون جداً إذا قيس بأمر الدار الآخرة، فالذين ينظرون إلى الدنيا فحسب تحطى حساباتهم كثيراً، تحطى من وجوه عديدة، وإليك بعض الأمثلة:

المترفون إنما هم في متاع قليل

المنعمون في الدنيا إذا كانوا من أهل النار ماذا ينفعهم نعيمهم؟! ماذا تنفعهم لذة ساعة؟! ما تنفعهم القصور إذا صاروا إلى القبور؟! ماذا تنفعهم الأرصدة إذا ذهبوا إلى الدار الآخرة بلا رصيد؟! وماذا تنفعهم الأموال والأولاد والكراسي والمناصب؟! وماذا ينفعهم الجاه العريض في الدنيا إذا كانوا قد خرجوا من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة، ولم يكونوا قدّموا من الخير عملاً صالحاً؟! ولهذا قال الله عز وجل: ﴿لَا يَغْرَنُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

متاع قليل! أين فرعون؟! أين هامان؟! أين قارون؟! أين النمرود؟! أين كسرى؟! أين قيصر؟!

ذهبوا ولم يبق منهم إلا أسماءهم وأعمالهم وآثارهم يذمون بها ويشتمون ويلعنون بها إلى يوم يعثون.

بل حتى ملوك المسلمين وخلفائهم الذين توسعوا في ملاذ الدنيا، وبنوا القصور وعمروها وشيدوها، وجمعوا الأموال، وحشدوا الجنود، وفعلوا ما فعلوا.. أين هم؟! أين قصر الحمراء، ومن بناه؟! أين قصر بني أمية في دمشق؟! كلهم ذهبوا، ولم تبق إلا آثار درست، تقول للعقلاء: اعتبروا واتعظوا...!

بالله! سل خلف بحر الصين عن عربٍ بالأمس كانوا هنا واليوم قد تاهوا
 وإن تراءت لك الحمراء عن كتبٍ فسائل الصرح: أين العز والجاه؟!
 وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها عَمَّنْ بناه لعل الصرح ينعاهُ
 هذي معالمُ خرسٍ كل واحدةٍ منهن قامت خطيباً فاغراً فاه
 إني لأشعر إذ أغشى معالمهم كأنني راهب يغشى مصلاه
 الله يعلم ما قلبتُ سيرتهم يوماً وأخطأ دمع العين مجراه
 أين الرشيد وقد طاف الغمام به فحين جاوز بغداد تحذاهُ
 ماضٍ تعيش على أنقاضه أمم وتستمد القوى من وحي ذكراهُ

ذهبت الآثار، ذهبت الأسماء، والقصور، ذهبت الأموال والجيوش والجنود، لم يكن هؤلاء الجنود يستطيعون أن يسعفوا حاكماً أو ملكاً أو جباراً، ولا أن يحولوا بينه وبين قدر الله النافذ لا محالة...!

فالحساب ليس حساباً دنيوياً بحتاً. ومن كان في الآخرة من الضالين الكافرين الفاسقين، فلا ينفعه أن يكون في هذه الدنيا من المنعمين، وفي صحيح مسلم يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: {يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في العذاب صبغةً، ثم يقال له: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما رأيت خيراً قط! ولا مر بي نعيم قط!} لحظة واحدة من عذاب الجبار جل وعلا تنسي الإنسان كل ما كان في هذه الدنيا قد أكل، وكل ما قد شرب، وكل ما ركب، وتنعم، وكل ألوان اللذائذ التي يتسابق فيها المتسابقون

ويتنافس فيها المتنافسون، فهل يعي هذا الدرس من رمضان أقواماً قد رتعوا في النعيم إلى أذقانهم، وتخوضوا في مال الله تعالى بغير حق، وتسلطوا على عباد الله فاستضعفوهم واستغلوهم، وتجبروا وتكبروا وظلموا، ونسوا الواحد الأحد الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؟!!

إنما يربح المجاهدون

خذ مثلاً آخر وهو عكس هذا: المطاردون في الدنيا وهم كثير، هل يضيرهم ذلك شيئاً إذا كانوا في الآخرة من أهل الجنة ومن حصل على رضوان الله تبارك وتعالى؛ فأسلمه ذلك إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟! لا! لا يضيرهم، بل يودون يوم القيامة أن أجسادهم قرضت بالمقاريض، يتمنون أن العذاب الذي أصابهم كان أشد وأنكى وأصعب وأوجع؛ لأن الأجر الذي أعطاهم الله تعالى إياه نظير صبرهم ورضاهم بذلك في ذات الله تعالى جعلهم يستعذبون في سبيل الله تعالى كل مُرٍ، وَيَسْتَحْلُونَ من أجل الله تعالى كلَّ علقم، فواحدهم يقول:

ربي لك الحمد لا أحصي الجميل إذا نفذت يوماً شكاة القلب في كرب

فلا تؤاخذ إذا زل اللسان فما شيء سوى الحمد في الضراء يجمل بي

لك الحياة كما ترضى بشاشتها فيما تحب وإن باتت على غضب

رضيت في حبك الأيام جائرة فعلقم الدهر إن أَرْضَاكَ كالعذب

شكراً لفضلك إذ حملت كاهلنا مما وثقت بنا ما كان من نوب

فكل ما يلقاه المؤمنون في سبيل الله تعالى من أذى وسخرية وتكذيب، من تسلط وسجن، وتشريد، من طرد وحرمان ومضايقة، كله عذب لذيذ!!

يقول المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر: {بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبى للغرباء!} الغرباء الذين يلقون من الناس السخرية والصد والتعذيب والتكذيب والسجن والإيذاء والاستغراب والإنكار، وألوان المضايقة، هؤلاء وعدهم المصطفى عليه السلام بطوبى، أي بالخير الكثير الطيب في الدنيا فهم يجدون في الدنيا، نعيماً في قلوبهم، ويتقبلون -ولو كانوا يتقبلون على جمر الغضا- على فرش الحرير والديباج في حقيقة الأمر؛ لأن قلوبهم تعيش في سعادة.

ومن مقدميهم وزعمائهم الكبار الإمام ابن تيمية رحمه الله، الذي كان ينتقل من سجن إلى سجن ومن بلاء إلى بلاء، وطالما أُوذِيَ وضرب، حتى ضايقه الناس مرة في مصر في الشوارع وكادوا

يضرّبونه، وسجن مرات في مصر ، وسجن في الشام ، بل مات وهو في السجن!! ماذا كان يقول؟ ما قال: سئمت من هذه الحياة التي لا أمل فيها في انتصار، ولا أمل فيها بفرج، لا! قال لما أقبل على السجن: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] فالداخل إلى السجن في نظرهم أنه يدخل إلى الضيق والظلمة والحبس، هذا في نظر الناس عذاب، ولهذا قال باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

أما باطن السجن بالنسبة للشيخ وأمثاله فهو رحمة، فيه الأُنس بذكر الله، والقرب من الله، والتفرغ لذكر الله وقراءة القرآن وطلب العلم النافع، وقال رحمه الله كلمته المشهورة: "ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنّتي وبستاني في صدري! حيثما ذهبت فهي معي لا تفارقي، سجنني خلوة، وإخراجي من بلدي سياحة، وقتلي في سبيل الله تعالى شهادة" إذاً، المقياس ليس دنيوياً محضاً وليس مادياً بحتاً، بل المشردون المطرودون لا يضيرهم ذلك إذا كانوا من أولياء الله ومن أهل الجنة.

تكدر نعيم الدنيا لغير المؤمنين وصفاءه للمؤمنين

مثال ثالث: نعيم الدنيا لغير المؤمنين هل تعتقد أنه صفا لهم؟! هل تعتقد أن هذا الذي يتقلب على ألوان النعيم في الدنيا وهو غير مؤمن.. هل تظن أن نعيم الدنيا صفا له؟! لا! إن أشباح الموت تطارده، ولهذا فهو كل فترة يذهب إلى كشف طبي من ألوان الكشوف، ومع ذلك مخاوف الموت تطارده، فإذا أحس بصداع في رأسه؛ قال: ها! ربما يكون هذا سرطاناً في المخ! وإذا أحس بأشياء في جسده؛ قال: قد يكون هذا مرض الإيدز! لأنه يعرف حقيقة حساباته، ويعرف ماذا يصنع، ويعرف أنه قد تعرض لسخط الله، وقد ارتكب ألوان الموبقات والجرائم.

فتجد أن شبّح الموت يطاردهم وينغص عليهم عيشتهم، كما قال بعض السلف: [فضح الموت الدنيا، فلم يُبقِ لذي عقل فيها نظراً] فهو سر سلّطه الله تعالى على العباد عامة وعلى المترفين والمتكبرين خاصة، فهو يتسلل إليهم بهدوء حتى وهم في أقصى قصورهم، وفي خواص غرفهم، ودون أن يطلب إذناً من الحجاب ولا من الجنود، ودون أن يملك أحد إزاءه رداً ولا حجياً ولا تأخيراً ولا صرفاً ولا عدلاً، فيتسلل ويقطف أرواحهم، ثم يغادرهم وقد تركهم جثثاً هامدة لا حراك بها، كما ترك الفرعون من قبل، يقول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

إذاً حتى نعيم الدنيا لا يصفو لغير المؤمنين، أما المؤمن فمهما يكن مقتصرًا في هذه الدنيا فهو يشعر بلذة في الدنيا عاجلة فضلاً عن لذة الآخرة، ولهذا كان بعض الصالحين يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة" وهذا يشمل جنة التعبّد، جنة الإقبال على الله تعالى والأنس بذكره، لكن أيضاً من ضمن ذلك أنه حتى نعيم الدنيا من الأكل والشرب، ونعيم السكن الطيب، ونعيم الزوجة لا يتمتع به على حقيقته إلا الخيرون، ولهذا والله! ذهب الأخيار بخير الدنيا والآخرة! لماذا؟ لأن الموت لا يشكل بالنسبة لهم قضية خطيرة! لماذا؟

لأن الواحد منهم يجعل الموت نصب عينه، فيستعد له، هذا من جانب. ومن جانب آخر؛ فإن الواحد منهم يقول: الحمد لله! أنا -إن شاء الله- معي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا محافظ على الصلوات الخمس، وأنا -إن شاء الله- إن ذهبت إلى الدار الآخرة، فإني أقدم على رب رحيم كريم أرجو رحمته وأحشى عذابه، فيكون في قلبه اطمئنان، لا يكون الموت بالنسبة له شبحاً رهيباً مرعباً، وإن كان الإنسان من طبيعته أنه يكره الموت، كما في الصحيح من حديث عائشة وأبي هريرة: فكلنا يكره الموت، فقال النبي ﷺ: {ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله فرح بذلك، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه، أما الكافر فإنه يبشر بسخط الله، فيكره لقاء الله ويكره الله تعالى لقاءه} فحتى إن أردت بالمقياس الدنيوي فنعيم الدنيا لا يصفو لأهل الدنيا أبداً؛ إنما يصفو للصالحين البررة الأخيار الأطهار.

الدنيا ليست مقياساً للحق أو الباطل

الدنيا ليست هي الفارق أو المقياس للحق والباطل: فأنت تجد مثلاً أن من الأنبياء من قتل، ومنهم من ضرب، ومنهم من أودى، ومنهم من شرد، ومنهم من طرد.. منهم من قتل كيحيى وزكريا، ومنهم من أودى كما أودى موسى في سمعته، وسبوه في خلقته، واتهموه بما هو منه براء، ومنهم من سجن كما سجن يوسف عليه الصلاة والسلام، وخرج عليه السلام من السجن ليكون على خزائن الأرض: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

والرسول ﷺ أخرج من بلده، وأودى وغير سب، وكسرت رباعيته وشجّ وجهه، وألقي السلي على ظهره ﷺ.. ثم كانت العاقبة لهم.

فالدنيا ليست مقياساً للحق والباطل، فكون النصراني أرباب الصليب من الأمريكان والفرنسيين والبريطانيين والشرقيين أيضاً.. كونهم الآن يملكون نفوذاً، ويملكون سلاحاً ويملكون قوة، ويملكون

بطشاً، لا يعني هذا أن الحق معهم، وكون المسلمين الآن - خاصة المسلمين الصادقين - مستضعفين حتى في بلادهم، ربما كلمة الحق ييخل بها عليهم، ولا يملكون من القوة ما يملك عدوهم، ولا يملكون من وسائل الإعلام ما يملك عدوهم لا يعني هذا أن الحق أصبح باطلاً أو أن الباطل أصبح حقاً، لا! ليس هذا هو المقياس في فترة محدودة من الزمان، بل ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وكما يقول الله تعالى في قراءة: ﴿قَاتِلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] قتل أتباعه. والقراءة الأخرى: ﴿وَكَايْنٌ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

إذاً، من الخطأ أن تعتقد أن مقياس الحق هو القوة، لا! قد تكون القوة مع الباطل، قد تكون القوة مع اليهود كما هو الحاصل الآن، قد تكون القوة مع الكفار، قد تكون القوة مع المنافقين، ولكن: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

وحتى في الدنيا نفسها فإن الله تعالى وعد - ووعدته حق - أن جنده هم الغالبون، ولكن أين جنده المخلصون الذين تخلصوا من شهوات الدنيا، وتخلصوا من الشح، وتخلصوا من رغبات أنفسهم، وتخلصوا من مطامعهم، فخلصت قلوبهم لله عز وجل؟! هؤلاء هم المنصورون بنص القرآن: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

التربية على الزهد في الدنيا

عندما كانت الدنيا ليست هي المقياس تعبد الله تعالى جنده وأوليائه بألوان من الإعراض عن الحياة الدنيا كالصيام مثلاً، حيث يمسك الإنسان عن الصيام طيلة النهار، وهو لا يقبض مقابل ذلك في الدنيا شيئاً البتة، وقد تكون الظروف في كثير من الأحيان تتيح للإنسان ألا يصوم - لو أراد ألا يصوم - دون أن يلقي على ذلك جزءاً في الدنيا أيضاً، ولكنه يترك الطعام والشراب وهو في متناول

يده ابتغاء ما عند الله تعالى، لأنه يؤمن بأنه توجد دار آخرة ينبغي أن يستعد لها، كما يستعد ليومه وغده.

ومثله الإحرام سواء بسواء! فإن المحرم يمتنع مثلاً عن ألوان من الزينة كالتطيب وإزالة الشعر وقص الأظافر ولبس المخيط، وغير ذلك من ألوان الترفه التي يمتنع عنها المحرم، ومن ذلك أيضاً النكاح: عقد النكاح، والجماع ومقدماته، يمتنع عن ذلك كله؛ لأنه يؤمن أن هناك داراً آخرة تتطلب أن يستعد لها الإنسان كما يستعد ليومه ولغده في هذه الدنيا سواء بسواء.

ومثله أيضاً الزهد وهو أمر تعبد الله تعالى به عباده أن يزهّدوا في فضول المباحات التي لا يحتاجون إليها في الدنيا ولا تنفعهم في الدار الآخرة، وقد كان النبي ﷺ سيد الزهاد يقول: {مالي وللدنيا! ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم قام وتركها!}.

فهذا درس آخر وفائدة ينتفع بها المؤمن: إن الدنيا ليست هي المقياس في كل أمر، بل المقياس هو الآخرة: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والكلام في هذا الموضوع يطول لكن المقصود الإشارة فحسب، وإلا فيكفيك أن تعلم أن الآخرة سرمد لا نهاية لها، وأن الدنيا مداها الزوال والفناء، وهب أن الإنسان عاش ما عاش كما قال الشاعر:

إذا كان الشتاء فأدفتوني فإن الشيخ يهرمه الشتاء

إذا بلغ الفتى ستين عاماً فقد ذهب المسرة والهناء

هب أنك عشت مائتي عام، فكان ماذا؟

موسى عليه الصلاة والسلام جاءه ملك الموت عند الموت فلطمه، فرجع ملك الموت إلى ربه، فقال: يا رب بعثتني إلى عبدٍ من عبادك لا يريد الموت، فرد الله تعالى إليه عينه، وقال له: اذهب إلى موسى فقل له: ضع يدك على متن ثور، فإن لك بكل ما غطت يدك: بكل شعرة سنة، فذهب ملك الموت إلى موسى وقال له ذلك، فقال: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فما دام أنه لا بد من الموت فالآن، ثم دعا الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر والحديث في صحيح البخاري .

وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العار أن تكون جباناً

الشجاع يموت بأجله، والجبان يأتيه حتفه ولو كان في أقصى غرفة من بيته، فلا الشجاعة تقلل الأجل، ولا الجبن يؤخره، ولا كون الإنسان يضحى في سبيل الله تعالى ويذلل ما ييذل؛ لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق.

الانتصارات في رمضان

كثيراً ما نسمع ونقول: رمضان شهر الانتصارات، فإذا أردنا أن نعدد الانتصارات هذه قلنا: معركة بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، وكذا وكذا، لكن أين انتصارات رمضان في هذه السنوات؟! أين انتصارات رمضان في هذه الأزمنة المتأخرة؟! هل عمقنا فأصبحنا مثل التاجر الذي أفلس فأصبح يفتش في دفاتره القديمة؟! ليس عندنا أمجاد نتكلم عنها الآن، وليس عندنا انتصارات في هذا الوقت، أين انتصاراتنا في رمضان في هذا العام؟! قد يتحدث بعضنا عن انتصار العرب على إسرائيل والذي كان في رمضان، وهذا قد يعتبر لوناً من ألوان النصر، الله تعالى أعلم به على كل حال.

لكنني أقول: نعم، أما على مستوى انتصارات الأمة فلعل من الحق أن نتصارع ونقول: الأمة لا تنتقل في حقيقة الأمر الآن إلى انتصارات على عدوها؛ لأنها لم تخض المعركة مع عدوها بعد. الأمة الآن دون مستوى أن تخوض المعركة، فضلاً عن أن نقول: إنها انتصرت، أقول هذا كأمة عدوها الأكبر هم اليهود والنصارى؛ العدو التاريخي المتقرر شأنه في القرآن والسنة والذي كان عبر التاريخ ينازلنا ويصاولنا ويجاولنا.

الصيام انتصار للحق وللتقوى

لكن هذا لا يمنع أن نتحدث عن ألوان دون ذلك من الانتصار، مثلاً: في حقيقة الأمر أن صيام رمضان انتصارٌ كبير يسجل في كل بلد، بل في كل بيت، بل في كل نفس تصوم لله تعالى؛ لأن رمضان انتصارٌ للحق في نفسك، وانتصارٌ للتقوى في قلبك، فأنت تطيع الله تعالى فتمسك عن أمرٍ فدواعي الشهوة تقول لك: هلم إليّ، فتقول: معاذ الله! إنه ربي أحسن مثواي، فتقلع عن الطعام والشراب والشهوة التي منعك الله تعالى منها في نهار رمضان، وهذا انتصار.

الانتصار على الشياطين

ثمة انتصار آخر، وهو انتصار العبد على الشيطان، فإن الشياطين يسلسلون في رمضان فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون فيه في غير رمضان، ولذلك نجد أن كثيراً من أصحاب المعاصي يقبلون على الله ويقلعون عما كانوا عليه، وهذا أيضاً انتصار آخر.

الانتصار على النفس

هناك انتصار ثالث، وهو الانتصار على شهوات الدنيا وملذاتها وعلى أهواء النفس، وهذا مؤذن بالنصر الكبير؛ فإن الإنسان الذي استطاع النصر على نفسه فيمتنع عما تحب وتهوى طاعة لله تعالى؛ يرشحه ذلك أن ينتصر على عدوه في المعركة الكبرى؛ معركة الإسلام مع خصومة.

التغريب والتخريب

هناك أيضاً انتصار من نوع آخر، وهو أن شهر رمضان انتصار على محاولات التخريب والتغريب التي تغزو العالم، وتحاول طمس معالم الدين.. نعم! رمضان انتصاراً على محاولات التغريب والتخريب، فمثلاً: الأعداء يحاولون أن يغيروا المجتمع الإسلامي والمجتمع العربي، ويطمسوا الهوية الإسلامية في بلاد المسلمين، ويحاولون أن تتحول بلاد الإسلام إلى صورة من النمط الغربي، وقد قطعوا في ذلك شوطاً كبيراً خاصة وأجهزة الإعلام بأيديهم، لا أقول العالم الإسلامي فقط، بل العالم كله.

وقد أخبرني اليوم بعض الإخوة أنه قد رأى القناة التلفزيونية التي تبث من روسيا وتغطي روسيا ويستقبلها الناس بالأقمار الصناعية والأقراص حتى في هذه البلاد مع الأسف، وقد وضعت الأقمار في أكثر من موضع منها بعض المواقع الحساسة كالمستشفيات وتستقبل المحطة الروسية، فماذا في المحطة الروسية؟

في المحطة الروسية بضاعة غربية لكن بلهجة روسية، البضاعة أمريكية، لكن اللغة روسية، وأما المستقبلون هنا فهم من المسلمين، وهناك من الروس في بلادهم وهم المستهدفون أصلاً، ماذا يقدم الأمريكان والغرب للروس؟

يعلّمونهم كيف يعملون في المطبخ، ماذا تصنع المرأة في المطبخ ويعلمونهم ماذا تصنع المرأة في المرقص، ويعلمونهم ماذا يصنعون في مناسبات الولائم والعزائم والأفراح والزواج والتجمعات، ويعلمونهم كيف يصنعون طعامهم وشرابهم، ويشرحون لهم تفاصيل الحياة ودقائقها، ويبيّنون لهم

كيفية قص الشعر، ويوضحون لهم كيفية صناعة الزي أو الثوب الذي يلبسونه..! لماذا؟ لأنهم مصممون على تحويل المجتمع الروسي الذي هو تركة الاتحاد السوفيتي مصممون على تحويله تماماً إلى مجتمع غربي يحاكي المجتمع الأمريكي أو البريطاني أو الفرنسي.

فهم من خلال هذا الغزو الإعلامي الكاسح يحولون المجتمع إلى مجتمع غربي، والعالم الإسلامي مستهدف منذ زمن بعيد من خلال البث التلفزيوني؛ من خلال الصحف والمجلات، من خلال الغزو البشري المباشر، آلاف بل مئات الآلاف من الجنود المجندين والمجنذات؛ ليسوا بالضرورة الذين يلبسون الألبسة العسكرية، بل قد يكونون خبراء وقد يكونون موظفين، وقد يكونون تجاراً وقد يكونون مبشرين علانية ودعاة إلى النصرانية وإلى التنصير وإلى التخريب والتغريب، هذه الجموع الغفيرة وهذه الوسائل الضخمة تستهدف أن تزيل آثار الإسلام في المجتمعات.

وقد رأينا هذا واضحاً جداً، فرأينا أن المسلمين في بلاد الإسلام قد أصبح الزي الرسمي للفتاة الذي تذهب به للمدرسة ثوباً إلى ما فوق الركبة، ورأينا أن الفتاة المسلمة لا أقول اليهودية أو النصرانية ، لا! بل المسلمة رأينا أنها تمشي بثياب لا تستر إلا نصف فخدها، وقد ظهر شعرها ووجهها ونحرها وذراعاها وعضدها، وجزء من صدرها وساقها، وجزء من فخذيها! وهي تمشي بثياب ضيقة هكذا في الشارع، أو في المدرسة، أو في المطعم، أو في أي مكان، فضلاً عن المرقص أو مكان السينما أو الملهى.

فإذا سمعت المناادي للصلاة ينادي ذهبت إلى المسجد، فوجدت في المسجد ثياباً مخصصة، تلففت بها ثم صلت، فإذا انتهت من الصلاة خلعت هذا الثوب، ورجعت إلى ما كانت عليه في عملها السابق.

إذاً هنا أفلح العدو في تغريب المجتمع، وهو يحاول في هذا المجتمع بالذات؛ لأنه لا يزال يتشبث ببعض أخلاقيات الإسلام وقيمه وسلوكياته، فالغرب يركز على هذا المجتمع بالذات، لمحاولة تغريبه وتغييره، ولكنه لن يفجح بإذن الله تعالى ولن يصل إلى ما يريد، فإذا جاء رمضان تغير كثير مما كانوا يصنعون، تغيرت أخلاقيات الناس، تغيرت عاداتهم، تغيرت اتصالاتهم، أقبلوا على الذكر وعلى المساجد حتى في البلاد التي تأثروا فيها، كبلاد تركيا مثلاً أو ماليزيا ، أو أندونيسيا ، أو بلاد المغرب أو غيرها من البلاد تغير الناس كثيراً وأقبلوا على المساجد وعلى الذكر، وأصبحت الخمور لا تدار علانية، وأصبح الناس لا يمشون في الشوارع كما كانوا بالأمس، إلا وعليهم آثار التدخين.

فرمضان من الشعائر والمعالم التي لا تزال تصارع جهود أعداء الإسلام وتقاومها، يشبهها في ذلك الأذان باعتباره شعيرة من الشعائر الظاهرة، فبعض البلاد إذا دخلتها لا تجد آثار الإسلام فيها إلا في المآذن، فإذا جاء وقت الصلاة سمعت ضجيج المآذن، فعرفت أن هذا بلد إسلامي! أما فيما سوى ذلك فلا تكاد تميزه عن غيره من البلاد بشيء، فرمضان انتصار على محاولات التغريب والتخريب.

انتزاع الشباب من الفساد إلى المسجد

كما أنه انتصار كذلك في أنه ينتزع وينتشل في كل عام من وهدة الفساد والانحلال أعداداً من شباب المسلمين وفتياتهم؛ فينقلهم إلى المساجد، وإلى حلق الذكر، وإلى دروس العلم؛ فيكونون من الصالحين الأوابين الأواهين المستقيمين.

انتصار على محاولات التفريق

كما أن رمضان أيضاً انتصار على محاولات تمزيق وحدة الأمة وتفريق صفها، ولذلك نجد أن الناس يجتمعون في رمضان، وتتآلف قلوبهم في المساجد، يجتمعون على ذكر الله، وصلاة التراويح، والقيام، والإفطار، والسحور، فيكون في ذلك جمع لقلوبهم وحشد لقواهم، فكأن كل يوم من رمضان يوم جمعة؛ يجتمع فيه المسلمون يسمعون ذكر الله ويسبحونه وتأتلف قلوبهم. ولذلك نجد أن المسلمين المضطهدين والمضيق عليهم في أكثر من بلد يفرحون برمضان، إذا كانوا لا يجتمعون في سائر السنة إلا مرة في الأسبوع وهو يوم الجمعة، أما في رمضان فإنه يتاح لهم أن يجتمعوا فيه كل ليلة ويتدارسوا أمورهم، ويتفقوا على ما يرون الاتفاق عليه، ولعل المسلمين في هذا العام المستضعفين والمضطهدين في الجزائر يجدون في شهر رمضان متنفساً لهم.

ارتفاع المعنويات وتحقيق الولاء والارتباط بالعلماء

كما أن رمضان يمنح المسلمين من ارتفاع المعنويات وقوة النفوس وعمق تحقيق الولاء للدين وأهله ما لم يكن لهم عهد به في غير رمضان، مثلاً: إقبال الناس على معرفة أمور دينهم، على الاستفتاء ومعرفة الأحكام الشرعية يتضاعف في رمضان عما كان عليه من قبل، وهذا لون من ألوان ربط الناس بعلمائهم، ليعرفوا منهم أحكام دينهم ويعيدوهم إلى صوابهم وهو بالتالي جزء من تحقيق

الولاء لهذا الدين وأهله ونزع الولاء عن الكافرين واليهود والنصارى والعلمانيين والمنافقين وغيرهم.

مثال آخر: الدعم المادي؛ فإن الناس تقبل نفوسهم على الصدقة والإنفاق في رمضان في أعمال الخير ومجالاته للفقراء والمساكين والمحتاجين في كل مكان ما لا يكون في غيره، ولعل أولى من يعطى في هذا الشهر المسلمون المحتاجون في أنحاء العالم، فإن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى القرش الذي تبذله أنت، ومجالات الإنفاق كثيرة، لكن هذا أحدها.

مثال ثانٍ: مجالس الوعظ فإنها تكثر في رمضان، وتمتلئ بها المساجد، ويكثر إقبال الناس عليها، وما ذلك إلا لون من دعوة الناس إلى تجديد الولاء لهذا الدين وأهله وحملته والالتفاف حولهم والإقبال عليهم.

الحضور الكثير في المساجد في صلاة التراويح والقيام، ولعل رأس ذلك ما يشاهده كثيرون من التواجد في الحرم المكي، فإنك ترى ألواناً وأصنافاً من الناس من مشرق الأرض إلى مغربها، ومن البلاد التي يضيق فيها على المسلمين نجد أن لها أعداداً كبيرة تأوي إلى هذا الحرم الذي جعله الله تعالى حرماً آمناً، فالمسلمون من أقاصي بلاد الدنيا يأتون إلى هنا فيجدون الأمن، ويجدون الأمان، ويجدون المحبة، وما مجيئهم هنا لمال، ولا لجاه، ولا لدنيا، وإنما جعل الله تعالى قلوبهم تهفو لهذا البيت.

وكون قلوبهم مرتبطة بهذا البيت فهم يعرفون أن تقديسه ليس لأنه أحجار، فقد كان عمر يقبل الحجر الأسود نفسه ويقول: **[[إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك]].**

إذاً، فمجيء المسلمين من أنحاء الأرض وأصقاعها وأطرافها إلى هذا المكان الطاهر إنما هو إعلان العاطفة والولاء لهذا الدين وإعلان الحب لأهله، وإعلان أن هذه القلوب تلتف وتصطف حول من يرفع شعار "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وحول من ينادي بكلمة التوحيد، وحول من ينادي بنصرة المسلمين في كل مكان.

ولهذا كان حقاً علينا -ونحن أهل بيت الله وأهل حرم الله- أن نغيث الملهوف في كل مكان، وكان حقاً علينا أن نرفع راية النصرة لكل مسلم مستضعف في مشرق الأرض ومغربها، وكان حقاً علينا أن ننصر تلك المرأة التي صوتت في عمورية تقول: (وامعتصماه) ولكن أقول: وأسفاه:-

رُبَّ وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

تكسرت تلك الأصوات، وخفتت تلك النداءات، وبحت حلو قههم وهم يصرخون ويصرخون وينادون، منهم من هدمت عليهم المساجد، ومنهم من يموت جوعاً، ومنهم من حيل بينه وبين بيوت الله، ومنهم من يجيرون على الكفر علانية، ويدرسون في مدارسهم ما لا يرضي الله، ومنهم... ومنهم... صاحبوا ثم صاحبوا ثم صاحبوا، وأخيراً خفت أصواتهم، وكثير منهم دُسُّوا تحت التراب لا أحد يلتفت لهم ولا أحد يكثرث لما يصيبهم!

أين منظمات حقوق الإنسان؟! أين الأمم المتحدة؟! أين المنظمات الدولية التي تعلن أنها بذلت جهوداً كبيرة من أجل وقاية اثنين أو أربعة من البيض؟! وهم يتحدثون علانية أن كثيراً من مخيمات اللاجئين المسلمين من الصوماليين وغيرهم في إفريقيا وفي غيرها من بلاد الدنيا أنهم يعيشون أوضاعاً مأساوية للغاية، وأهم يقفون - كما سمعت بأذني في إذاعات غربية - طوابير تمتد إلى اثني عشرة ساعة من أجل الحصول على الماء فقط! وأي ماء يحصلون عليه؟! ماء ملوث في كثير من الأحيان! وما مقداره؟! لا يكاد يغطي ولا ربع احتياج الإنسان العادي من الماء يومياً! هذا يقع كله على مرأى ومسمع من العالم.

العالم الذي يقول إنه عالم متحضر، إنه عالم يهتم بحقوق الإنسان ويُعنى بالشرعية الدولية، ولا أدري أي شرعية دولية هذه التي ترضى أن تنتهك حقوق الإنسان بمجرد أنه مسلم، ولا أدري أية شرعية هذه التي لم تعد تحرص على إخفاء سوءها وستر عيوبها؟! لأنها عرفت أننا نحن المسلمين آخر من يعلم، وأنها لا تنأر لإخواننا المسلمين في أي بلد، فقد أفلح الاستعمار في تمزيقنا من خلال هذه الحدود والسدود، وأفلح في شغلنا، بل أفلح أن تتحول أسلحتنا إلى صدور إخواننا في أكثر من مكان.

فأقول: رمضان فرصة لأن يرفع معنوية المسلم ويربطه بأخيه المسلم، وأن يذكره بالآلام المصائب والمستضعفين والمنكوبين في كل مكان.

أهمية صلاح المجتمع

الأهمية الكبرى لصلاح المجتمع، هناك فرق بين المجتمع الصائم والمجتمع المفطر، ألم تر أنك حين تريد أن تصوم يوماً نافلة تجد التعب! لأنك تذهب إلى المدرسة فتجد الناس مفطرين، وتذهب إلى

السوق فتجد الناس مفطرين، وتأتي إلى المنزل فتجد الناس مفطرين، وتذهب للمسجد فتجد الناس مفطرين، فتحس بأنك الوحيد، فيجد الإنسان ثقلاً في صوم النافلة، فمن يصم نفاً يجد صعوبة فيه.

لكن إذا صام فريضة وجد أن أضعف الناس إيماناً يصوم؛ ويقول: الحمد لله لا أجد أي تعب؛ لأن المجتمع كله صائم؛ فهو إن ذهب إلى العمل وجدهم صائمين، أو ذهب للبيت وجدهم صائمين، في المسجد وجدهم صائمين، في السوق وجدهم صائمين، إلى أصدقائه وجدهم صائمين، كل المجتمع يصوم؛ ولهذا لا يجد الناس مشقة في الصيام، وهذا أمر يشاهده كل إنسان، وهو أمر محسوس تماماً.

إذاً، هذا يكشف لك عن أثر المجتمع في صلاح الفرد وإعانتته على القيام بالواجبات، ولذلك يجد المسلمون الذين يصومون -مثلاً- في بلاد الغربية صعوبة؛ لأن المجتمع لا يراعيهم، فالمجتمع غير صائم، وهو لا يراعيهم في برامجهم، في أوقات الدراسة، في أوقات العمل، في أي شيء، فيجدون في ذلك مشقة وصعوبة لا يجدها المسلم الذي يصوم في مجتمع صائم.

وهذا يصدق على كل القضايا السلوكية الأخرى، فالإنسان حينما يبحر -كما يقال- ضد التيار يجد صعوبة أن يسبح ضد التيار، إذا مشى أمتاراً دفعه التيار إلى الورااء عشرات الأمتار، إذا كان المجتمع فاسداً فكيف للإنسان أن يتعفف ويتطهر ويصلح ويستقيم؟ يكف بصره عن الحرام، يكف سمعه عن الحرام، يكف لسانه عن الحرام، لا يأكل إلا حلالاً!.. أنى له بذلك والمجتمع من حوله كله يقول له: هيت لك تعال؟!!

وهذا يؤكد على أهمية أن نكون كلنا يداً تعمل على وقاية المجتمع وإصلاحه وحمايته من ألوان الفساد الذي يراد به.

يا أخي! الذي يبذل مجهوداً بسيطاً لمحاولة منع المجلة الخليعة من بقالة الحي -هذا نقول له: جزاك الله خيراً! والذي يبذل مجهوداً آخر لمحاولة منع التدخين في مكان ما -نقول له: شكر الله لك! والذي يحرص على إخراج جهاز التلفزة من البيت وقاية للأسرة -نقول له: أحسنت أحسنت! جهد مبرور! والذي يحرص على أن يكون مجتمع المدرسة -مثلاً- مجتمعاً صالحاً.. يتنفس فيه الطلاب هواءً طلقاً نظيفاً نقول له: نعم ما فعلت! ونعم ما قدمت للإسلام وللمسلمين! وهكذا ينبغي أن نكون كلنا يداً تعمل ليكون الهواء الذي يتنفسه أبنائنا في المجتمع هواءً نظيفاً، والماء الذي

يشربونه نقياً، والأكل الذي يأكلونه طيباً، وأعني بذلك أن نحرص أن يكون مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً لا تقع عين الناشئ فيه على ما يسخط الله تعالى، وإلا فكما قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

العناية بصلاح الباطن

ضرورة العناية بصلاح الباطن: فالصوم في حقيقته عبادة باطنة قبل أن يكون عبادة ظاهرة، وذلك من وجوه: أولها:

أنه يفترق إلى النية، فلا بد للصوم من نية، وبالنسبة للفرض لا بد أن تبيت النية من الليل خلافاً للنافلة على ما هو معروف مقرر في كتب أهل العلم، والنية عمل باطن، فلو أن إنساناً أمسك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بغير نية لم يكن له أجر، ولم يكن هذا هو الصوم الشرعي، والنية عبادة باطنة محلها القلب.

أمر آخر: أن الصوم سر بين العبد وربّه، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ﴾ فلو أن إنساناً أراد أن يفطر لاستطاع أن يفطر دون أن يعلم بذلك أقرب الناس إليه، حتى زوجته لا تدري بذلك، ولكنه يمتنع حتى في خلوته فضلاً عن جلوته؛ خوفاً من ذي الجلال والإكرام، ورعايةً لحق الله تعالى.. إذاً فالصوم عبادة باطنة.

الأمر الثالث: أن الصوم يقتضي منك تبعات، فإذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عما حرم الله عز وجل، وهذه أيضاً أمور كلها تعتمد على ما في باطن الإنسان.

صلاح الظاهر لا يكفي

لذلك نقول: أيها الأحبة.. لا يكفي صلاح الظاهر عن صلاح الباطن، ولا يكفي لأن نحكم عليك بأنك صالح -مثلاً- أن تعفي لحيتك، أو تقصر ثوبك لا يكفي هذا فقط، وإن كان هذا مطلوباً بلا شك، فمجرد الالتزام بالمظهر فحسب لا يكفي، فقد يلتزم الإنسان بمظهر طيب ويكون كذاباً! يكذب كذبات لا أول لها ولا آخر، وقد رأينا من هؤلاء أصنافاً -لاكثرهم الله- ويغتر بهم الناس لما هم عليه من صلاح الظاهر فتسير أكاذيبهم والعياذ بالله سير الشمس، وتبلغ الكذبة من أحدهم الآفاق، ويتحدث الناس بها لا يشكون ولا يرتابون في أنها حق؛ لأن الذي تكلم بها ثقة، وما أدراك أنه ثقة؟! قال: ما شاء الله! تبارك الله! شكله كذا وصفته كذا، فهذا لا يكفي، الالتزام بالمظهر لا يكفي.

وكم من إنسان قد يكون مظهره حسناً، ولكنه إذا خلا بمحارم الله تعالى انتهكها! فقد يكون والعياذ بالله مدمناً على صغيرة، وربما يكون مقارفاً لفاحشة، وربما يكون مغرماً بالدنيا وحب المال من حلال أو من حرام، وربما أكل الربا، وربما سرق، وربما غش، وربما خان، وربما أكثر من اليمين بغير حق في بيعه وشرائه، وربما... ألوانٌ وألوانٌ من المعاييب، ومن أعظم ذلك الحسد والحقد الذي يأكل قلوب كثيرٍ من الناس أكلاً ولو كان ظاهراً لهم الصلاح.

خطورة أمراض القلوب

فأمراض القلوب أخطر من أمراض الأبدان بكثير، وربما تفلح بسهولة في تحويل مظهر الإنسان إلى مظهر مستقيم، ولكنك تحتاج إلى جهود مضاعفة لتحويل قلبه إلى قلب سليم! والله تعالى ما جعل النجاة في الآخرة لمن آتاه ببدن سليم أبداً، أبداً!!

وإنما قال على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

إهمالنا لقلوبنا

بالله علينا أيها الأحبة.. كم منا من يتعب في إصلاح قلبه؟! وكم منا من يتعب في إصلاح قلوب الآخرين؟! وكم من خطبة ألقيت في هذا المجال؟! وكم من محاضرة؟! وكم من كتاب؟! أقول: قليل، بل أقل من القليل، وربما نجد أن كثيرين منا يتحمسون، ولكن لغير أعمال القلوب...!

خذ مثلاً: -وقد هممت أن أفعل هذا الأمر- لو جمعنا الأوراق التي توزع في المساجد مثلاً، وتلصق بالأبواب وتنشر في مجتمعات الرجال والنساء.. ماذا نجد؟ سنجد أن أكثر من ٩٠% منها تعالج أمراضاً سطحية ظاهرية، هي منكرات بلا شك، ومعالجتها مطلوبة، وبذل السبب في ذلك مطلوب، ومن فعله فهو مأجور.. ولكن لماذا لم نعطِ الجانب الثاني المتعلق بصلاح الباطن، بصلاح السريرة، بصلاح القلب، لم نعطه إلا ١٠% أو أقل؟!!

لماذا لا تتجه الجهود إلى تأليف الكتب وإلقاء الدروس والمحاضرات والخطب والنشرات وبذل الجهود المضاعفة في مخاطبة قلوب الناس وإصلاحها وعلاجها من أمراضها؟ كم كتاباً رأيت في علاج الحسد أو نشرة مختصرة، أو في علاج الكذب، أو في الدعوة إلى صلاح القلب، أو فيما يتعلق بأمور السرائر والتي عليها المعول؟!!

قيمة للعمل الظاهر من دون صلاح القلب

فكل عملٍ ظاهرٍ لا بد له من رصيد، وإلا لم يكن له قيمة، وقد قال الله تعالى عن الكافرين الذين فسدت بواطنهم بالمرّة: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ولما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدعان وكان رجلاً كريماً جواداً محسناً في الجاهلية، يتصدق ويكرم الضيوف وغير ذلك، قالت: يا رسول الله أينفعه ذلك؟ قال: { لا يا عائشة! إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين } فلا ينفعه ذلك. ولما سأل عدي بن حاتم رسول الله ﷺ في الحديث المروي عن أبيه - وكان جواداً شهيراً، وهو حاتم الطائي الذي يضرب به المثل - هل ينفعه ما فعل؟ قال: { إن أباك أراد أمراً فبلغه } أي أراد الدنيا فحصلت له الدنيا والسمعة، وما له عند الله في الآخرة من خلاق..!

العبادات شرعت لإصلاح القلوب

لا يكفي للصلاح مجرد الالتزام بالمظهر فحسب، بل لا بد من العناية بالقلوب وإصلاحها، وتذكر أن العبادات كلها إنما شرعت لإصلاح القلوب، فالصيام مثلاً شرع لصلاح القلب، وفرقٌ بين صائم تجده صام سمعه وبصره ولسانه فهو خاشع متعبد منفق أو اب قارئ للقرآن ذاكراً لله تعالى غاض لبصره، وبين آخر صائم ولكنه إما نائم، أو سهران على ما حرم الله من الأصوات والصور، أو مشتغلٌ بأعراض الناس، أو يسب ويشتم، أو يرفع صوته بالبذاءة على أهله وعلى زملائه في العمل وعلى المراجعين وعلى غير ذلك، أو يهمل عمله ولا يقوم به، أو يؤذي جيرانه؛ فلا يزيد الصيام إلا سوءاً وبعداً وإعراضاً وقسوة في قلبه.

خذ مثلاً آخر: العمرة وهي من الأعمال التي يكثر الناس من فعلها في رمضان، هناك فرقٌ بين معتمر ذهب لذكر الله تعالى والطواف بالبيت العتيق، وتعظيم شعائر الله، وتعاهد مقامات إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذكر الله وطلباً للأجر { الصلاة فيه بمائة ألف صلاة } كما في صحيح البخاري، وبين آخر ذهب إلى العمرة فعلاً، لكن ذهب: إما للفخر، وإما عادة، وإما للترفيه والتسلية، أو ذهب مع أهله استجابة لطلب البنين والبنات! فيذهب هناك للأحاديث والكلام، وتنويع المأكول والمشرب والمطاعم، وربما يذهب الأولاد والبنات والأسرة، فيتركهم هناك في مثل تلك الأجواء التي هي فرصة بلا شك مع الإهمال لحصول لقاءات بين البنات والأولاد في الشوارع

بعد صلاة الفجر: في المصاعد، في اللقاءات عبر النوافذ، عبر البلكنات، عبر الهواتف، بل عبر الركوب في السيارات، وقد رأينا وسمعنا وعرفنا من ذلك شيئاً كثيراً يندى له الجبين.

وكثير من الآباء يذهبون ويهملون أولادهم وأسرهم هناك، وربما لا يراهم قط، وربما يمنع الأهل من الذهاب إلى الحرم ثم يتركهم في الشقة لا يدري ماذا يصنعون، ولا ماذا يعملون، ولا إلى أين يذهبون، وربما يذهبون للأسواق كثيراً؛ فالبنات يقولون: الأم لها أغراض، ونحن لنا أغراض أخرى، والشباب كذلك، والشوارع ممتلئة وكثير من شوارع مكة ضيقة أزقتها، فيحصل من جراء ذلك شر مستطير، وقد يقع في هذا بعض الخيرين والخيرات، وأقولها بلسان عربي مبين ولا أقولها عن توقع أو ظن، فما بالك بمن لم يتربوا أصلاً على أجواء طيبة؟ ولم يتلقوا توجيهاً سليماً، وقد يكون في نفوسهم مرض الشهوة، وقد يكون في قلوبهم هيجان، وقد يكون فترة المراهقة والشباب مع الإهمال والترك، فيحصل من جراء ذلك شيءٌ كثير.

الحج أيضاً: هناك فرق بين من حج لإرادة وجه الله وتطبيقاً لقول النبي ﷺ: {من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه} وقوله ﷺ عن عائشة وهو صحيح: {إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله} فرق بينه وبين من يحج إما للربح المادي لأنه حج عن فلان بآلاف مؤلفة، أو من أجل الرياء والسمعة، أو للسياحة، أو للاستطلاع، أو لغير ذلك من المقاصد، فينبغي التفتن إلى أن هذه العبادات والأعمال إنما شرعت لإصلاح القلوب، وينبغي ألا تحجب عما شرعت له وأن نقبل على إصلاح قلوبنا في هذا الشهر الكريم، فهو موسم مبارك لمن أراد أن يتقرب من ربه عز وجل؛ فإن القلب يكون فيه إقبال، ويكون فيه انكسار، والنفس يكون فيها برود عن المعصية وإقبال على الطاعة، والشياطين قد سلسلوا.. فما الذي يحول بينك وبين الله عز وجل؟! فأقبل على الله تعالى؛ فإن الله تعالى يقول: يا باغي الخير أقبل واهلم، ويا باغي الشر أذر.

الخاتمة:

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ أن يتقبلنا في هذه الليلة أجمعين، ويمحو عنا ما سلف من الذنوب والخطايا، وأسأله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى واسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب، أن يغيث قلوبنا بذكره وشكره وحبه، وأن يجعل حياتنا

ملينةً بجلائل الأعمال المقربة إليه، وأن يكتب لهذه الأمة النصر المبين، وأن ينقذ المستضعفين في كل مكان، وأن يفك أسر المأسورين ويرفع الضر عن المضطرين، وأن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان، وأن ينصر من دعا إلى تحكيم شريعته ورفع رأيه.

اللهم انصرنا على أعدائنا، اللهم انصرنا على شهوات أنفسنا، اللهم انصرنا على شياطيننا، اللهم وفقنا لما يرضيك من الأقوال والأعمال، اللهم اجعلنا ممن استهداك فهديته، واستنصرك فنصرته، واسترحمك فرحمته، وسألك فأجبتة، اللهم لا تحجب دعاءنا بذنوبنا يا حي يا قيوم، اللهم اغفر لنا ذنوباً حجبتنا عن بابك، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، ومن عذابك نستجير، اللهم أغثنا، اللهم أغث المستضعفين في كل مكان، اللهم أرنا في الكافرين والمستكبرين يوماً أسود كيوم فرعون وقومه، اللهم أرنا في خصومك وخصوم دينك يوماً أسود، اللهم عجل عليهم بعذابك وبأسك يا حي يا قيوم، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم، اللهم عجل بالفرج والنصر للمسلمين في كل مكان، اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الكافرين، اللهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

أحداث الجزائر

السؤال: وردت كثير من الأسئلة تسأل عن أوضاع إخواننا المؤمنين الصادقين في الجزائر؟ وما

هي آخر أخبارهم؟ وما تعليق الشيخ على كلمات رئيسهم في حل جبهة الإنقاذ؟

الجواب: شكر الله أخي الشيخ محمد وبارك الله فيه، وشكر الله لكم مشاعركم، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتحايين بجلاله، وأن يظننا في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وما أحببتم إلا قلباً يحبكم، وإن كنت لا أعتقد نفسي حرياً بذلك، ولكن أقول كما قال الصديق رضي الله عنه: [[اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون]].

أما عن أحوال إخواننا المسلمين في الجزائر، فلعل من آخر الأنباء ما سمعتموه البارحة من قرار حل الجبهة وقد أصدر هذا القرار رجل وامرأتان ممن لا ترضون من القضاة، الذين تلقوا أوامر قبل أن تعقد الجلسة أصلاً لمثل هذا الأمر.

ولم يكن منتظراً من قوم ضايقوا الإخوة المسلمين هناك، وضيقوا عليهم وحاصروهم، وحالوا بينهم وبين المنابر، حتى صُلِّيت الجمعة ظهراً في كثير من المواقع، وحتى امتلأت السجون بأكثر من خمسة وثلاثين ألف سجين، وفتحت لهم معتقلات في الصحراء في وسط الشمس الحارة والهجير الذي يخشى عليهم من شدته أن يصل الحال ببعضهم إلى الوفاة، وفي ظل أوضاع سيئة، وفي ظل تأمر عالمي، وصمت وتأمر عربي أيضاً، كل ذلك لقيه إخواننا، ومع ذلك صبروا واحتسبوا، ونرجو الله تعالى أن يكتب ذلك في ميزان أعمالهم.

وأقول أيها الإخوة: إذا لم نغضب لإخواننا المسلمين فسلامٌ على الدنيا وكما قيل:

فأف على أرض تقيم بغيرها فليس بما للصالحين مُعَرَّج

إذا لم يكن ثمة قلوب تخفق مجبهم أو تأسى لهم، أو تحزن لما أصابهم، ولم يكن ثمة ألسنٌ تلهج بالذكر والدعاء الصادق المخبت، إذا لم يكن ذلك، فهي كارثة كبرى أن تمزقت أوصال المسلمين وتقاطعوا فيما بينهم، فلم يعد أحد يشعر بمصابٍ آخر.

وصور نفسك يا أخي الكريم لو أن عدواً داهمك في بيتك وفي أسرتك وفي بلدك، وحال بينك وبين المسجد -نسأل الله ألا يكون ذلك- وضايقتك وصادر مالك، وقضى على إنجازاتك، وحطم جهودك، وحال بينك وبين عبادة ربك، ثم انتظرت من المسلمين الذين يقدر عددهم بألف مليون أو يزيدون -كلمة عزاء، وقفة مناصرة، مساعدة، تأييد- فلم تجد إلا صمت القبور! ماذا كنت تصنع؟! كنت تصاب بالإحباط، وكنت تقول:

ما هؤلاء المسلمون؟

من هؤلاء الساكتون؟

أفهل هؤلاء المسلمون؟

أبدأ.. تكذبي وترجمني الحقائق والظنون!!

ما ذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم -يا عبادَ الله- إخوانُ

لمثل هذا يذوبُ القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمانُ

أين نصرة المظلوم؟ مما أخذه الرسول عليه الصلاة والسلام، من حق المسلم على المسلم نصرة المظلوم، دعك من كونه داعية للإسلام، ودعك من كونه حيل بينه وبين تطبيق الشريعة. القضية قضية نصرة المظلوم، أخرجوا من ديارهم وسجنوا بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله! والعالم كله لم يذكر للجبهة الإسلامية للإنقاذ لم يذكر لها ذنباً، اللهم إلا ذنباً واحداً أنها فازت في الانتخابات؛ لأن الشعب الجزائري أيدها وعرف أنها تدعو إلى تحكيم الشريعة، وهو ما ضحى إلا من أجل تحكيم الشريعة:

وعيرني الواشون أي أحبها وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها

لكن أيضاً هناك تعليق على قضية حل الجبهة، يقول أحد زعماء الجبهة وقد سمعته: الإسلام أكبر من الجبهة وقبل الجبهة وبعد الجبهة، إن حلوا الجبهة، فإنهم لا يستطيعون أن يحلوا الإسلام، الإسلام والمطالبة بقيام دولة إسلامية في قلب كل مسلم -لا أقول: في الجزائر- بل في بلاد العالم كلها، والإسلام الآن منذ أربعة عشر قرناً وهو يقاوم العوادي جاء الصليبيون بقضيمهم وقضيضهم،

وأقاموا في هذه البلاد.. فماذا صنعوا؟ ما هي إلا فترة حتى استعاد المسلمون قوتهم فواجهوهم في مواقع ضارية وجعلوهم عبرة؛ حتى أسروا رئيسهم وهو الفرنسيس أو غيره، ووضعوه في دار معروفة بالمنصورة في مصر، فكان شاعرهم يقول:

قل للفرنسيس إذا جئته مقالةً من ناصحٍ برّ فصيحٍ
دارُ ابن لقمان على حالها والقيدُ باقٍ والطواشيُّ صبيحُ

أي إذا رغبتم فعادوا، فالذي صنعناه بكم في الأمس نصنعه بكم اليوم، وجاء التتار بقوة مذهلة وأعداد كأنهم البحر الهادر، لا يعرف أولهم من آخرهم، قوة متوحشة اجتاحت ما وراءها، جاءت من بلاد الترك ومن وراء بلاد الترك، فكانوا يقضون على الأخضر واليابس، وأصيب المسلمون باندھاش من جراء تلك القوة، ولكن ما هي إلا سنوات حتى استيقظ المسلمون واستعادوا قوتهم، فنازلوا التتار في مواقع حتى أن التتار أنفسهم أسلم منهم عدد كبير، كما قال محمد إقبال رحمه الله:

باغتت التتار فأدركتها من الإيمان عاقبة الأمان

فأسلم منهم من أسلم، ثم قام المسلمون عليهم وانتصروا عليهم نصراً مؤزراً في معارك تاريخية فاصلة معروفة أيضاً.

الإسلام الذي بعث به محمدٌ عليه السلام عمره الآن أربعة عشر قرناً وزيادة، ونود أن نخبر خصوم الإسلام في كل مكان أن الإسلام دين معمر إلى قيام الساعة...!!

احشدوا ما أردتمو من بنودٍ وارفعوها على حراب الجنودِ
ثم سوقوا لنصرها زمر الأنب — عام من كل جاهلٍ وحقودِ
فالأباطيل للزوال وإن أمه — لن والحقُّ وحدَه للخلودِ

وإنه لموعد غيب لم نره، ولكنه آتٍ قريبٍ ولتعلمن نبأه بعد حين!

المقدم:

سلمانُ! كنتُ أرى الآياتَ قد عجزتُ عن الثناء وهامي اليوم قد قالتُ
يا شيخنا كم حباك الله من أدبٍ معينٍ وعلمٍ يشفى الساكِتُ

العربة

السؤال: فضيلة الشيخ! كلنا يعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: {بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء!} هل نحن الآن في غربة الإسلام؟ أي هل عادت غربة الإسلام في وقتنا الحاضر؟ كما أرجو حث الحاضرين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
الجواب: أما الغربة فنعم:

وهذا زمان الصبر من لك بالتي كقبض على حجر فتنجو من البلا

فهذا زمان الغربة، وهذا زمان من أزمنة غربة الدين، ولكن يلاحظ في ذلك أمور:

أولاً: أن هذه الغربة قد تندفع كما اندفعت الغربة الأولى، والذي أحررنا بأن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً أخبرنا -عليه الصلاة والسلام- بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وهناك خط اسمه خط الغربة، ويقابله خط آخر اسمه خط التجديد... هذه واحدة..

ثانياً: أن الغربة درجات وليست درجة واحدة، وكما أن الليل يأتي تدريجياً حتى تظلم الدنيا ويستحكم، فكذلك النهار فإنه ينبثق شيئاً فشيئاً، وما يزال الإسفار حتى تشرق الشمس على الدنيا كلها، فالآن نحن في زمن غربة لكن لم تستحكم الغربة استحكاماً تاماً، فإن الغربة تستحكم، كما قال بعض أهل العلم: "إن هذا الدين ينتهي بواحد كما بدأ بواحد".

تستحكم الغربة تماماً في آخر الزمان حين لا يبقى إلا أفراد قلائل، إن قالوا لم يسمع لقولهم، وإن أمروا لم يطاعوا، وإن نهوا لم يطاعوا، وإن دعوا لم يستجب لهم، أي لم يستجب الناس لدعوتهم، فحينئذ يرحمهم الله تعالى فيقبض أرواحهم، فلا يبقى إلا شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة، فذلك هو زمان الغربة المستحكمة التامة التي أخبر عنها الرسول عليه الصلاة والسلام أيضاً في أحاديث.

أما مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي أحد الوسائل لدفع الغربة، وقد تكلمت عن هذا الموضوع في كتاب سيخرج إن شاء الله في نهاية هذا الشهر عنوانه "من وسائل دفع الغربة"، وخصصت فيه فصلاً مطولاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو من أقوى وسائل دفع الغربة، لأننا إذا سكتنا عن المنكرات استحكمت وصارت عرفاً مألوفاً معروفاً ينشأ عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، فمن أنكره قيل له: "أنكرت مألوفاً معروفاً" أو "أنكرت السنة" أيضاً؛ لأن الناس تعودوا عليه وعرفوه، ولكن نقاومه حتى لو لم نستطع إزالته.

بعض الناس إذا تكلم خطيب عن الربا قال له: يا أخي! لماذا تتكلم عن الربا وهذه البنوك بنباياتها الضخمة ومؤسساتها وموظفيها وأعمالها تحارب الله تعالى ورسوله، وهي ضاربة الجذور في التربة ومأذون بها، بل محروسة بقوة السلطان وبقوة السلاح وبقوة الإذن، فلماذا تتكلم؟ لا! يا أخي تكلم ولو لم يأت من كلامك إلا أن يظل الناس يعرفون أن هذا الربا حرام، لكان ذلك مسوغاً للكلام وعدم الصمت، فضلاً عن أنه كما قال الله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

نصيحة للنساء

السؤال: إحدى الأخوات تقول: أرجو توجيه نصيحة إلينا نحن النساء، وكذلك أرجو توجيه أزواجنا على عدم إشغال أوقاتنا في رمضان بتنويع الأكل حتى لا يذهب الوقت علينا هدرًا؟
الجواب: أما بالنسبة للنصيحة فإنني أقول: إن كل كلام يوجه إلى الرجل، فالمرأة فيه شريكة الرجل، وقد جاء في الحديث الذي رواه النسائي وغيره -وسنده حسن- أن النبي ﷺ قال: {إنما النساء شقائق الرجال} والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فكل ما يؤمر به الرجل تؤمر به المرأة أيضاً.

ونحن ندعو أخواتنا المؤمنات -فقد أصبحنا نسمع ونعلم بحمد الله تعالى أن الصحوة قد فشلت فيهن وانتشرت مثلما هي عند الرجال، وربما أكثر من ذلك- إلى مضاعفة الجهد في الدعوة إلى الله وإصلاح البيوت ونشر الخير في أوساط النساء من بنات جنسهن؛ فإن المرأة هي أحد المعابر التي يخطط الغرب لاستخدامها في تخريب المجتمع وإفساده، وقد كانوا يقولون: "إن كأساً وغانية تصنع بالشعوب ما لا تصنعه الجيوش" ويقصدون بالغانية المرأة، وفعالاً لو تأمل الواحد منا رجلاً أو امرأة لوجد أن المجتمع إذا فسدت النساء من الصعوبة بمكان أن يستقيم الرجل، كيف يستقيم الشاب -مثلاً- إذا كان يرى المرأة متبرجة في كل مكان وهي تقول له كما سبق: هيت لك!!

الصعوبة حينئذٍ كبيرة وهو يسبح ضد التيار كما أسلفت، ولذلك فإن المرأة على ثغرة كبيرة جداً في المجتمع وينبغي أن ينبري للدعوة إلى الله مجموعة من النساء الفاضلات العاملات الداعيات همهن الدعوة إلى الله وجمع بنات جنسهن على الخير، تعليم القرآن وتحفيظه، تربية النساء، الدخول إلى البيوت، عقد المجالس، إقامة حلقات تحفيظ القرآن، نشر الكتاب، نشر الشريط... إلى غير ذلك من الوسائل.

وأيضاً تستطيع أن تقوم بدور آخر كبير، وهو مواصلة الدعاة، والخطباء، وطلبة العلم، والمحاضرين، والمشايخ بكل ما يوجد في مجتمعات النساء مما يحتاج إلى كلام، أو يحتاج إلى حديث، أو يحتاج إلى حكم أو بيان؛ حتى يكونوا على علم، وحتى يساعدوا في إصلاح هذه الأوضاع وتقويم معوجها بقدر ما يستطيعون.

أما ما يتعلق بعمل المرأة في البيت:

أولاً: ينبغي أن تعلم أنه حتى عملها في منزلها هو جزء من طاعتها لربها ومقرب لها إلى الله عز وجل، و{إذا أطاعت المرأة زوجها، وصامت شهرها، وأدت فرضها؛ دخلت جنة ربها} كما وعد بذلك الرسول ﷺ .

فأين الأخت التي تشعر وهي تجهز البيت لزوجها، أو تعد له الطعام، أو حتى تتجهز له بنفسها، لتبعده عما حرم الله، وتشبع بصره ورغبته التي ركبها الله تعالى فيه أنها تمارس بذلك عملاً دنيوياً وفي الوقت نفسه هي تتقرب به إلى الله تعالى وترجو به جنات الله تعالى ورضوانه؟! هذا لا بد منه، لكن الله تعالى يحب العدل في كل شيء، فلا يجوز أن يكون رمضان بالنسبة لنا كما قال بعض الصالحين: "أنتم تشربون الأسطال، وتأكلون الأبطال، وتعملون عملاً بطالاً، وتزعمون أنكم أبطال".

هذا لا يكون أبداً، فرمضان فرصة للاعتدال في الأكل وفي الشرب وفي غير ذلك، ونحن لا ندعو إلى مزيد من التقشف ولا نلزم الناس به.. لا! ولكننا نقول: إن الله تعالى يحب العدل، وكون المرأة مثلاً منذ طلوع شمسها إلى الغروب، وربما إلى هزيع من الليل وهي مشغولة بإعداد الإفطار، ثم بإعداد العشاء، ثم بإعداد السحور وألوانه ووجباته، ولا بد أن تغير، فتطبخ اليوم ما لم تطبخه بالأمس، واليوم ضيوف، وغداً كذا، وبعد غد كذا! أين وقت الصلاة؟! أين وقت الذكر؟! أين وقت قراءة القرآن؟! ثم إذا كان عندها أطفال أيضاً! إلى غير ذلك، فالعدل مطلوب في مثل هذه الأمور، وينبغي أن يتفاهم الزوجان في ذلك على أمر وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

المستوصفات النسائية

السؤال: كما لا يخفى على فضيلتكم فقد أنشئ بحمد الله مستوصف خيري في البدائع خاص بالنساء، ولا يدخله الرجال مطلقاً، ولكن الشائعات قد انتشرت عنه، ويتكلم فيه حتى بعض الأخيار وللأسف! فما تعليق فضيلتكم على ذلك؟

الجواب: الحقيقة نحن سمعنا بهذا الخبر منذ شهر، فقلنا هنيئاً للإخوة في البدائع ما سبقوا إليه، فإنهم هم السابقون ونحن -إن شاء الله- على الأثر لاحقون، ومثل هذا المشروع مشروع عملي؛ تكلمنا كثيراً وتكلم الخطباء والدعاة والمصلحون عن أوضاع المستشفيات، وما فيها من مأس يندى لها الجبين.

وعندي والله رسائل يعجب الإنسان إذا قرأها ولم تدمع عينه، سيقال: إن في قلبه قسوة. آخر رسالة وصلتني؛ امرأة تقول: إنها بينما كانت في حالة الوضع وقد شرط زوجها ألا يأتيها إلا نساء فوافقوا له على ذلك، ففي أثناء الوضع وهي لا تستطيع أن تتحرك إذا بالطبيب رجل يأتي وقد كشفت عن سوءها تماماً، فهي كيوم ولدتها أمها!! تقول: كاد أن يغمى عليها، لكن لبت القضية انتهت عند هذا الحد! بل بعد قليل إذا بمجموعة من طلاب المعهد يأتون؛ لأنهم مع هذا الدكتور حتى يتدربوا على بعض الأعمال الطبية، ولا بد من تدريب عملي، فيقفون في مثل هذا الموضع الصعب العسير!!

قضايا وأمور في الواقع تنادي علينا أننا أشبه الرجال ولا رجال! لأن المسألة ليست مسألة كلام يقال، المسألة مسألة تطبيق عملي ومؤسسات، وإذا كانت وزارة الصحة تقول: إن إنشاء مستشفى خاص بالنساء أمر متعذر أو متعسر، فنحن نقول: إن همم الرجال تزيل الجبال!! أين الأثرياء؟! أين الإداريون؟! أين الأطباء؟! أين أصحاب الهمم؛ حتى يقيموا مستوصفات ومستشفيات نسائية ١٠٠%؟!

ونحن مستعدون وكل الناس أن يدفعوا أموالهم حفاظاً على أعراضهم:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال

وستجد هذه المستشفيات إقبالاً كبيراً من الناس مهما كانت الأسباب، ومهما كانت الظروف. أما تلك الأقاويل فإنه لا يلتفت إليها، وينبغي أن يُعرف أن أي مشروع سيتعرض لقييل وقال وهمزات! حتى يقوم على قدميه ويستوي على ساقه ويصبح أكبر من أن تعلق به الشائعات والأقاويل والكلمات التي ترمى من هنا ومن هناك.

مع أنني أقول: إن النقص من طبيعة البشر، والكمال أمرٌ صعب، والوصول إليه أيضاً لا يتم بين يوم وليلة، فعلياً حين نقوم بمثل هذه المشاريع وهذه الأعمال -وإن شاء الله سوف تقام مثل هذه المشاريع في أكثر من مكان- أن ندرك أنها سوف تسير قدماً إلى الأمام، وتتلافى النقص يوماً بعد

آخر، وهي ترحب دائماً وأبداً بأي نقدٍ بناء هادف أو ملاحظة صحيحة مدروسة موضوعية، بعيداً عن التشهير والتجريح، وبعيداً عن دعايات المغرضين الذين قد ينشرون الأقاويل لغرض أو لآخر. ونحن ندرك أن مثل هذا العمل له أعداء وخصوم كثيرون في كل مكان وسيتكلمون عنه، لكن هؤلاء لهم شأن آخر، أما المخلصون الناصحون فباب المناصحة مفتوح من خلال الملاحظات الموضوعية، والحقائق والأشياء التي يقترحونها ويرون أن الحاجة إليها ماسة.

وأنا على ثقة أن الإخوة القائمين على مثل هذا المشروع هنا، والقائمين على مثل هذا المشروع في أماكن أخرى، -فإن له نظائر في عدد من البلاد- أنهم من أحرص الناس على الوصول إلى الكمال، وعلى تلافي أية ملاحظة وتكميل أي أمر يرى أن مثل هذه المؤسسات بحاجة إليه. وأنا لا أملك إلا أن أزجي الشكر والدعاء للإخوة القائمين على هذا المشروع فهم سابقون، وهذا فخر لهذا البلد وسابقة تشكر لهم.

ثم إنني أقول: ينبغي أن نكون كلنا أعواناً لمثل هذا المشروع؛ من استطاع أن يعين، فعليه أن يعين وأنا أعتبر أنه من العون الإقبال على هذا العمل، الإقبال عليه إعانة له ودعم، وشكر القائمين عليه دعم، والدفاع عنه دعم، ومساعدته بكل وسيلة دعم.

وينبغي أن تكون داعماً لكل عمل خيري، لا تقف أمام العمل الخيري! كن مساعداً له بالقول أو بالفعل، وإن لم تساعد بالفعل فساعد بالقول، وإذا لم تساعد بالقول فأقل ما نريده منك أن يسلم منك الخير، وأن تسلم منك الأعمال الخيرية، فلا تنتقدها ولا تنتقصها بشيء.

مشروع الشريط والكتاب

السؤال: فضيلة الشيخ! قد أنشئ أيضاً بالبداية مشروع الدعوة إلى الله عز وجل بتوزيع الكتاب الإسلامي، وقد وزعنا منه حتى هذا اليوم أكثر من مليون ونصف كتاب في داخل المملكة وخارجها، ونعلم أن جميع إخواننا وفقهم الله يفرحهم هذا ويتلج صدورهم، ولكننا نريد منهم دعماً مادياً ومعنوياً، فالمشروع يكاد يتوقف إن لم يسرعوا بالتبرع، وإيداع المال في حساب هذا المشروع، ومادماً في زمن شهر رمضان، في شهر الخيرات والبركات فنطلب من فضيلة الشيخ أن يبحث الإخوة على التبرع في هذا الأسبوع وجزاكم الله خيراً.

الجواب: أيضاً هذا المشروع اطلعت عليه وعلى بعض آثاره وثماره، وهو مشروع رائد حقاً؛ لأنه يخاطب المسلمين في كل مكان، ومشروع رائد؛ لأنه يهتم بنشر الكتاب والشريط، والله يا

إخواني! -الحديث كما يقال ذو شجون- لو تساءلنا الآن: كم مؤسسة تنصيرية في العالم تشتغل لنشر كتاب الإنجيل والكتب التنصيرية، في البلد الواحد؛ بل في بلادنا؟

اليوم وصلتني ورقة وزعت في المستشفيات أيضاً تدعو للتبرع لمؤسسة تنصيرية في الفلبين ، أما نحن فحتى الآن لا أعلم أن هناك مؤسسة مهمتها نشر الكتاب والشريط الإسلامي وتوزيعه في أنحاء العالم الإسلامي كعمل خيري! لا أعلم أن هناك مؤسسة تخصصت لهذا الغرض!

وإن كان المشروع الذي ذكره الشيخ محمد يعتبر بداية ناجحة وأيضاً خطوة رائدة في هذا السبيل، وأنا أدعوكم أيها الإخوة إلى المشاركة بطباعة الكتب والأشرطة أو مساعدة الإخوة بالمال، والكتب التي يطبعونها كتب مفيدة ونافعة وتوزع في أنحاء العالم الإسلامي، كما إنني أقول للإخوة: إنني أيضاً من خلال المكتب الذي يعمل فيه عدد من الإخوة المتعاونين على استعداد للتعاون مع هؤلاء الإخوة في مثل هذا المشروع، سواء بإمدادهم بالكتب والأشرطة أو ببعض ما يحتاجونه من المال، وأقول هذا حثاً للإخوة الآخرين على المشاركة والمساهمة في مثل هذا المشروع الخيّر: {ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم}.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صائمون ولكن

صائمون ولكن

الصيام من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان من خالقه عز وجل، وسر هذه العبادة هو الإخلاص الذي يرتبط بصيام الفرض ارتباطاً أوثق منه بصيام النفل، والصوم من مكارم الأخلاق فهو يربي الإنسان على مجموعة من الصفات الحميدة كالإنفاق والصبر والحلم والشجاعة، وهو مما يستغل بأمور عديدة منها: قراءة القرآن وكثرة الصلاة والبعد عن جوارح الصيام كالغيبة والنميمة وأكل الحرام كالربا، وينبغي على المرأة المسلمة الاهتمام بالصيام كالرجل تماماً مع ملاحظة الأمور والآداب الخاصة بها.

أولاً: فاعبدوا الله مخلصين له الدين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا الأَحْزَابُ: ٧٠-٧١﴾.

جزاكم الله خيراً يا أهل الفايزية، وجعلنا الله وإياكم من أهل الجنة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠] وسائر إخواننا الحاضرين، بل وجميع المسلمين والمؤمنين والمسلمات، إنه على ذلك قدير، وهو على كل شيء قدير.

جزاكم الله خيراً حين كنتم السبب في عقد هذا المجلس المبارك في مستهل هذا الشهر الكريم، الذي نسأل الله تعالى أن يجعله شهر مغفرة لنا جميعاً، عنوان هذه المحاضرة "صائمون ولكن" في هذا المسجد الكبير -جامع الفايزية- في مخطط ب، في هذه الليلة -ليلة الأحد الثلاثين من شهر شعبان من سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشرة للهجرة-، وعندني في هذا المجلس عدة موضوعات:

أهمية الإخلاص

إن الإخلاص في كل العبادات أساس لا بد منه، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً أريد به وجهه، وعمل على سنة نبيه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣] وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فالإخلاص واجب في كل العبادات، وإذا زال الإخلاص عنها تحولت العبادة إلى عمل لا يؤجر عليه صاحبه، بل يذم ويعاب ويعذب في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧] وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

الصوم عبادة السر

والصوم من بين هذه العبادات كلها: هو عبادة السر، فهو عمل بين العبد وبين الله عز وجل، لا يطلع عليه أحد من الخلق، أتم صيامه أم نقصه أم نقضه.

ولهذا قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: {كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به} وإنما قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي؛ لأنه لا يطلع على حقيقة العبد إن كان صام صياماً شرعياً حقيقياً أم أفطر بينه وبين نفسه، لا يطلع عليه إلا الله، حتى إن العبد لو نوى الفطرة نية جازمة صادقة ثابتة فإنه يفطر بذلك، ولو لم يتناول شيئاً، كما ذهب إليه جمع كثير من الفقهاء، أنه إذا قطع نية الصيام ونوى الفطر أفطر ولو لم يأكل شيئاً، فدل ذلك على أن سر الصيام: هو في الإمساك عن المفطرات بنية، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

إذاً: فلا بد من التعداد، وإرادة وجه الله تعالى في الصيام، وألا يكون الإنسان صام مجاراةً للمجتمع، أو سيراً على تقليد الناس، أو خوفاً من البشر، وإنما صام رجاءً فيما عند الله، وخوفاً من عقابه، وأنت تجد من الناس اليوم من لا يستشعر نية الصيام، ولا يصوم إلا مجاملة لمن حوله، فهو يخشى الناس ولا يخشى الله، يخشى الناس أن لو أفطر لانكسر جاهه عندهم، وسقطت منزلته، أو يخشى أن يتحدث الناس عنه: أن فلاناً أفطر ولم يصم، أو يخشى أن يعاقب من بعض الناس على فطره، فيصوم لهذا.

وربما لو أتيح له أن يفطر سراً لفعل، ومنهم من لا يخشى إلا هذا، ولا يراقب الله تعالى في عمله، وحينئذ فإن هؤلاء ممن لو اقتضاهم الأمر أن يفعلوا ضد ذلك لفعلوا، فأنت تجد هذا في صوم الفريضة.

الفرق في الإخلاص بين صوم الفرض والنفل

أما بالنسبة لصوم النفل: فإن الأمر يختلف، ففي صوم الفريضة أغلب الناس إنما يصومون ابتغاء وجه الله، ومراقبة لله تعالى، وخوفاً منه، ويقل المرءون في صوم الفريضة؛ لأن كل المسلمين صائمون.

فالإنسان لا يشعر أنه بصيامه فعل شيئاً عظيماً فاق فيه الناس كلهم أو خالفهم، أو أتى فيه من العبادة بما لم يأت به غيره، فغالب الناس يصومون الفرض لله تعالى، وقليل منهم من يصوم لغير الله.

أما بالنسبة لصوم النافلة: فإن الأمر يزيد عن ذلك، فمن الناس من يصوم النفل ويشيع عند الناس أنه كثير الصيام، فإذا كان بينهم في مناسبة أو أكل أو شرب فإنه بمسك عن الأكل والشرب ولو كان مفطراً؛ خشية أن يخيب ظن الناس فيه؛ لأنهم ظنوه صائماً، فلو قالوا له: تفضل يا فلان، أم أنك صائم؟ لاستحى؛ وقال: نعم، أنا صائم، أو ربما تكلف أن يتظاهر بالصوم، ويتظاهر -أيضاً- بأنه يريد أن يكتم الصيام، فإذا قالوا له: تفضل يا فلان! أم أنت صائم؟ قال لهم: لا أريد أن أكل، ورفض الأكل، ولم يبح بالصيام؛ لأنه يريد أن يظنوا أنه صائم، وهو في الواقع لم يكن صائماً!!

ومنهم من يخبر بأنه صام فيقول: منذ عشرين سنة وأنا أصوم، أو منذ كذا وأنا أصوم الإثنين والخميس، ومنهم من عادته أن يصوم الاثنين والخميس، فإذا دعي إلى غداء في الاثنين أو الخميس قال: اليوم خميس، وهو لو قال: أنا صائم بنية الرياء لربما كانت هذه بلية، فكيف إذا كان قال: اليوم خميس، وهو يريد أن يقول لهم: أنا أصوم كل اثنين، وأصوم كل خميس، ومنهم من ينظر إلى الناس بعين الازدراء والاحتقار؛ لأنه صائم وهم مفطرون.

إذاً على العبد أن يحمر نيته لله تعالى، فإنه كبير -أي كبير- أن يجهد الإنسان ويتعب، ويجرم لذات ما أحل الله تعالى في هذه الدنيا من طعام وشراب ونكاح بصيام نفل أو غيره، ثم لا يكتب له من ذلك شيء، بل ربما كانت عليه آثاماً؛ بسبب أنه ما أراد بها وجه الله، وإنما عمل ما عمل رياءً وسمعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [المالك: ٢] قال الفضيل بن عياض: أي أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، فلا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً.

فحرر نيتك، وراقب قلبك، واعلم أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، ويقول سبحانه: {أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك} كما في الصحيح.

إن الناس ينظرون إلى الظاهر، أما القلوب فشأنها عند علام الغيوب، فكما تجهد في إصلاح ظاهرك وتحسينه وجعله على الكتاب والسنة، فعليك أن تجهد -أيضاً- في إصلاح باطنك، ألا يعلم الله من نيات قلبك ومقاصده أنك لا تريد غيره، ولا تقصد سواه.

ثانياً: من مكارم الأخلاق

تربية الصيام الإنسان على الإنفاق

إن من حكم الصيام: تربية العبد على الجود والإنفاق.

فمثلاً الجوع -وهو جزء من الصيام- يذكر الإنسان بحال الفقير والمسكين والجائع؛ ولهذا كان الشاعر يقول بعد أن جاع زماناً طويلاً ثم أغناه الله تعالى، فكان ينفق ويتصدق فقالت له زوجته: ارفق بالمال، قال:

لعمري لقد عضني الجوع عضه فآليت ألا أمنع الدهر جائعاً

فحين يجد الإنسان مس الجوع؛ فإن ذلك يدعوه إلى السخاء والكرم والإنفاق، ولهذا {كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فالرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة} رواه البخاري من حديث ابن عباس .

إن جوده ﷺ كان دائماً، فقد أعطى غنماً بين جبلين، وأعطى مائة من الإبل، حتى أنه سئل الثوب الذي يلبسه فأعطاه ﷺ ولبس غيره، وإنما كان جوده ﷺ في رمضان لأسباب: أولها: أنه شهر الصيام، والصيام يدعو إلى الإنفاق والبذل والكرم والسخاء. وثانيها: أنه شهر تضاعف فيه الحسنات.

وثالثها: أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر فيه من قراءة القرآن، والقرآن يدعو إلى الإنفاق ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧] ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ﴿ وَأَتَوْهُم مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور: ٣٣] إلى غير ذلك. حتى أنه صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئاً قط فقال: لا.

كأنك في الكتاب وجدت أن (لا) محرمة عليك فلا تحل
فما تدري إذا أعطيت مالاً أيكتر في سماحك أم يقل
إذا حضر الشتاء فأنت شمس وإن حضر الصيف فأنت ظل

إن المسلم الحق يستعلي على وعد الشيطان ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فلا يمنعه ذلك أن ينفق من فضل الله تعالى، وأن يتصدق على العباد خشية الفقر، ومن منع ما في يده خشية فقر؛ فالذي فعل هو الفقر، فإن كل يوم له رزق جديد يأتي به الله تعالى، وإن منعت ما عندك منعك الله تعالى ما عنده.

ورزق اليوم يكفيني وإني بيومي جد معتبط سعيد
فلا تخطر هموم غد بيالي فإن غداً له رزق جديد

١ - الاندهاش من شيخ كبير السن:

إنني أندهش من ابن السبعين، وابن الستين، وابن الثمانين، الذي يملك الملايين، ويملك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ثم تشح يده بقليل المال ينفقه في سبيل الله، حتى على نفسه، أو على ولده، أو على زوجته، يدخر هذا المال لماذا؟! إنه أمر لا تفسير له قط إلا الانسياق لألاعيب الشيطان، وإلا فإن نفسك التي تبخل عليها لم يبق منها إلا صباغة كصباغة الإناء، ولم يبق من عمرك إلا كالشمس على رعوس الذوائب، فأنت لا تدري أيصبحك الموت أم يمسيك.

أما أولادك الذين تبخل عليهم وزوجك؛ فهم الذين سيرثون هذا المال من بعدك، وها أنت الآن تبخل عليهم وتمنعهم، وربما قصرت في النفقة الواجبة، وليس معقولاً أبداً أن تجمع المال لهم، وتقول أريد أن يكونوا من بعدي أغنياء ولا يكونوا عائلة يتكفون الناس، وها أنت تمنعهم في حياتك بعض الواجب عليك لتلقى الله تعالى بآثام تلك الرعية، التي تقول لمن تتركنا؟

وللنفس تارات تحل بها العري ويسخو عن المال النفوس الشحائح

إذا المرء لم ينفعل حياً فنفعه أقل إذا ضمت عليك الصفائح

بأية حال يمنع المرء ماله غداً فغداً والموت غداً ورائح

يا أخي! ويا أخي! لقد دعاكما الداعي إلى الإنفاق، دعاكما إلى الإنفاق في أبواب الخير وهي كثيرة، دعاكما إلى الإنفاق في حلقة تحفيظ القرآن، أو إلى الإنفاق في حلقة تحفيظ سنة، أو دعاكما إلى الإنفاق على إطعام جائع، أو كسوة عار، أو إغاثة ملهوف، أو كفالة يتيم مات أبواه، أو إلى الإنفاق في مشروع دعوة توزيع كتاب، أو توزيع شريط، أو تجهيز غاز في سبيل الله، وأراك أخي! وأراك أخي! لا زلتما مترددين!!

٢- علل واهية في عدم الإنفاق:

أراك يوماً تتعلل بخوف الفقر، وأنت الذي تملك الملايين التي لو أنفقت بيديك طيلة عمرك ما نقص ذلك منك إلا القليل، وأراك يوماً آخر تحتج بأنه ليس لديك سيولة نقدية؛ وأقول لك: الحاجة أم الاختراع، وليس ضرورياً أن تكون الصدقة التي ندعوك إليها مالاً ودرهماً وورقاً نقدية؛ بل قد تكون الصدقة أرضاً، أو مزرعة، أو سيارة، أو عمارةً توقفها في سبيل الله للمحتاجين وأبناء السبيل! وأراك يوماً تحتج بخوف ألا تصل الصدقة إلى مستحقيها، وقد وجدت طرقاً موثوقة! ولكنني مع ذلك أقول لك: لماذا تصم أذنيك عن حديث رسول الله ﷺ الذي هو في الصحيح: {تصدق على زانية، ثم على غني، ثم على سارق، وقد كتبت كلها في الصدقة المتقبلة؛ أما الغني: فلعله أن يعتبر فينفق، وأما السارق: فلعله أن يستعف عن سرقاته، وأما الزانية: فلعلها أن تستعف عن زناها}.

وأحياناً نناديك لإغاثة المسلمين الفقراء في إفريقيا فتقول: فقراء الداخل أحوج! وفي الإسلام لا يوجد داخل وخارج، فالمسلمون سواسية، تجمعهم كلمة التوحيد والإخلاص، وتجمعهم الصلاة،

يتجهون بما لرب العالمين، ويستقبلون البيت العتيق، ويجمعهم الصوم الذي يمسكون فيه لرب العالمين، وتجمعهم بطاح مكة التي يضحون فيها لله تعالى، فلا يوجد داخل ولا خارج.

ما بيننا عرب ولا عجم مهلاً يد التقوى هي العليا
خلوا خيوط العنكبوت لمن هم مثل الذباب تطايروا عمياً
وطني كبير لا حدود له كالشمس تملأ هذه الدنيا

تقول: فقراء الداخل أحوج! فإذا قلنا لك: تصدق على فقراء الداخل - كما تسميهم - قلت: أريد بناء مسجد؛ لأن أجره دائم، فإذا قيل لك: هذا مسجد فأنفق على بنائه، قلت: أريد شراء أرض لبناء مسجد، فإذا قيل لك هذه أرض يبني عليها مسجد. قلت: هذه الأرض غالية، والمساجد حولها كثيرة.. لقد تحير فيك الأطباء!!.

إن المال -أيها الأخ الكريم- هو العنصر المفقود في معظم الأعمال الخيرية الإسلامية، فقد وجدنا المسلمين قادرين -ياذن الله تعالى- على أن يقوموا بالدعوة، ونشر الخير، والأمر بالمعروف، وإحياء الجهاد، ولا ينقصهم لذلك كله إلا المال، والمال قد جعلك الله تعالى خازناً وأميناً عليه، أفسرك أن يكوى به جنبك وجبينك وظهرك يوم يقوم الناس لرب العالمين!!؟
إذاً: الخلق الأول الذي يعود الصيام للصائمين: هو خلق الجود والكرم والإنفاق.

تربية الصيام الإنسان على الصبر

الخلق الثاني: الصبر.

والصوم نصف الصبر، ومعنى الصبر في الصوم ظاهر، فإن الإنسان يكلف نفسه عناء الإمساك عن الشهوات والملذات المستطابة التي يتوق إليها القلب، وتشرئب إليها النفس، ويجبها الإنسان بطبعه، فيمسك عنها طيلة نهار رمضان؛ لوجه الله رب العالمين، وهو من الصبر على طاعة الله، وهو أيضاً من الصبر عن معصية الله، ولهذا أمر الله تعالى بالصبر في كتابه فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [البلد: ١٧] وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ومدح الله تعالى أيوب عليه السلام فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤] والله تعالى يحب الصابرين كما أخبر، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر. {

والغريب أن الناس يتكلمون عن الصبر ويفيضون في الحديث عنه، بل ويسمعون كلاماً كثيراً، ويقرءون ما جاء فيه في الكتاب والسنة، ولكن إذا نزلت بهم الملمات والمهمات، واحتاجوا إلى الصبر حتى يطبقوه في سلوكهم وخلقهم وأقوالهم وأعمالهم؛ بدوا كما لو كانوا لم يسمعوا يوماً من الأيام أمراً بالصبر، ولا ناهياً عن ضده، ولا محرضاً عليه، ولا مبيناً لفضل أهله، فإذا احتاجوا إلى الصبر في موقعه نسوا هذا كله كأنهم لم يسمعوه؛ وهذا يدل على أن الإنسان يحتاج في تعليمه وتدريبه على الأخلاق الفاضلة، ويحتاج إلى التربية الواقعية؛ ومواجهة الأمر حقيقة، وقد يظن الإنسان نفسه صابراً وهو جزوع، وقد يظن نفسه حليماً وهو غضوب، قال عمر -رضي الله عنه: [[وجدنا خير عيشنا بالصبر]].

إن الحياة بالصبر تبدو وتغدو جميلة بكل ما فيها من الحن والمصائب والمشاكل، بل إن الصبر هو الإكسير الذي تتحول به الآلام -بإذن الله تعالى- إلى نعم، وتتحول به الحن إلى منح، وكم من إنسان نزلت به ملة جليلة عظيمة فلما واجهها بالصبر وجد برد اليقين في قلبه، ولذة السكينة في فؤاده، ورضي بالله تعالى؛ فرضي الله تعالى عنه وأرضاه.

خليلي لا والله ما من ملة تدوم على حي وإن هي جلت
فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوائب فصايرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة هاجت بأمواج غمرة تلقيتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأيت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

إن المرء قد يسمع عن السجن والسجناء فيخيل إليه أن الأمر عادي، وأنه لو حبس لصبر، ووجد في ذلك فرجاً من مجاملة الناس ومجالستهم ومحادثتهم، والصبر على أذاهم، لكنه لو حبس ساعة فرمما فقد الصبر وتململ، وهذا يوسف عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بضع سنين﴾ [يوسف: ٤٢] ولما أتاه الداعي ما تلقاه عند الباب ولا أسرع إليه، وإنما قال له: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربِّي بكيدهنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

لقد سمعت أمس عن خروج داعية من دعاة الإسلام من سجون بلاد الشام ، وقد مكث فيها ما يزيد على عشر سنوات؛ الله أكبر! عشر سنوات ولد فيها مواليد، وشبوا وكبروا ودخلوا المدرسة، ومات فيها أموات، حيا فيها أناس، ومات فيها آخرون، وقامت فيها دول، وزالت فيها دول أخرى، وتغيرت فيها أشياء كثيرة، وهؤلاء قد حيل بينهم وبين الدنيا.

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فجمل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

يحكى أن أبا أيوب الكاتب حبس خمس عشرة سنة حتى كاد ييأس، فكتب إليه صديق يعزيه ويقول له:

صبراً أبا أيوب صبر ممدوح فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها

صبراً فإن الصبر يعقب راحة ولعلها أن تنجلي ولعلها

صبرتي ووعظتي وأناها وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويجلها من كان صاحب عقدها كراماً به إذ كان يملك حلها

فكتب إليه أبو أيوب يقول له:

فلم يمكث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بإخراجه من السجن، فخرج معزراً مكرماً.

مشاكل ليس لها إلا الصبر:

إنك لا تحصي النساء اللاتي يشكين أزواجهن لسوء المعاملة، أو قسوة الخلق، أو غلظ الطبع، أو كثرة التهديد والوعيد، أو عدم الاستقامة في الدين، أو منعها عن أهلها، أو التقتير عليها في النفقة، أو تعييرها، أو عدم العدل معها إن كان لها ضرة، أو ارتكاب المعصية في بيتها، أو ما أشبه ذلك من ألوان المآسي التي توجد في البيوت، وربما ترمى إلى مسمعك صوت ضعيف، صوت أنثى تشتكي ما تعاني، وهي لا تجد لها مخرجاً، وقد ارتبطت مع هذا الرجل بعقد، وأنجبت منه أولاداً وأصبحت أسيرة قعيدة في بيته، لا تملك حلاً ولا عقداً، فأى دواء لهذه الأنثى إلا الصبر.

وأنت -أيضاً- لا تحصي من يتبرمون من أحوالهم، فهذا موظف يتبرم من عمله، وهذا تاجر يتبرم من تجارته، وهذا رجل تحت مسئول ظلوم أو حاكم غشوم، أو تحت ضغط اجتماعي لا يراعيه،

أو يعاني مشكلة تلاحقه وتؤرقه، أليس في الدنيا مشكلات قد لا يملك الناس لها حلاً؟ ولكن حلها عند من عقدها وهو رب العالمين.

إن هناك أموراً إنما يكون حلها بالموت، بالدار الآخرة؛ ولهذا كان ذكر الموت أحياناً سبباً في التفريح عن الإنسان، فإن الموت ما ذكر عند ضيق إلا وسعه، ولا ذكر عند سعة إلا ضيقها، فهو من أسباب التنفيس، فهب أن هذه المشكلة ظلت معك حتى الموت، أليس في الموت فرج؟

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

هذا مع أن فرج الله تعالى للصابرين قريب، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] وفي الحديث الصحيح

يقول ﷺ: {واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً}.

وإذا كنا اليوم وكل يوم نأسى لمصاب امرأة في عقر بيتها وعقر دارها، أو لموظف صغير تحت مسئول قاس، أو لرجل يعاني من مشكلة اجتماعية، فإن الأولى بمزيد الأسى هي تلك الشعوب المسلمة، والأمم الموحدة التي تسام الهوان في دينها، ولا تملك الانتصاف من ظالمها، ولكن الله تعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

تربية الصوم الإنسان على الحلم

الخلق الثالث: الحلم.

وهو: مقابلة الإساءة بالإحسان، والعفو عن الجاهل، والإعراض عنه، وقد مدح النبي ﷺ هذا بقوله كما في الصحيح: {ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب} وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: {أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني ولا تكثر عليّ

أو قال: - كما في رواية أخرى-: يا رسول الله! مرني بأمر وأقلله علي؛ لكي لا أنساه. فقال له النبي ﷺ: لا تغضب { والصوم سبب لتربية الإنسان على الحلم، والصفح عن الجاهل، والعفو عن المسيء؛ لأنه عبادة يتلبس بها الإنسان، والعباد قريب من الله تعالى بعيد عن نزغات الشيطان، بعيد عن إغراءات النفس الأمارة بالسوء، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الصوم باب "من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم" ورواه أبو داود والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه} والله تعالى غني عن العالمين، فليس لله حاجة أن يدع هذا طعامه وشرابه، كما أنه ليس لله تعالى حاجة أن يدع غيره أيضاً ممن ترك قول الزور والعمل به؛ فالله تعالى غني عن هؤلاء وغني عن أولئك، وليس بحاجة إلى هؤلاء ولا إلى غيرهم، وكل البشر ليس تعالى في حاجة إلى أحد منهم.

ولكن المعنى -والله تعالى أعلم- أن الصوم إنما هو للعبد، لتربية العبد وتهذيبه، وحمله على كريم الطباع، وجميل الأخلاق، والنأي والبعد به عن قول الزور، وعن العمل بالزور، وعن شهادة الزور، وعن الظلم، وعن الفحش، وعن السب، وعن الشتم، وعن الجهل، فإذا لم يترك ذلك فإن الصوم يكون حينئذ لم يفعل فعله فيه.

ولماذا يصوم مثل هذا؟ علام يصوم إذا لم يصم لنفسه؟ إن الله تعالى غني عنه، ولهذا قال تعالى ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فهو سبحانه غني عن هؤلاء الذين كفروا وأعرضوا عنه، وهم لا يضرونه شيئاً، كما أنه سبحانه غني أيضاً عن المؤمنين، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣].

فكفر العبد هو على نفسه، وفسقه على نفسه، وارتكابه للزور هو على نفسه قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولهذا أيضاً قال النبي ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن الله تعالى قال: {يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،

يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً}.

فإنه سبحانه غني عن العالمين، وإنما الصائم يعمل نفسه فيمسك عن الطعام والشراب من أجل أن يريه ذلك على أن يدع قول الزور وأن يترك العمل به، فإذا لم يدع قول الزور ولم يدع العمل به فلماذا صام إذاً؟ هل صام لله تعالى ومن أجل الله؟ الله تعالى ليس له حاجة إلى أن يترك هذا الإنسان طعامه وشرابه.

مقابلة الإساءة بالإحسان:

وقد أُرشد النبي ﷺ الصائم إلى هذا الخلق الكريم فقال في الحديث المتفق عليه: {إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمته أو قاتله فليقل: إني صائم} يقابل الإساءة بالإحسان، فإذا عصى الله تعالى فيك فعليك أن تطيع الله تعالى فيه.

إنه لا يليق بالمسلم عامة ولا بالصائم خاصة أن يوزع ألفاظ السباب والشتائم على من حوله، فإن قصرت الزوجة في طهي الطعام أو كنس البيت أو كسي الثياب أو العناية بالأطفال أو صناعة الشاي سبها، وسب أبها وأمها، وغيرها وهددها، وملاً البيت صراخاً وضجيجاً! إنه ليس من المروءة والكمال أن يكون الرجل في بيته امبراطوراً، إذا تكلم سكت الجميع، وإذا ظهر تجمد الكل، فلا ينطقون ولا يتكلمون، بل قد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم حكيماً حليماً صبوراً رقيقاً حتى مع أهله، وربما رفعت عليه زوجه صوتها، وربما هجرته إحداهن إلى الليل.

فليس مناسباً إن قصر زوجك أن تغلظ له في القول، أو أفسد بعض الأطفال أثاث المنزل، أو مزقوا أوراقاً، أو نثروا طعاماً فرمما شتمهم، وربما شتم نفسه معهم أيضاً، وفي صحيح مسلم: {سمع النبي ﷺ رجلاً يلعن بغيره أو ناقته، فقال عليه الصلاة والسلام: لا تصحبنا ناقة ملعونة} فتركها صاحبها، فكانت تمشي بمفردها بعيداً عن الناس؛ استجابة لأمر النبي عليه الصلاة والسلام. وإن أطل مراجع على هذا الموظف في النقاش، أو تحدث معه، أو ألح عليه أغلظ له في القول، وربما افتعل هذا الإنسان مشكلة مع إمام المسجد أو مع الجار أو مع صديق أو مع زميل في العمل، وعذره في كل ذلك أنه صائم، ونفسه - كما يعبرون - واصله.

والواقع أن الصوم يجب أن يكون جنة تمنع العبد مما يسخط الله، وحاجزاً يحول بينه وبين الغلظ في القول أو في الفعل، لا، بل أقول لك: حتى أولئك الذين يبدؤونك بالسب والشتيم، أو يعيرونك، أو

يسبونك، أو يغلظون لك في القول، أو لا يراعون شعورك، أو لا يحترمون مقامك، عليك أن تقابل ذلك كله بالإعراض، عليك أن تقابل ذلك كله بالصفح كما قال الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ليس القول كالعمل:

ما أسهل هذه الكلمات! أن نقولها، وما أصعب أن تمسك نفسك عن الغيظ فلا تنفذه، وأن تحجزها عن الغضب فلا تستجيب له، وأن تردّها عن الانتصار للنفس فلا تقبله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] والصوم من الصبر، فتعلم الحلم في الصيام، وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فإن القول البذيء السيئ الجارح من أعظم أسباب فساد القلوب، وتغير النفوس، واختلاف الصفوف، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود وأحمد وابن ماجه وغيرهم - وهو حديث صحيح - عن أنس بن معاذ الجهني رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ﴿من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه؛ دعاه الله تعالى يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء﴾.

قال الأحنف بن قيس: ما عاداني أحد قط إلا أخذت فيه بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان أقل مني حفظت قدره، وإن كان مثلي تفضلت عليه. وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى الكبير الذي ذكره سيد من سادات العلماء وهو الأحنف بن قيس فقال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه علي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقى فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائماً أصون به عرضي وإلا فلائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

تربية الصيام الإنسان على الشجاعة

الخلق الرابع: الشجاعة.

ولقد كان أشجع الناس هم أهل العفة؛ العفة في طعامهم وشرايهم، والعفة في نكاحهم، فإن الشهوة تضعف القلب، والمنهمكون في الدنيا من غير تمييز بين حلالها وحرامها وحقها وباطلها دائماً هم جبناء! جبناء في المعارك! وجبناء في قول كلمة الحق! وجبناء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن قلوبهم ضعيفة، ونفوسهم رديئة، والشهوات قد نبتت عليها أجسامهم، ومصالحهم أصبحت مرتبطة بهذه الدنيا الدنية؛ فهم يجامون عن مصالحهم والراكضون وراء الوظائف والمناصب من غير تقوى هم -أيضاً- من الجبناء.

إن الصوم يكشف للإنسان عن جانب من حقيقة الحياة الدنيا، وأنها زخرف ولغو وهو وباطل وزينة، وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنه لا يركن إليها إلا المغفلون.

إن الصوم ينتزع الإنسان من الإغراق في الملذات ليفطمه عن هذه الدنيا، ويهزه هزاً عنيفاً ليقول له: نعم هذه هي الدنيا، وأنت فيها كالحالم الذي يجب أن يصحو، نعم، هذه هي الدنيا، ولكن هناك الدار الآخرة، أنت الآن تصوم عن الدنيا لا لأنك سوف تكسب من وراء الصوم مالاً، ولا جاهاً، ولا رتبة، ولا وظيفة، ولا سلامة دنيوية، ولا صحة في بدنك، فكل ذلك قد يأتي، ولكنك لا تصوم من أجله، وإنما تصوم؛ لأنك توقن أن هناك آخرة تعمل لها، وأن ثمة موتاً وبعثاً ونشوراً وجزاءً

إني رأيت عواقب الدنيا فتركت ما أهوى لما أخشى
فكرت في الدنيا وعالمها فإذا جميع أمورها تفنى
وبلوت أكثر أهلها فإذا كل امرئ في شأنه يسعى
أسنى منازلها وأرفعها في العز أقربها من المهوى
ولقد مررت على القبور فما ميزت بين العبد والمولى
أتراك تدرك! كم رأيت من الأحياء ثم رأيتهم موتى

إن أدنى مراحل الشجاعة إذا لم تقل الحق؛ ألا تقول الباطل، وألا يتلفظ لسانك بما يسخط الله تعالى، وإذا لم تكن مع أهل الإيمان فلا أقل من ألا تكون ضدهم، وإذا لم يكن لسانك في صالحهم، فلا أقل من أن يسلموا منك، وإذا رأيت في نفسك هلعاً وجبناً ورخاوة فتأمل ما

السبب؟! ربما تكون أكلاً للربا! أو الحرام فنبت جسدك على سحت! وربما تكون مرتكباً لما لا يحل لك من الفواحش والذنوب؛ فهذه عاقبتها في الدنيا!!

ثالثاً: العمر يفوت

نعم، وأنت تطويه كطي الثوب.

يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهاباً

وهذا الشهر الكريم هو مضاعفة للعمر، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فما بالك بالشهر كله! إنه حري بالمسلم الصائم أن يستدرك أيام هذا العمر ولياليه فيما ينفع.

الأمر الأول: قراءة القرآن

أول ذلك: القرآن الكريم، وله بكل حرف عشر حسنات، لقد أنزل هذا القرآن في هذا الشهر قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وكان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ في كل سنة في شهر رمضان مرة، وعارضه في السنة التي توفي فيها بالقرآن مرتين إيداناً بدنو أجله ﷺ، وهذا كان أصل مشروعية ختم القرآن في شهر رمضان.

فجدد بك أيها المسلم! وبك أيتها المسلمة! أن تخصص لنفسك ورداً من القرآن الكريم طيلة العام ولو قل، ثم في هذا الشهر -خاصة- أجدر وأكدر، وعليك أن تسرح طرفك في القرآن، وأن تعمل فكرك فيه، فلا يكون همك آخر السورة، أو آخر الوجه، أو آخر الجزء، أو آخر القرآن أن تختمه؛ بل أن تقرأ وتتأمل قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فهذا خير تؤمر به، وهذا شر تنهى عنه، وهذا خير ماضٍ من أخبار السابقين تعتبر به، وهذا خير مقبل تنهياً له وتستعد قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

وهذا حق على الجميع، على جميع الناس، أئمة ومأمومين، فليس جديراً بالإمام أن يهذ القرآن كهذ الشعر؛ لأنه يقول: أريد أن أختتم قبل نهاية الشهر، أو أريد أن أختتم، ثم اذهب إلى العمرة في آخر الشهر، بل عليه أن يترسل في قراءة القرآن، ولا بأس أن يردد بعض الآيات، ويرقق بها القلوب، ويتغنى بالقرآن.

ففي صحيح البخاري مرفوعاً: {من لم يتغن بالقرآن فليس منا} عليه أن يجرك به القلوب، ويدمع به العيون، ويستدر به العواطف والمشاعر، ويطلق به النفوس، كما أن على القارئ مثل ذلك، وعلى المرأة مثل ذلك، بل حتى الصغار يجب أن يربوا على هذا.

الأمر الثاني : الصلاة

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ففي مواضع كثيرة من كتابه الكريم أمر الله عزوجل بالصلاة فرضها ونفلها، وهي الفيصل بين المسلمين والكفار؛ ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

وقال النبي ﷺ: {بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة}.

وفي الحديث الآخر: {العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر} وهذا المعنى يعرفه حتى الكفار.

يقول أحد المؤرخين البريطانيين-وهو توماس أرنولد - في كتاب له اسمه "العقيدة الإسلامية" يقول: هذا الفرض المنظم -أي: الصلاة- من عبادة الله تعالى هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أداء الصلاة من التأثير في النفوس.

ويقول أحد القسوس النصارى -وهو الأسقف لوفرو - يقول: لا يستطيع أحد خالط المسلمين لأول مرة إلا أن يندهش، ويتأثر. بمظهر المسلمين في عقيدتهم حينما يكبرون ويصلون، فإنك حينما كنت في بلاد المسلمين، في شارع مطروق، أو في حقل، أو في محطة سكة حديد، أو في غير ذلك أكثر ما تألف عينك مشاهدةً أن ترى رجلاً ليس عليه أي مسحة من الرياء، ولا أقل شائبة من حب الظهور، يترك عمله الذي كان بيده كائناً ما كان ذلك العمل، ثم ينطلق في سكينته وتواضع لأداء الصلاة في وقتها المعين.

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقى الأرض جاماً أحمر

جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا في مسمع الروح الأمين فكبرا

محمود مثل إياس قام كلاهما لك في الوجود مصليا مستغفرا

العبد والمولى على قدم التقى سجدا لوجهك خاشعين على الثرى
 ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

الناس والصلاة في رمضان:

الفريضة في رمضان وفي غير رمضان يصلّيها المسلم، ولكن بعض المسلمين لا يعرف المساجد إلا في رمضان، أما في غيرها فإنهم يصلونها في بيوتهم، أو يؤخرونها عن وقتها؛ بل ومنهم من لا يصلّيها في غير رمضان، فإذا جاء رمضان ازدحمت المساجد بالمصلين، خاصة أول الشهر، وخاصة صلاة المغرب وصلاة الفجر.

وبعض الناس قد يكون مصلياً في رمضان فإذا جاء الشهر نام عن صلاة الفريضة؛ لأنه مشغول بالدوام، وفي الليل يسهر، فإذا جاء من الدوام نام ربما عن صلاة العصر فلم يصلها إلا بعد غروب الشمس.

وآخرون قد يقصرون في النوافل من القيام، والتراويح، وغير ذلك، منشغلون بالجلوس مع بعضهم في أحاديث لا تنفع ولا تضر، بل ربما كانت ضارة، أو في مشاهدة التلفاز -مثلاً- أو في لعب الكرة، أو في التسوق والانتقال من محل إلى محل، ومن معرض إلى معرض، ويذرعون الشوارع جيئة وذهاباً. أين المصلون؟ أين الذين كانت الصلاة قرّة أعينهم، وسرور قلوبهم، ونداوة أرواحهم، وبهجة نفوسهم!!؟

الأمر الثالث : الإحسان

ينبغي الإحسان إلى الفقير والمسكين وابن السبيل، فإن هذا شهر المواساة، {ومن فطر صائماً فله مثل أجره} كما وعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الأمر الرابع : العمرة

العمرة في رمضان كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري {تعديل حجة معي} ولا يلزم من العمرة طول البقاء، فإن من ذهب إلى البيت العتيق، وأحرم بالعمرة، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ثم حلق أو قصر فقد أدى عمرة، وهي بالنية الصالحة في رمضان تعديل حجة مع النبي ﷺ، فكأما وقفت معه بعرفة، وبت معه بمزدلفة، ورميت معه الجمار، وطفقت معه بالبيت، وسعيت معه بين الصفا والمروة، وبت معه بمنى، ووادعت معه عليه الصلاة والسلام، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ولو لم تستغرق منك هذه العمرة إلا بضع ساعات.

إن البعض ممن يطيلون البقاء في رمضان في مكة المكرمة، وربما قضوا الشهر كله هناك، يحصلون أيضاً على خير كثير، فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه إلا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فهي في مسجده عليه السلام بألف صلاة، وهي في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة؛ المهم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، وهذا فضل عظيم، وأجر كبير من الله عز وجل ولكن أيضاً ينبغي للإنسان ألا يهمل أهله، فلا ينبغي أن يذهب إلى هناك ويترك أهله لا يجدون من يطعمهم، أو يتفقد شئوهم، أو يقضي حاجاتهم، أو يراقبهم، بل أن يذهب بهم إلى هناك ويدعهم، وربما جلس في المسجد يصلي، ويجلس حتى تطلع الشمس، وينام في المسجد ولا يخرج للبيت إلا للوضوء أو لقضاء بعض حوائجه، أما أهله أين هم؟ أين يذهبون؟ ماذا يصنعون؟ ماذا يفعل أولاده؟ ماذا تفعل بناته؟ فإن ذلك كله ليس منه في قبيل ولا دبير.

بل من الناس من يذهب بأطفاله، ويذهب معه بخادمه، وتكون أحياناً كافرة، وقد كتب إلي بعض الإخوة أن أسرة من هذه المنطقة -بالذات- ذهبت معها بخادمه كافرة، فلما أقيمت الصلاة؛ قالت المرأة العجوز للخادمة: اخرجي، اخرجي؛ فقامت الخادمة سريعاً وخرجت من الحرم، فقال ناسٌ لهذه المرأة العجوز: لماذا أمرت الخادمة بالخروج؟ فقالت: لأنها نصرانية، ولا أريد أن تجلس في المسجد وقت الصلاة! سبحان الله إلى هذا الحد! الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والمرأة هذه لم يجعلوا الأمر بالنسبة لها قرباناً للمسجد فقط، بل دخلت إلى المسجد بذاته، ومتى؟ في الشهر المبارك ثم تخرج وقت الصلاة، لم تعلم الدين ولا الإسلام، ولا ربيت على العقيدة، ولا دعيت إلى دين الله عز وجل وهذه من المصائب الكبار.

رابعاً: الصائمون عن الحرام

نعم، أنت عاقد العزم ولا شك على أن تصوم - بإذن الله تعالى - كما أمرك الله ورسوله ﷺ، ولكن حري بك أيضاً أن تصوم عن الحرام.

أولاً: الربا

نعم، أنت عاقد العزم ولا شك على أن تصوم - بإذن الله تعالى - كما أمرك الله ورسوله ﷺ، ولكن حري بك أيضاً أن تصوم عن الحرام.

حري بك أن تصوم عن الربا، وذلك الرصيد الضخم الذي نعرفه لك في البنوك الربوية التي قامت على محاربة الله تعالى ورسوله، وأعلنت ذلك، واحتلت أفضل المواقع وأرفعها وأعظمها، فهي قلاع حصينة، وكأنها معدة لمحاربة الله تعالى ورسوله، رصيدك في تلك البنوك لا بد أن تأخذ منك وعداً قاطعاً بأن تخرجه، ولا تسمح لهؤلاء المرابين أن يستفيدوا من مالك، ويستعينوا به على معصية الله، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

فتعاملك بالربا، أخذك الفوائد البنكية التي يسمونها فوائد وهي في الواقع لون من الربا المحرم، وتعاملك بالمعاملات المحرمة.

ومضاعفتك للدين وقلبك للدين على المدين، واستخدامك لمسألة العينة، وغيرها من المسائل التي جاء الأمر أو النص بتحريمها، أو نطق العلماء بذلك؛ ماذا يعني؟ لماذا تصوم عما أحل الله لك من الطعام والشراب، ولا تصوم عما حرم الله عليك من المال الحرام؟

ثانياً: الغيبة والنميمة

إن اللسان نعمة من نعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٩]. وكان الجدير بالإنسان أن يستخدم لسانه في ذكر الله، أو دعائه، أو استغفاره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلام الطيب، والنصيحة، وما أشبه ذلك، ولا حرج عليك أن تتكلم في المباح، فإن هذا من شأن الإنسان وطبيعته، فعلت وأكلت وشربت وذهبت وأتيت، وما أشبه ذلك من ألوان المباحات.

لكن أن يتحول الأمر إلى أن تستخدم نعمة الله تعالى في معصيته، في الغيبة، والوقوع في أعراض الناس، والتدخل في شئونهم، فلان فيه! وفلانة قالت! وفلانة فعلت! وما أشبه ذلك! وقول الزور، ونقل الكلام، والنميمة، والتحدث بين الناس ونقله على جهة الإفساد، وإشاعة الباطل والإثم والزور، وما أشبه ذلك.

فإن هذا من أعظم الذنوب والمعاصي خاصة وأنت صائم، فعليك أن تمسك عن ذلك كله. وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال عن الغيبة: {ذكرك أخاك بما يكره قال: رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته}. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] وقال: ﴿وَلَا تُطْعَمَ كُلُّ حَلْفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَوِيمٍ * مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٣] وقال الشاعر:

فاحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان

كف في المقابر من قتيل لسانه كانت تخاف لقاءه الشجعان

وقد ورد في هذا الباب حديث عن النبي ﷺ {جاء بامرأتين غلبهما الصيام إليه، فقال لهما: قينا، فقاءتا قيحاً ودماً عبيطاً، فقال النبي ﷺ: إن هاتين المرأتين صامتا عما أحل الله، وأفطرتا على ما حرم الله} أي: الغيبة والنميمة، وهذا الحديث رواه أحمد والطيالسي وغيرهما، وهو حديث ضعيف لا يحتج به، وإن احتج به الإمام أبو محمد بن حزم وغيره رحمه الله تعالى.

ثالثاً: النظر الحرام

ومن الأشياء التي يجب على العبد أيضاً أن يصوم عنها من الحرام: الصوم عن النظر إلى الحرام، سواء أكان هذا النظر إلى امرأة، أم إلى التلفاز، أم إلى تمثيلات، أم أفلام محرمة، أم ما أشبه ذلك، مما يعلم هو في قلبه أن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه.

فإن هذا كله من مقدمات الزنا، وأسباب الفاحشة التي تفضي بالعبد إلى ما حرم الله عز وجل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] وهذه الآية هي نهي عن الزنا، ولكنها أيضاً نهي عن النظر الحرام، ونهي عن القول الفاحش، ونهي عن الخلوة بالأجنبية، ونهي عن كل قول أو فعل يكون سبباً في القرب والذنو من الزنا، ولهذا قال: (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا).

خامساً: المرأة الصائمة

أولاً: المرأة شقيقة الرجل

المرأة جزء من المجتمع، وهي شقيقة الرجل كما قال النبي ﷺ: {إنما النساء شقائق الرجال} والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ [الحجرات: ١٣] ويقول سبحانه: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥] فالمرأة شقيقة الرجل، وهي مثله بأصل التكليف، ونظيرته في أصل الخلقة، وهي تنعم إن أطاعت، وتعذب إن عصت، ولذلك ينبغي أن يدرك المسلم أن من واجبه أن يحترم المرأة، سواء كانت أمماً له، أم أختاً، أم بنتاً، أم زوجةً، والنبي ﷺ يقول: {ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم}.

وكثيراً ما يتكلم الناس والرجال خاصة عن النيل من النساء والوقيعه فيهن، وكأنهم يبرئون أنفسهم ويتهمون المرأة، حتى إن بعض الشعراء يقول:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

وهذا خطأ عظيم فإن في النساء مريم التي اصطفاها الله تعالى، وفي النساء عائشة، وفي النساء خديجة، وفي النساء آسيا امرأة فرعون التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وفي النساء أمهات المؤمنين، وفي النساء الصحابيات الجليلات، وفي النساء من المؤمنات الفاضلات التقيات من هي أهل للخير، ولا يجوز لمؤمن أبداً أن يطلق مثل هذه الألفاظ.

وآخر سمعته يقول:

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت

فتش عليها تجدها من النساء تأتت

وهذا أيضاً غلط، فإن الشر ليس من النساء فقط، بل الشياطين مسيطون على بني آدم ذكورهم وإناثهم، والرجال أيضاً لهم في ذلك نصيب، نعم قد يكون الخطأ في النساء أكثر، وهو عليهن أغلب، ولهذا في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال للنساء: {تصدقن يا معشر النساء، فإني رأيتكن أكثر حطب جهنم، فقامت امرأة وقالت: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير}.

أمور مهمة للمرأة الصائمة

المرأة المسلمة الصائمة عليها أمور:

أولها: حفظ وقتها؛ فيجب عليها أن تشغل وقتها بما ينفعها من قراءة القرآن، وذكر الله، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وغير ذلك من الصالحات.

ثم عليها -أيضاً- أن تشغل وقتها بالأعمال النافعة التي تحتاجها في شئونها الدنيوية، وفي منزلها، وفي أولادها، وفي شأن نفسها، أو ما أشبه ذلك.

ثم عليها أن تحفظ وقتها من الغيبة، والنميمة، والقبل والقال، سواء أكان ذلك من خلال المجالس مع الأخريات، أم من خلال المجالس التي تكون في مدارس البنات، أم من خلال الهاتف، أم ما أشبه هذا!!

كذلك عليها أن تحفظ وقتها عن مشاهدة التلفاز والأفلام المحرمة، والتمثيلات الهابطة، فإن هذه تدمر الأخلاق، وتقضي على الحياء، وترى الإنسان على قيم ومبادئ مخالفة لما جاء به المرسلون عليهم الصلاة والسلام، ومخالفة لما توارثه المسلمون في مجتمعاتهم وبيئاتهم المتدينة.

ثم عليها أن تحفظ نفسها عن الخروج لغير الحاجة، وعن التبرج، وعن التطيب وإظهار الزينة، وعن الانسياق وراء المغريات التي قد تعرض لها في حياتها، وأن تحفظ زوجها في نفسها، وأن تطيع الله تعالى فيما اتتمنها عليه من أمر نفسها.

ثم عليها أن تحفظ مالها عن الإسراف؛ فإن كثيراً من الأخوات تملك مالا كثيراً وقد تكون معلمة، تأخذ راتباً يقدر بعشرة آلاف ريال أو أكثر من ذلك، ثم هي ترى أن هذا الراتب لا قيمة له إلا أن تجدد الأثاث في كل عام، وتشتري ألوان الملابس والأحذية، وغير ذلك لها ولأولادها، وتقول:

الأمر هين؛ لأن هذا مال لها ليس لها فيه حاجة. والواقع أن هذا من الإسراف الذي لا يحببه الله والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام: ١٤١] ويقول: ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾ * إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿ [الإسراء: ٢٦-٢٧] عليها أن تحفظ هذا المال ولا تنفقه إلا في حق مما تحتاجه في أمر دنياها من الملابس التي تحتاجها وتريدها هي، فضلاً عما يشتري لها زوجها، وإلا زوجها مطالب بالإفناق عليها حتى لو كانت غنية أو ما أشبه ذلك.

ثم عليها أن تحفظ بقية المال، وإن استطاعت أن تنمي هذا المال فهو حسن، وإن استطاعت أن تصرفه حاضراً أو مستقبلاً في أعمال الخير والبر والإفناق فهذا أعظم ما يدخر له المال، فإنما يفرح بالمال-والله العظيم- لينفق في وجوه الخير وفيما يرضي الله تعالى.

وعليها كذلك أن تحفظ زوجها بالإحسان إليه، والصبر عليه، وتحمل الأذى منه، وحسن القول له، وحسن التبعل له، وأن تتزين له ما استطاعت، وتحرص على أن تكون سبباً في إعفائه، إعفاف فرجه، وغض بصره عن الحرام، وتستعد له في نفسها ولباسها وتزينها ومنزلها وأطفالها؛ حتى لا تقع عينه منها على قبيح، ولا يشم منها إلا أطيب ريح.

وعليها أيضاً أن تحفظ أطفالها، تحفظهم عن الشارع فلا يخرجوا إلى قرناء السوء، أو يقعوا ضحية المخدرات، أو يتعلموا التدخين، أو يقعوا أيضاً ضحية حوادث السيارات أو الدراجات، أو ما أشبه ذلك مما يقع كثيراً.

وعليها ألا تخرج وتدعهم في البيت إذا خافت عليهم، فقد يقعون في حريق أو في مصاب، أو يقع على أحدهم شيء وهي بعيدة عنهم وقلبها معهم؛ بل إذا كان الأمر كذلك فعليها أن تصلي في بيتها، وقد قال الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيحين: {لا تمنعوا إماء الله مساجد الله} وقال صلى الله عليه وسلم: {وبيوتهن خير لهن} فالرجل لا يجوز له أن يمنع زوجته عن المسجد؛ إذا كان ذلك لا يضر بها ولا يضر بأولادها.

ولكن المرأة أيضاً فعليها أن تعلم أن صلاحها في البيت ما قدر لها مفردة أو مع أحد إن كان في البيت أحد أنه خير لها من أن تخرج، وخاصة إذا كان يترتب على خروجها إهمال لزوجها أو بيتها أو أطفالها، أو تبرج بالزينة، أو ما أشبه ذلك.

سادساً : نصائح متفرقة

نصيحة حول الإعلام

التلفاز الذي يحفر في العقول، يغرس المعاني الذميمة في النفوس، ويهدم كثيراً من مكارم الأخلاق من خلال ما يعرض وما يقدم، ومن خلال السياسة العملية التي يتبعها.

أيها الأحبة.. إن آخر ما واجهنا به التلفاز أنه أصبح يقدم لنا الفتاة السعودية في التمثيليات، فيشترط إعلامياً لأي تمثيلية عربية حتى نقوم نحن هنا بشرائها أن يشارك فيها ممثل سعودي، وهذا أسلوب لإجبار الممثلين السعوديين على المشاركة في الأعمال الأخرى، وإجبار العاملين في مواقع أخرى أن يشاركوا ببعض الممثلين السعوديين، حتى ولو كانوا عن غير معرفة ولا جدارة، المهم حتى يجوز هذا العمل على موافقة وزارة الإعلام.

ثم بدءوا يظهرن فتيات سعوديات من الحجاز، ومن الشرقية، ومن نجد يظهرهن في تمثيليات سعودية، وتكون الفتاة متزينة، متجملة، متبرجة، بل تخرج بالبنطلون الضيق الذي يصف جسدها وهي مع رجل، وقد يكون هذا الرجل يظهر في المسرحية أو التمثيلية كما لو كان زوجاً لها، فهو يحدثها حديثاً هامساً، حديث الزوج إلى زوجته، ويتحدث معها، ولك أن تتصور أولاً نفسية وعقلية تلك الفتاة وهي تقوم بهذا المشهد وهذا الدور.

ثم لك أن تتصور - وهذا هو الأخطر؛ لأنه لا يهمننا الجانب الفردي بقدر ما يهمننا الجانب الاجتماعي - لك أن تتصور كم ستتأثر مثل هذه المشاهد في عقول بناتنا، وأخواتنا، ونسائنا وهن يدرسن دائماً وأبداً أن المرأة كلها عورة إلا وجهها في الصلاة؛ ثم ترى هذه المرأة التي تدرس أنها عورة، وهي تظهر على التلفاز بأبهي زينة. وتقرأ في القرآن الكريم: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فتشاهد هذه الفتاة التي تحلق في زميلها في التمثيلية بكل عيونها. وتقرأ قول الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ثم تشاهد تلك الفتاة وقد تبرجت ليس أمام عشرة رجال ولا مائة ولا ألف، بل أمام ملايين المشاهدين، لا أقول في داخل المملكة، بل في داخل المملكة وخارجها.

فواجب علينا جميعاً أن ننكر هذا المنكر ونحاربه، ونعترض عليه، ونتصل بقدر ما نستطيع بوزارة الإعلام وبغيرها، وبالعلماء، سواءً عن طريق الهاتف، أم بالمراسلة، أم بالاتصال، أم بالزيارة. وعلينا أيضاً أن نكون دائماً وأبداً حرباً على كل المنكرات التي تغزوننا في بيوتنا، وتهددنا في أخلاقنا، وقيمنا، وعقائدنا.

وعلينا أن نحارب هذا التلفاز، ذلك الجهاز الذي لا يربي في الناس - غالباً - إلا مثل هذه المعاني.

الخطر الثاني: الدشوش:

وهي خطر كبير، وقد قرأت في جريدة الحياة أن عدد الدشوش سيصل في منطقة الخليج العربي خلال العام القادم إلى ما يزيد على ثلاثمائة ألف دش، بعضها يستقبل أكثر من مائة قناة، قنوات إيطالية، وقنوات من جنوب شرق آسيا، وقنوات من فرنسا، وقنوات من إسرائيل، وبعضها مخصص للدعارة، وبعضها مخصص للتصوير، نعم، لا أنكر أن ثمة قنوات علمية، وقنوات تعليمية، وقنوات اقتصادية، إلى غير ذلك، لكن أي مستوى من الوعي والمتابعة يوجد في المجتمع حتى لا يكون الاهتمام في متابعة الدشوش إلى هذا الحد؟

إن الكثيرين لا يعتنون أصلاً بمتابعة هذه الأشياء -أعني الأخبار- ولا بتتبعها، ولا بمعرفتها، وإنما ذلك لأغراض أخرى في غالب الأحيان، فعلينا أن نكون حرباً على ذلك.

وأعلم أن في هذا المجتمع بالذات في منطقة القصيم العدد يتزايد، وعندني أسماء ومواقع من يمتلكون هذه الدشوش، وواجب علينا جميعاً أن نناصحهم، جيراناً كانوا لنا أو أقارباً أو معارف، أو حتى لو لم يكن يربطنا بهم إلا رابطة الإسلام، فواجب علينا أن ننصحهم، ونكسر عليهم، ونظل ندندن حول هذا الموضوع حتى يمتثلوا.

الخطر الثالث الإعلامي: الصحافة:

والصحافة ذات تأثير بليغ، وهي في كل بيت، وفي كل بقالة، وفي كل مدرسة، وفي كل مؤسسة حكومية.

وأقول علينا أن نكون واعين في تناولنا للصحافة، فلا نقبل كل ما ينشر فيها، بل أن نميز الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، وأن نكون على حذر مما ينشر فيها، وأن نحرص على حماية عقولنا وأولادنا ونسائنا من آثار تلك الصحف والمجلات، وأن نحرص على مقاطعة أكثرها شراً وإثمًا وسوءاً.

ولقد صحت وناديت مرات ومرات ومرات بمقاطعة خضراء الدم "الشرق الأوسط"، وأفيدكم أنه وصلت إلي معلومات موثقة تدل على أن هذه الجريدة قد أصابها من جراء المقاطعة ضرر، ولذلك زادت في حجم صفحاتها، وبذلت جهداً لذلك، ومع مازالت الجريدة مصرة على سياستها، فأنا أناديكم وأطالبكم سواءً كنتم مسئولين في دوائر حكومية، أو في فنادق، أو في

مؤسسات، أو في مدارس، أو أفراداً، أو غير ذلك أن تبدلوا قصارى جهدكم في مزيد من الضغط على هذه الجريدة.

وقد يقول بعضهم: لماذا هذه الجريدة بالذات؟ ولماذا لا نقاطع غيرها؟ نعم، وغيرها أيضاً مما نعلم أنه ينشر الشر والفساد، ولكنني أعتقد أن التركيز على هذه الجريدة المتميزة بهذا الجانب أنه سيكون سبباً في نجاح الحملة عليها أولاً، وبالتالي سيكون سبباً في أن يقلع غيرهم، ويدرك أن جمهور الناس متدينون والله الحمد، وحرصون على الخير، وغيورون على الدين، وأنهم لو قاطعوا مطبوعاته لكسدت ولم تجد من يشتريها.

النصيحة الثانية: نصيحة للمتهاجرين والمتقاطعين

فإن كثيراً من الناس يوجد بينهم خصومات في أموال أو موارث، أو بسبب الأطفال، أو بسبب مشاكل، أو أعمال، أو غير ذلك قد تؤدي إلى القطيعة بينهم، ومع الأسف الشديد أن القطيعة أكثر ما تكون بين الأقارب، وربما وجدت أباً لا يكلم ولده منذ ثلاث سنوات، أو ولداً لا يكلم والده -والعياذ بالله من مثل ذلك-، أو أخاً لا يكلم أخاه، أو يمنع أولاده من تكليم جدهم أو قريتهم أو خالهم أو عمهم أو ما أشبه ذلك، وهذا كله من الباطل وفي الصحيح يقول ﷺ: {لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث} وهجر المسلم سنة هو كسفك دمه، فكيف إذا كان هذا المسلم قريباً أو ذا حق عليه كأب أو عم أو جد أو ما أشبه ذلك.

إن رمضان فرصة لأن يعود المتهاجرون حتى يحظوا بمغفرة الله تعالى، فإن الأعمال تعرض على الله تعالى في كل اثنين وخميس، فيغفر لكل موحد لا يشرك بالله شيئاً إلا المتهاجرين يقول: {انظروا هذين المتهاجرين حتى يصطلحا}.

ثالثاً: البرنامج اليومي للأسرة.

البرنامج للأسرة يقوم أولاً: على رب الأسرة، على الأب، فإن الأب هو بيت القصيد فيها.

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم داء الفساد إذا فسد

يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

فعلى الإنسان أن يكون قدوة صالحة لأهل بيته في خلقه، وفي محافظته على الصلوات، وطيب كلامه، وبعده عن الحرام، ثم عليه في رمضان -خاصة- أن يتجنب السهر الطويل، وأكثر الناس يغيرون برنامجهم، فيسهرون إلى الفجر، ثم ينامون بعد ذلك، ويترتب على ذلك تضييع العمل

المنوط بهم دراسة أم عملاً أم وظيفة، ويترتب على ذلك ترك الصلاة -أحياناً- ويترتب على ذلك الإغراق في النوم.

وإذا كانوا يسهرون الليل في أمور أحسن الأحوال أنها مباحة، فإنه يترتب على ذلك أن يضيع عليهم أكثر الشهر الكريم في أمور لا تحمد ولا تمدح.

ثم إن كثيراً من الناس يشتغلون في رمضان بلعب الكرة، ويجلسون في ذلك خارج البلد، أو داخله إلى الفجر؛ بل بعضهم حتى بعد صلاة الفجر يتجمعون لما يسمى بالتفحيط أو التطعيس أو ما أشبه ذلك، وهذه أشياء نأنف بشبابنا أن يشغلوا أوقاتهم في الأيام العادية فيها فضلاً عن هذا الشهر الكريم.

وواجب علينا -خاصة معشر الدعاة، والمهتدين، وأهل الخير، وطلبة العلم- أن نتجه إلى هؤلاء، ونجالسهم، ونحادثهم، ونتألف قلوبهم على الهداية، وننشر بينهم الكتاب المفيد، والشريط المفيد، ونلقي كلمة قد لا تستغرق خمس دقائق، ربما ينفع الله تعالى بها ولو واحداً منهم، {ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم}.

بل إنه جدير بنا أن نحول تلك التجمعات إلى ظاهرة إيجابية، فبدلاً من أن يجتمعوا على محرم -على طبل مثلاً أو على غناء، أو موسيقى، أو يجتمعوا على أمور مباحة- بدلاً من ذلك نجتمعهم على ذكر الله، وعلى المناقشة في الأمور المفيدة، ونربطهم بقضايا الإسلام، وقضايا الدعوة، وقضايا العقيدة.

كما أن من الأمور التي يجب التفطن لها في موضوع البرنامج: أنه لا ينبغي للإنسان أن يكثر من الاشتغال والانشغال بالأمور المفضولة، ويترك الأمور الفاضلة فضلاً عن أن يشتغل بالأمور المحرمة -كما أسلفت-.

إن بعض الناس قد يجد تجارته فيما حرم الله عز وجل عليه في هذا الشهر الكريم، فمن يبيعون الدخان -مثلاً- أو ما فوقه، ومن يبيعون الأغاني والأشرطة، ومن يبيعون أشرطة الفيديو، ومن يبيعون الأجهزة المحرمة عليهم أن يتقوا الله تعالى ويتوبوا من ذلك كله.

الأسئلة

إخراج زكاة المال قبل الحول

السؤال: ما حكم من أخرج زكاة أمواله ولم يحل عليها الحول؟

الجواب: على أي حال، إذا أخرج الزكاة في وقت معين ولم يحل عليها الحول فهذا حسن ولا شيء فيه، فقد عجل الزكاة حينئذٍ، ثم يخرج الزكاة في العام الثاني بعد مضي سنة من إخراجها زكاته أول مرة. وعلى سبيل المثال: لو ملك مالا قبل رمضان بوقت، وأحب أن يخرج الزكاة في رمضان، فأخرجها قبل أن يحول عليها الحول فحسن؛ ليكون شهر زكاته رمضان، فكل ما جاء رمضان أخرج زكاة ماله.

الدعاء عند الإفطار

السؤال: ما هو الدعاء الشامل الجامع الذي يقال عند الإفطار؟

الجواب: جاء فيها أدعية منها "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت" وهذا فيه ضعف. وأصح ما ورد { الحمد لله، ذهب الضمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى } وإن دعا بما يجب فإنه يرحى أن يكون للصائم عند فطره دعوة مستجابة، فيدعو بما أحب من خير الدنيا والآخرة، ومن أجمع الدعاء وأفضله "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

مجاهدة النفس

السؤال: ما رأيكم فيمن يكون في بداية رمضان نشيطاً في الأعمال الصالحة وفي العبادات ثم ما يلبث أن يضعف شيئاً فشيئاً؟

الجواب: هذا من تلاعب الشيطان بابن آدم، وعليه أن يجاهد نفسه، لا أقول أن يكون طيلة الشهر كذلك، بل أن يكون طيلة عمره هكذا.

مراعاة الإمام للمؤمنين

السؤال: ما رأيكم في مراعاة الإمام للمؤمن في إطالة الصلاة وقصرها؟

الجواب: نعم، ينبغي للإمام أن يراعي حال المؤمن، ولا شك أن اجتماع أمر جماعة المسجد على الحق وعلى كلمة واحدة خير من تفرقهم وتشتتهم وانتشار القالة فيما بينهم، فإذا كان المؤمنون يريدون شيئاً مثل أن لا يطيل الصلاة إطالة شديدة ولكن أيضاً لا يخل بالصلاة ولا يخل بطمأنينتها، ولا يستعجل، ولكن لا يطيل إذا كانت الإطالة تشق عليهم.

ومثله -أيضاً- لو كان جمهور المؤمن يرون أن يصلي أكثر من خمس تسليمات وأكثرهم على هذا، وهو أرفق بهم، فراعى حالهم في ذلك، فلا حرج عليه في ذلك كله إن شاء الله تعالى، وإلا فالأصل أن يراعي الإنسان السنة الواردة فيصلح بهم خمساً كما كان النبي ﷺ كما في حديث

عائشة رضي الله عنها: { ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة } وفي رواية { على ثلاث عشرة } والحديث في الصحيح، وكذلك أيضاً أن يطيل الصلاة بقدر معتدل.

دعوة المرأة في رمضان

السؤال: في كيفية استغلال المرأة رمضان من ناحية تعليمها أمر دينها. أفيدونا جزاكم الله خيراً؟

الجواب: نعم، هذه فرصة مهمة، فإن كثيراً من النساء يجتمعن في رمضان في المساجد لصلاة التراويح والقيام، وهي فرصة لأئمة المساجد والدعاة والمصلحين بتوجيه الوعظ والحديث إلى النساء، وتخصيص أيام لذلك، لمعالجة القضايا التي تحتاجها المرأة، وتعليمها أمور دينها، وعقيدتها، والصلاة، وأحكام الحيض، وأحكام النفاس، وآداب المعاشرة الزوجية، وكيفية تربية الأولاد، وما يتعلق بلباس المرأة، وغير ذلك، وآداب الدخول والخروج، والمخاطر التي تهدد المرأة. وعلينا جميعاً أن نستغل هذه الفرصة في توزيع الكتب والأشرطة على النساء في المساجد وفي غيرها من تجمعات النساء، وأن نبتهد في ذلك بقدر المستطاع.

الصلاة في المسجد البعيد خلف حسن الصوت

السؤال: الذين يقومون بأداء صلاة التراويح في مساجد غير مساجدهم بحجة أن القارئ الفلاني أفضل من إمامهم بصوته، والجزء الآخر يقول: القارئ الفلاني أفضل من إمامنا في تدبر الآيات. أفيدونا جزاكم الله خيراً؟

الجواب: على كل حال، الأصل أنه لا حرج على الإنسان أن يصلي في أي مكان شاء، وذهابه إلى مسجد يرى أنه يكون فيه أكثر خشوعاً أو أكثر تدبراً أو ما أشبه هذا لا حرج عليه فيه، ولكن ينبغي ألا تهمل المساجد، وأن تعمر المساجد كلها بصلاة التراويح والقيام، وإن حصل أن يكون الإنسان في مسجده فهو أولى في نظري، خاصة إذا كان يحتاج إليه في أن ينوب عن الإمام، أو يفتح عليه إذا أخطأ أو سهى، أو يحدث الجماعة أو ينصحهم، أو يقوم ببعض المشاريع الدعوية في المسجد، أو ما شابه ذلك.

دعوة الشباب الثائنه في رمضان

السؤال: بقدوم شهر رمضان تمتلئ الشوارع والاستراحات بالشباب الذين نسأل الله عز وجل أن يردهم إلى الحق رداً جميلاً وإلى سلوك طريق الحق والبعد عن ترهات الأمور، السؤال: من هؤلاء الشباب، ما هو دور الشباب الملتزم تجاه ذلك؟ أتمنى أن ينظر الشباب الملتزم بعين العطف ويحرص على كسر تلك الحواجز؟

الجواب: نعم، هذا الكلام نكرره كل عام، من هؤلاء إلا الله ثم أنا وأنت، فعلينا أن نذهب إلى هؤلاء.

أولاً: ندرّب أنفسنا على الدعوة، فقد يكون الكثير منا لا يعرف كيف يدعو الناس، فيحتاج إلى أن يتدرّب عملياً.

ثانياً: أفلا يسرك أن تكون موسوماً بوسام الدعوة، وأن تكون خليفة للأنبياء عليهم السلام، وأن تكون من أهل القول الحسن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فكن من أهل هذه الآيات، واذهب إلى هؤلاء، اجلس معهم، واصبر عليهم، وتلطف معهم، واحرص على أن تواجههم بالكلمة الطيبة والابتسام، وأن لا تعجل عليهم، بل تألف قلوبهم بذلك كله، في اليوم الأول وزع عليهم كتاباً واذهب، وفي اليوم الثاني وزع عليهم شريطاً واذهب، وفي اليوم الثالث سوف يجتشدون عليك ويسلمون فاستأذهم أن تلقي قصيدة أو كلمة أو شرح آية أو شرح حديث أو موعظة أو تذكرة لهم، أو ما أشبه ذلك، فالأسلوب الذي تعتقد أنه يناسبهم أبداً به، وبعد ذلك ستجد أنهم استفادوا منك فائدة عظيمة، وأنت أيضاً لم يخرج هذا الشهر إلا وقد أضفت إلى خبرتك خبرة جديدة، وإلى حسناتك أيضاً - بإذن الله تعالى - أجوراً عظيمة لمن هداهم الله تبارك وتعالى على يدك.

صحة حديث { من أفطر رمضان }

السؤال: ما صحة الحديث "من أفطر رمضان من غير عذر لم يجزه صيام الدهر ولو صامه"؟
الجواب: هذا الحديث رواه أهل السنن، وذكره البخاري تعليقاً وليس بالصحيح، فإن فيه عللاً منها أبو المطوس عن أبيه وهو مجهول، وفي الحديث انقطاع وفيه اضطراب، فهو لا يصح، كذلك الحديث الطويل الذي جاء فيه "شهر رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار" فهذا الحديث ليس صحيحاً بل هو شديد الضعف، وينبغي لمن قرأه أن ينبه على ذلك.

أهمية الأذان في رمضان

السؤال: هل أمسك في الأذان الأول أم هل أمسك قبل أذان صلاة الفجر؟

الجواب: أما الأذان الذي يؤذن به قبل صلاة الفجر، فهذا ليس لإمساك الصائم، وإنما هو ليقوم النائم، ويقعد المصلي لتناول طعام السحور، وإنما مطلوب الإمساك بالأذان الذي هو أذان الفجر الذي فيه (الصلاة خير من النوم) الأذان الثاني، وهذا الأذان هو الذي يكون بعد طلوع الفجر، لكن السائل قد يقصد: هل أمسك مع أول أذان أسمع أم أمسك مع آخر مؤذن؟ أقول: العبرة بطلوع الفجر فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] والنبي ﷺ يقول كما في الصحيح: {إذا أدبر النهار من هاهنا وأقبل الليل من هاهنا فقد أفطر الصائم} إذا الصوم والفطر يكون معلقاً بالليل والنهار، فإذا طلع الفجر أمسك الصائم، وإذا غابت الشمس أفطر الصائم، وإنما الأذان أمانة وعلامة سواء أذن الفجر للإمساك أم أذن المغرب للإفطار.

فإذا كان هناك مؤذن مأمون فعليك أن تصوم وتفطر على أذانه، وإن شك الإنسان فلا حرج عليه أن يحتاط في ذلك، فيمسك مع أول المؤذنين ولا يفطر حتى ينظر إلى أن الشمس قد غربت، خاصة أن بعض المؤذنين لا يضبطون ذلك، وهذا ينبغي التنبيه عليه أيضاً، فإن المؤذنين مؤتمنون ويجب عليهم أن يرعوا هذه الأمانة، هي أمانة عظيمة يتعلق بها شعيرتان من أعظم الشعائر: صلوات المسلمين وصيامهم، فما بالك أيها المؤذن إذا صلت المرأة صلاة الفجر على أذانك قبل أن يطلع الفجر وقبل دخول الوقت، إنك أنت الآثم حينئذ، وما بالك إذا أفطر المسلمون على أذانك قبل أن تغرب الشمس.

بعض المؤذنين يقول: احتاط، ولا ينبغي الاحتياط في هذه المسألة؛ لأن الاحتياط فيها يتسبب في ضرر آخر، بل على الإنسان أن يؤذن على الوقت تماماً، سواء أذان الفجر أم أذان المغرب، لئلا يترتب على ذلك أن يصلي الناس قبل الوقت، أو يمسكوا قبل الوقت.

فقد يقوم إنسان ويسمع أول أذان قبل دخول الوقت، قبل طلوع الفجر فيمسك وعنده حاجة إلى أن يتسحر، أو يشرب ماءً، أو يتناول دواءً أحياناً فيتركه لأنه ظن الفجر قد خرج، والسبب هذا المؤذن الذي أذن قبل الوقت.

فعلى المؤذنين أن يتقوا الله تعالى ويراقبوه في أمر الوقت، فلا يتقدمون ولا يتأخرون، وإذا كان المؤذن لا يطيق ذلك ولا يستطيعه أو لا يعرفه فبإمكانه أن يجعل غيره يتولى عنه أمر هذه الأشياء.

أولادنا في رمضان

أولادنا في رمضان

من نعم الله عز وجل الكثيرة على الإنسان نعمة الذرية والولد؛ التي يحرم منها كثير من الناس، وقد يكون الولد صالحاً أو فاسداً فيكون سبباً لسعادة أبويه أو شقائهما في الدنيا، وقد جعل الله في قلوب الوالدين رحمة لأولادهم، ولكن هذه الرحمة يجب أن تتوجه لتربيتهم التربية الحسنة، وجعلهم أولاداً صالحين بدلاً من أن تتوجه لتوفير ملذات الدنيا لهم وترك الحبل على الغارب كما في مظاهر كثيرة مشاهدة في المجتمع.

نعمة الولد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

في هذه الليلة، ليلة السبت، السابع من شهر رمضان لعام ١٤١١هـ، نقف وقفة عنوانها: (أولادنا في رمضان).

أيها الأحبة: يقول الله عز وجل: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢-٦].

وكانت أعظم بشارة أن يقول الله عز وجل: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

فإن من نعمة الله تعالى على العبد أن يوفقه ويرزقه الذرية، وكم من إنسانٍ حرم من هذه النعمة، فكلما رأى صبيّاً صغيراً، تقطع قلبه حسرات، يتمنى ضحكةً أو صرخةً أو قبلةً من طفله الصغير، لكن أراد الله تعالى بحكمته وعلمه ألا يكون ذلك، فنعمة الأولاد هي من أجلّ النعم، التي لا يعلمها إلا من جرب مرارة فقدتها وحزن عدمها، فلذلك امتن الله تبارك وتعالى على رسله بأن

جعل لهم أزواجاً وذرية، كما قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

الولد الصالح

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: {إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له} فالولد الصالح هو خير تراث وخير ميراث يخلفه الأب من بعد وفاته، يبقى ذكرى حسنة لأبيه، ودعاء صالحاً، وخيراً داراً على والده حتى وهو في قبره، فإن آباء الأولاد الصالحين، هم أهل الخيرات التي لا تنقطع وإن كانوا موسدين، صرعى في قبورهم، إلا أن الله تعالى يدر عليهم الرزق في الدار الآخرة ببركة أولادهم الصالحين، يدعون لهم، ويتصدقون عنهم، ويذكرونهم بالذكر الحسن، ويعملون لهم ما استطاعوا أن يعملوه.

الولد الفاسد

الولد الفاسد، فإنه بوار على والده، وشقاء عليه، وشنار في الدنيا والآخرة، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَمَنْ أُفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَيَلِكْ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧-١٨].

فساد الولد شقاء على والديه الصالحين في الدنيا والآخرة، ولهذا قال الله عز وجل في سورة الكهف، قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَرَدَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاتًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

إذا الولد نعمة، لكن إن كان الولد صالحاً فهي نعمة عظيمة وخير جسيم، أما إن فسد الولد وضل وانحرف، ففقدته خير من وجوده، وموته خير من حياته، وهو في بطن الأرض خير له أن يكون فوق ظهرها، ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا *

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ [الكهف: ٨١] وسخر وقيض الله تعالى الخضر العبد الصالح فقتله، وجد غلاماً فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴿٧٤﴾ [الكهف: ٧٤] فقال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الكهف: ٨٠].

إذاً موته خيرٌ من بقاءه لوالديه في دينهما ودنياهما، فأما في دينهما: فقد يفتنان به، وقد يقصران في طاعة الله بسببه، وقد يرتكبان المعصية من أجله وأما في دنياهما: فإن الولد الفاسد شقاءً على والده، ذلٌ بالنهار، وسهرٌ في الليل، وضيقٌ في الرزق، وضيقٌ في الصدر، وتعاسة لا يعلمها إلا الله، فالولد نعمة، لكنه نعمةٌ إن كان ولداً صالحاً، أما إن كان فاسداً شقيماً، فهو وبالٌ ودمارٌ وبوارٌ على والديه في الدنيا وفي دار القرار.

صلاح الوالد نعمة للولد

صلاح الولد نعمة، كما أن صلاح الوالد -أيضاً- نعمة للولد، فإن من رحمة الله تعالى بالولد أن يوفقه أن ينشأ في بيئةٍ صالحة، وتحت رعاية أبوين صالحين، ولهذا قال الله عز وجل -أيضاً- في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

فرحم الله تعالى هذين الغلامين اليتيمين ببركة صلاح أبيهما! ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

فصلاح الآباء رحمةٌ بالأولاد، وصلاح الأولاد رحمةٌ بالآباء، فكم هي نعمة عظيمة أن يوفق الله تعالى الشاب إلى بيتٍ صالح، وإلى أب مهتدٍ مستقيم، يعينه على الخير ويأمره به، وينهاه عن الشر ويحذره منه ويمنعه عنه، وكم هو شقاءٌ للولد أن يكون في بيئةٍ فاسدة، إذا رأت منه صلاحاً، أو تردداً على المسجد، أو اقتناءً للكتب المفيدة، أو سماعاً للأشرطة النافعة، أو صحبة الأخيار الطيبين؛ منعه من ذلك وحذروه، وقالوا له: نخشى عليك كذا وكذا، وبدعوا يوسوسون له كما يوسوس الشيطان الرجيم..!

رحمة الوالد بولده

أيها الأحبة: لقد غرس الله تعالى في قلوب الآباء الرحمة بالأبناء، حتى إن الولد ريحانة لأبيه، وقد جاء في الحديث { أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان يوماً من الأيام يخطب على المنبر،

فجاء الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل -بأبي هو وأمي عليهما السلام - وحملهما على كتفيه، وقال: والله إنكم لتبخلون وتجننون، وإنكم لمن ريحانة الله { والحديث رواه أحمد وغيره، وفي سننه مقال.

ولما جاء عليهما السلام إلى ولده إبراهيم، حملة وشمه وقبله -بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلم- ولما رآه يجود بنفسه بكى، ودمعت عيناه، وقال: {هذه رحمة وضعها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء}.

مات لابن الرومي ولد، كان اسمه محمداً، فرثاه بقصيدة من عيون الشعر، لا زال التاريخ يردد لها، يقول مخاطباً عينيه:

بكاؤ كما يشفي وإن كان لا يجدي فجدودا فقد أودى نظير كما عندي

محمداً ما شيء تُؤهّم سلوه لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد

أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للأحزان أورى من الزند

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقد ناه كان الفاجع البين الفقد

لكل مكان لا يسد اختلاله مكان أخيه من صبور ولا جلد

يقول: الأولاد ولو كانوا مائة مثل الجوارح، لا تغني اليد عن الأخرى، اليمنى عن اليسرى، ولا يد عن رجل، ولا رجل عن يد، ولا عين عن أذن، لا يغني سمع عن بصر، ولا بصر عن سمع، فالجوارح لا يغني بعضها عن بعض، وكذلك الأولاد، مهما كثروا، لكل واحد منهم مكان في القلب، لا يسد فقده مكان أخيه.

وآخر جلس في بيته وقد ضاقت عليه أبواب الرزق وحجبت دونه، فكان يتمنى أن يذهب في أرض الله الواسعة، ويكتسب من الرزق ما يكتسب غيره، ولكن يمنعه من ذلك أولاده الصغار من بنين وبنات، الذين يجذب عليهم ويحن إليهم، فلا يستطيع فراقهم، فيقول:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبّت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

لولا بنيات كزغب القطا ردّدن من بعض إلى بعض

لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض

فالأولاد نعمة وأية نعمة، ومن رزق نعمة أن يشم أولاده الصغار ويضمهم، ويضعهم في حجره ويحن عليهم، ويضاحكهم ويلاعبهم؛ فإنه يجد في هذه الدنيا نعمة تمهد لنعمة الدار الآخرة التي وعد الله تعالى بها المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

فإذا كان الأب في منزلة في الجنة، وولده دونه، فإن الله تعالى بسايع كرمه وجوده يلحق الأبناء بالآباء تكريماً للآباء وتتميماً لنعيمهم وسرورهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

ضرورة عناية الآباء بتربية أبنائهم

أيها الأحبة: دون شك نحن نعني بأولادنا في طعامهم وشرابهم وكسائهم وراحتهم، فالولد نحصر على أن نكسوه أجمل الثياب، ونطعمه أحسن الطعام، ونسقيه ألد الشراب، وإن احتاج إلى سيارة قدمناها له، ولو كان فيها عطبه وضلاله وضياعه وارتباطه بقرناء السوء، وإن احتاج إلى الطبيب سارعنا إليه ولو في ساعة متأخرة من الليل، ونحن لا نلأم في ذلك إذا كان في حدود الاعتدال والمصلحة للولد في دنياه وآخرته، اللهم إلا السيارة فلا؛ إلا أن يكون أهلاً لها من عقل وشب عن الطوق، وتجاوز فترة المراهقة، أما ما سوى ذلك مما يحتاجه الابن من والده، فهو حق لا بد منه.

لكن أرايت كيف نهمل الجوانب التربوية لأولادنا؟ وكيف نقصر في إعدادهم الإعداد الصحيح؟ ورعايتهم الرعاية الشرعية وبنائهم!!

هل من ميزة الابن والولد وكمالهما بأن يكون يمتلك سيارة، أو ثياباً جميلة، أو غترةً مكوية، أو أن يكون صحيح الجسم، مكتمل القوة، شديد البنية؟!.. أبداً..!

مهما كانت قوة الولد فلن يكون أقوى من الفيل! ومهما كان جماله، فلن يكون أجمل من الطاوس! فليست قوة الإنسان ولا جماله بالذي يمدح به، وربما يكون في الحيوان من هذه الأمور ما يفوق الإنسان! إنما كرامة الإنسان بما وهبه الله تعالى وميزه به من الإنسانية، وتخصيصه بالدين الذي يتميز به الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

أية قيمة للإنسان الآكل، الطاعم، الشارب، المكتسبي، المتمتع، إذا كان يتقلب على مثل حسك السعدان من الهم والغم والانزعاج؟! وأية قيمة للولد الطويل العريض إذا كان ضحية المخدرات؟! وأي نفع بابنك الغني المترف إذا كان يشقيك صباح مساء؟!

إن قيمة الإنسان هي في عقله وقلبه، وروحه ولبه، ودينه وورعه وتقواه! ألم تسمع ما قال الله تعالى في ذلك الذي يستغيث منه والداه: ﴿وَهُمَا يَسْتَعِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧] عجزوا عنه، فأخر شيء بالتهديد: ويملك.

أيها الإخوة: يذكر عددٌ من المصنفين في العقوق والبر قصة ذلك الرجل الذي كان يطوف بالكعبة، ويشتكى ولده على رب العالمين، ولدٌ رباه، وتعب في تربيته، وسهر عليه الليل، وتعب النهار، وجاء له بالرزق من كل مكان، لكن مع ذلك في النهاية كانت العقوبة هي العقوق، فكان يقول واسم ولده "منازل":

جزت رحمٌ بيبي وبين منازل جزاءً كما يستنزل الدين طالبه
وربيته حتى إذا ما تركته أخوا القوم واستغنى عن المسح شاربه
تغمط حقي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه
إن رعشت كفا أبيك، وأصبحت يدك يدي ليثٍ فإنك ضاربه

أصبح شيخاً هرماً ترتعش يده من الكبر، فيجره ولده بقوة، ولا يرقب فيه إلا ولا ذمة...! فيقول: إلى هذا الحد تعتدي على والدك...؟!!

ولهذا فإن من العقل كل العقل، والحكمة كل الحكمة، أن تكون عناية الأبوين بتربية الأولاد ورعايتهما الرعاية الشرعية الدينية أعظم. بمراحل من رعايتهم رعايةً جسمية -صحية أو بدنية- أو إعطائهم ما يحتاجون إليه من الأكل والشرب والثياب وغيرها.

من إيجابيات الصحوة

وفي هذا الصدد لا يفوت أحدٌ أن يُشيد بفضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية، فقد أخرج لها في هذه الظلمات التي تعيشها: جيل الصحوة من الشباب المؤمن المتدين، ذكوراً وإناثاً، فأصبح كل إنسان يحمد الله تعالى كل الحمد على هذه الأعداد الهائلة من الشباب التي تتراد حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ولو تصورت بلداً واحداً كهذا البلد، في بريدة ما يزيد على مائة وأربعين حلقة لتحفيظ القرآن الكريم! قد يكون في الحلقة الواحدة مئات من الطلاب، ما بين طلاب الثانوي

والمتوسط والجامعة، والأساتذة أيضاً من الخريجين وغيرهم! كلهم يعكفون على حفظ كتاب الله تعالى من صلاة العصر إلى المغرب، وربما كان في وقت ليس بالبعيد كان الإنسان -حتى من الصالحين- يثقل عليه أن يجلس في المسجد من صلاة العصر إلى المغرب، وأي إنسان يستطيع أن يتجاهل هؤلاء الشباب القيادات التي أصبحت تؤم في جميع المساجد؟ خاصة في هذا الشهر الكريم، إن لم نقل في كل المساجد ففي جلها! شباب ربما يكون أحدهم في سن الخامسة عشر أو السادسة عشرة، يؤم المصلين حفظاً عن ظهر قلب في صلاة التراويح والقيام وغيرها، من يستطيع أن يتجاهل أولئك الشباب الذين عمروا حلق العلم؟ وبالأمس كانت حلقة المشايخ يكون فيها عشرة أو اثنا عشر من الطلبة، أما اليوم فتأتي إلى الحلقة فتجد فيها مئات من طلبة العلم من هذه النباتات الطيبة الطاهرة التي سقيت -بحمد الله- بسقي التوحيد والإيمان؛ فأينعت وأثمرت خير ثمار! من يستطيع أن يتجاهل هذه الجموع الغفيرة من الشباب التي تؤم المساجد للصلاة في رمضان وفي غيره، حتى أصبح كثير ممن يرتادون المساجد لصلاة التراويح والقيام هم من الشباب، ذكوراً وإناثاً.

من يستطيع أن يتجاهل تلك الدماء التي زينت أرض أفغانستان؟ إنها دماء شبابٍ أظهار، أبرار، أتقياء من هذه البلاد ومن غيرها، رضيت بالآخرة عن الحياة الدنيا، باعت الدنيا واشترت الآخرة، ورضوا بما عند الله، فزهدوا في الدنيا، فتركوا فرش الحرير، والديباج، والنعيم، وأطايب الطعام والشراب، وذهبوا إلى هناك حيث الجوع، والعطش، والخوف، والتعب، يتسلقون على رؤوس الجبال، وقد صم آذانهم أزيز الطائرات، ومع ذلك كله فإنهم واثقون بالله تعالى، يتطلع أحدهم إلى الموت كما يتطلع أحدنا إلى الحياة، ولسان حاله يقول:

ماضٍ وأعرف ما دري وما هدي في الموت يرقص لي في كل مُنعطفٍ

وما أبالي به حتى أحاذرُه فخشية الموت عندي أبرد الطرف

ولا أحد -أيضاً- يستطيع أن يتجاهل -فضلاً عن هؤلاء وأولئك- جماهير غفيرة من شبابنا في المدارس والجامعات والمؤسسات المختلفة، ممن هم مهتدون مستقيمون بحمد الله، من رواد المساجد المحافظين على دينهم وعرضهم وماهم، البعيدين عما حرم الله عز وجل، وهم بحمد الله كثرةٌ كاثرة! لا يحتاج الأمر الإطالة بذكرها.

وكذلك الحال بالنسبة لفتياتنا، فإننا نحمد الله تعالى كل الحمد، على أننا نجد أنه في هذا الوقت الذي هيمن فيه الظلام على كثيرٍ من بقاع العالم الإسلامي، إلا أن الصحوّة قد أينعت خير إيناع، فلا تكاد تجد مدرسةً أو معهداً أو جامعةً للبنات إلا وتجد فيها حلق الذكر، يجتمع فيها صفوة المدرسة: من الطالبات، والمدرسات، والمعلمات، ويتدارسن كتاب الله تعالى ويقرأنه، ويتدارسن سنة رسول الله ﷺ، ويتواصين بالحق، ويتواصين بالصبر، حتى أصبح هذا الأمر -بحمد الله تعالى- أمراً عادياً مألوفاً لا يستغربه أحد، وحتى أصبحت تجد في كثيرٍ من المدارس أن كل الطالبات هن ممن ينتسبن إلى هذه الحلقات العلمية.

ومن يستطيع أن يتجاهل الحجاب الشرعي الذي أصبح موجوداً في كل مكان؟ تشاهده في المسجد وفي الشارع، وفي البيوت، وفي كل مكان؟ وأصبح كثيرٌ من الفتيات المؤمنات لا تكتفي فقط بحجاب وجهها وسائر جسدها، بل تضيف إلى ذلك أن تحجب كفيها وأن تحجب قدميها بالحوارب وغيرها، حتى إنه لا يرى منه موضع ظفر...

فأية نعمةٍ أعظم من هذه النعمة؟!!

نعم الإله على العباد كثيرةٌ وأجلهن هداية الأولادِ

هذا من فيض الله، من فضل الله، من جود الله، من نعمة الله، من كرم الله عز وجل، وليس بكد أيدينا ولا بفعلنا، ومهما فعل الإنسان من الأسباب فهي قاصرة، ولكن الله تعالى بمنه وكرمه وجوده قد أراد بهذه الأمة خيراً حين هدى شبابها وفتياتها إلى الطريق المستقيم، ولا أحد يتجاهل أعداداً كبيرة من فتياتنا من قاصرات الطرف المقصورات في بيوتهن، فهن قاصرات الطرف عما حرم الله، لا ينظرن إلى حرام، وهن مقصورات في بيوتهن لا يخرجن إلا لما لا بد من الخروج إليه، هذا كله مما لا يختلف عليه اثنان، ولا يجهره منا إنسان.

بعض الظواهر السلبية في المجتمع

لكن الأمر الذي أود أن أشير إليه، هو أن هناك بعض الظواهر السلبية، خاصةً في هذا الشهر الكريم، مما تحتاج منا إلى تأكيدٍ وبيان:

تضييع الأوقات بافتراش الأرصفة

فنحن نشاهد مجموعات من الشباب يفترشون الأرصفة وعلى جنبات الطرق في مثل هذا الشهر الكريم وفي غيره، ويقضون أوقاتاً طويلة من بعد صلاة العشاء، وإلى وقت السحور، إما على مشاهدة التلفاز، أو الفيديو، أو لعب الكرة، ولا شك أن هذا وقتٌ ثمينٌ وجزءٌ عظيمٌ من أوقاتهم، وفي وقت الشباب الذي هو أثن الأوقات وأعظمها وزهرة الحياة، فكيف تضيعه بهذه الطريقة التي لا تخدمك ولا تخدم أمتك لا في دين ولا في دنيا؟!!

إنها ظاهرة تستحق العلاج، وإن مما يستحق الإشادة أن يقوم مجموعات من شبابنا الصالحين وتوجيه من مشايخهم وعلمائهم بجولات موفقة على تجمعات هؤلاء الشباب، وجلسات طيبة مباركة معهم، وتوجيه صالح، وهدية مفيدة، لعل الله تعالى أن ينفع بها بعض أولئك الشباب، وأن يحيي بها قلوبهم.. وهي على كل حال ظاهرة سلبية تستحق المعالجة.

استتجار الأحواش

وهناك ظاهرة لا تقل خطورةً عنها، وهي أن كثيراً من الشباب بدءوا يلجئون إلى بعض الأحواش فيقيمون فيها، وربما يستأجر بعضهم مزرعةً صغيرةً أو حوشاً، يستأجرونه يوماً في الأسبوع أو أكثر، ويسهرون فيه الليل كله، وأقل ما يكون هناك: التدخين أو تعاطي ما يسمى بالشيشة، ومشاهدة التلفاز أو الفيديو، فضلاً عن الكلام الذي يضر ولا ينفع: من غيبة، أو نيمة، أو سب، أو شتم، أو غير ذلك، ولا شك أننا نربأ بشبابنا عن مثل هذه المجالس، وعن مثل هذه الطرائق التي يضيعون بها أثن ما يملكون:

والوقت أعظم ما عنيت بحفظه وأراه أهون ما عليك يضيعُ

وهذه قضية تتطلب تكافؤ الجهود، فأنا لا يمكن أن أؤجر -مثلاً- حوشاً أو مزرعة لشاب إلا وأنا أعرف كيف سيستخدمه، فإن كان ممن سيستخدمونه في خيرٍ وبرٍ فحبذا حتى لو كان بالبحان، أما إن كنت أحشى أن يعصى الله تعالى فيه، فإنه ليس جائزاً أن أكون من المتعاونين على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

كما أن الواحد من أولئك الشباب بحاجة إلى أن ينصح زملاءه وإخوانه، ينصحهم بأن يستغلوا وقتهم بما يعود عليهم في الفائدة، ويحاول أن يدعو إليهم بعض الصالحين، ويسهل عملية الاتصال، والزيرة، والجلسة ولو كانت جلسة قصيرة، فإن كلمة واحدة ربما يفتح الله تعالى بها قلباً ويبصر

عينا، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٧] وقال: ﴿ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد: ١٧].

في العمرة

أمرٌ ثالث: السفر للعمرة، وما أدراك ما السفر للعمرة! يقول النبي ﷺ لبعض نساء الأنصار: { إذا كان في رمضان فاعتمرني، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة } وفي رواية في البخاري: { فإن عمرة في رمضان تعدل حجةً معي } ولكن -ويا مرارةً بعدَ "لكن" - كم نجد من السليبيات في هذا السفر! فمن الشباب من يسافرون ويستأجرون بيوتاً هناك تكون مكاناً لاتفاق على مغامراتٍ تبدأ ولا تنتهي! جولات في الشوارع، وإيذاء للناس، ومعاكسات، ومغازلات! ومضايقة للمؤمنين القائمين، والعاكفين، والركع السجود، والمعتمرين الذين جاءوا يبحثون عن الفضيلة والأجر...! فهل يجوز هذا؟! هل هذا حق وفد الله عز وجل علينا؟ كلا ثم كلا...!!

ومن الشباب من يرتكبون ما حرم الله تعالى في أطهر بقعة!!

ففي المسجد الحرام تجرد المضايقات، وتجرد الغمز واللمز، وتجرد الاقتراب من النساء، وتجرد إيذاء المؤمنات ومضايقتهن في أنفسهن!! وهذا -أيضاً- مما يسخط الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

فاحذر -يا أخي الحبيب- أن تكون ممن أراد بهذا المسجد الحرام إلحاداً فأذاقه الله تعالى من عذاب أليم، في نفسك، أو في أهلك، أو في مالك، أو في ولدك...

بعض الآباء والأمهات يسافرون للعمرة، ويتركون أولادهم هنا، دون أن يكون عليهم قيّم، ولا رقيب، ولا حسيب، فيبقى الأولاد في البيت لوحدهم، لسببٍ أو لآخر، وهنا قد يأتيتهم قرناء السوء، وقد يتسلل إليهم الشيطان، أو أعوانه من شياطين الإنس، فيزينون لهم الباطل، ويدعونهم إلى الفساد والرذيلة، وفي غيبة الأبوين قد يحدث ما لا تحمد عقباه.

أفيسوغ لك -يا أخي الكريم-: أن تذهب إلى نافلة، وتترك فريضة؟

أو يذهب الآباء بأولادهم -ذكوراً وإناثاً- إلى مكة، ويكون الأب عابداً زاهداً قائماً مصلياً راکعاً ساجداً في المسجد الحرام، حتى إن منهم من يجلس في المسجد حتى تطلع الشمس، وربما يكون أولاده وبناته يتسكعون في الشوارع ويتعرضون للمارة!! وربما قبض على بعض الأولاد من قبل الأجهزة المختصة، وأبوهم جالسٌ في المسجد الحرام يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس!! وكم

رأينا ممن يتجولن في الشوارع لغير غرض إلا للنظر إلى الغادين والرائحين!! وربما تجد رسالة صدرت من بعض الفتيات أو تجد تعرضاً لبعض الشباب!! وإن كانت حالات قليلة؛ لكن مع ذلك ربما يحدث هذا من عائلات عريقة محترمة، والشيطان لا يستحي من أحد، ولا يُقدَّرُ أحداً، ولا يُوقَّرُ أحداً، ولا يمكن أن يقول: هذه بنت فلان، أو من أسرة فلانية، أو من بلد فلاني. الشيطان يحرص على الجميع؛ لأنه حريص كل الحرص على أن يكونوا رفقاء له في النار -والعياذ بالله!

فهو لا يمكن أن يتورع عن أحد، أو يحترم أحداً، أو يوقر أحداً، أو يستحي من أحد، فليس صحيحاً أن يهتم الأبوان بالطواف حول الكعبة، أو بالصلاة قياماً أو تراوياً، أو بالجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس -وإن كانت هذه كلها أعمالاً فاضلة لا شك في فضلها- ويتركوا رعاية أولادهم وبناتهم، ومراقبتهم والقيام على شئوهم، وأداء الحقوق الواجبة لهم.. هذا لا يسوغ ولا يجوز بحال من الأحوال.

إهمال الصغار وقت التراويح والقيام

كما أننا نلاحظ في هذا الشهر الكريم إهمال الصغار إما إهمال، فالأم -مثلاً- قد تخرج للتراويح أو للقيام، وتترك أولادها، والأب -أيضاً- يأتي للمسجد مبكراً ويترك أولاده، وقد يكونون صغاراً فيختلطون بالكبار واختلاطهم بالكبار قد يكون مدعاة إلى التعود على التدخين -مثلاً- وربما يكون ذريعة إلى تعاطي المخدرات، وربما يرتبطون بشللٍ منحرفة، تزين لهم الفاحشة والرذيلة، وتجرحهم إلى بؤر لا يعلم ما فيها من الفساد والنجاسة إلا الله عز وجل، وربما يتعرض الولد لدس أو دعس بسيارة، وربما يتعرض لاختطاف، وربما يتعرض لألوان من المخاطر، كل واحد منا له أن يتصورها ويعلمها.

فهل صحيح أن تذهب الأم وتترك بناتها، أو يذهب الأب ويترك أولاده؟ كلا! ليس بصحيح، ولأن تصلي الأم في بيتها التراويح أو ما شاء الله لها وتراقب بناتها وأولادها الصغار خير لها من أن تأتي إلى المسجد لتصلي وتترك رعيته التي استرعها الله عليها، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول كما في الصحيحين من حديث ابن عمر: {كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته} فالأب راعٍ والأم راعية، وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته.

عدم توعية الأولاد على العبادات

كما أننا نجد أن كثيراً من الآباء والأمهات لا يحرصون على تعويد أبنائهم على الصيام والقيام والعبادة، فربما تركوا الولد لا يصوم، على رغم أنه قد قارب البلوغ، وربما يبلغ -أحياناً- ولكن لا يلزمونه بالصيام إما شفقةً عليه، أو لضعف شخصية الأبوين وأنهم ما اعتادوا أن يلزموا الولد بشيء، فإذا رفض فلا حيلة لهما حينئذٍ، إن أطاع وانصاع من قبل نفسه، وإلا لم يستطيعوا أن يفرضوا عليه شيئاً.

حتى إنني أعرف حالات كثيرة جداً، وخاصة في أوساط الفتيات، ممن تبلغ ولا تصوم لعدم تربية الأهل، الأم لا تدري أن ابنتها بلغت، أصابها الحيض -مثلاً- أو غيره من علامات البلوغ، وربما تستحي البنت فلا تخبر أهلها، فتظل مفطرة طيلة شهر رمضان، وقد تكون تصوم -أحياناً- وهي حائض؛ لأنها تستحي أن تفطر وتقول لأهلها: إنني حائض، هذا أيضاً لا يجوز؛ لأن صيام الحائض -كصلاة الحائض- لا يجوز، لا يجوز لها أن تنوي الصيام كما أنه لا يجوز لها أن تصلي وهي حائض، وإنما هذا يكون بسبب عدم اهتمام الأبوين وعدم تدريبهم لأبنائهم على الصيام والقيام. كما أننا نجد بعض الذين يأتون بأولادهم معهم إلى المساجد قد لا يهتم بأولاده، فيكون مجيء الولد للمسجد سبباً في إيذائه للمصلين، وارتفاع الأصوات والركض والذهاب والإياب والمجيء، وربما شغل المصلين عن صلاتهم، وحصل من جراء ذلك أمورٌ لا تحمد عقباه.

ضرورة تربية الأولاد منذ الصغر

أيها الإخوة: أولادنا ثروة هائلة في الدنيا والآخرة، وهم بابٌ من باب الجنة لمن عني بتربيتهم ورعايتهم وإصلاحهم، وبرٌّ دارٌ عليك وأنت مؤسّدٌ في قبرك إذا كانوا صالحين، فالله الله -أيها الإخوة- ألا يكون همنا في تربية الأولاد هو أن نسمنهم فقط، أو نكسوهم فقط، أو نلبّي رغباتهم ومطالبهم بالثياب ونحوها، والسيارات وغيرها، كلا ثم كلا! بل يكون همنا أن نربي أولادنا تربيةً حسنة، ولنعلم -أيها الإخوة- أن تربية الأولاد تربيةً حسنة لا تكون بالسوط والعصا، فهذه آخر وسيلة يستخدمها الإنسان إذا لم يُجدِ غيرُها، وإنما ينبغي أن تكون التربية بالسياسة الحكيمة منذ صغرهم، منذ نعومة أظفارهم، بل قبل ذلك.

مما يحكى في الطرائف أن رجلاً جاء إلى أحد العلماء وقال له: أنا عندي وكُلُّ وُلْدِ الْآن، وأريد أن تبين لي كيف أقوم بتربيته، قال: وقد وُلِدَ وَكُلُّكَ الْآن، قال: نعم، قال: هذا فات عليك، لكن أعلمك كيف تربي الذي بعده!! كيف فات وهو الآن ولد؟! قال: نعم فات لأنه ممكن أن أخبرك

بتربية الولد حتى قبل أن تتزوج أمه، والإنسان عندما يأتي أهله فإن الرسول عليه السلام علمه أن يقول: {بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا} -وهذا تربية للولد- فإنه إن يكتب بينهما ولده لم يضره الشيطان {.

وهذه مبالغة لا شك، لكن المقصود أنه كما قيل:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين إذا قومتها الخشب!

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

فإذا لم تربّ ولدك في صغره، ويكون عنده احترام لك وتقدير لشخصيتك وأدب معك وهيبة، فإن هذا الولد قد يفرط منك ويضيع من يدك.

وفي الختام:

اللهم أصلح لنا ذرياتنا يا حي يا قيوم! اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم أصلح شبابنا وفتياتنا، اللهم اجعلهم هداة مهتدين، اللهم أقر بهم عيون آبائهم وأمهاتهم يا أرحم الراحمين، اللهم انفعهم وارفعهم يا حي يا قيوم، اللهم انفع بهم أمتهم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعلهم غصة في حلوق الكافرين والظالمين والمنافقين، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم اهدنا سواء السبيل، اللهم اهدنا سواء السبيل، اللهم وفقنا لطاعتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أيها الإخوة: وبعد صلاة التراويح -كالعادة- سوف نجيب على الأسئلة لمدة عشر دقائق، وأود أن أذكر بأن هذه آخر ليلة، نتكلم فيها في هذا المسجد إن شاء الله، وسنستأنف هذه الدروس في يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، في مسجد الجاسر، وأسأل الله للجميع الهداية والتوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

وصل الصلاة بصلاة

السؤال: هل يجوز أن تصلى النافلة بعد فرض الجمعة مباشرة دون الفصل بينهما بالخروج أو بالكلام؟

الجواب: الرسول ﷺ {نهى أن توصل صلاة بصلاة، حتى يتحدث - يتكلم - أو ينتقل من مكانه ، والحديث ليس بالضرورة أن يكون من كلام البشر؛ فالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والذكر ونحوها هي من الكلام الذي يفصل به بين الصلاة والأخرى.

حكم المذي

السؤال: خلال الوضوء يخرج مني سائل شبيهة بالمذي لا يتوقف إلا قليلاً ويعود، فماذا أفعل؟ وهل الوضوء صحيح أم لا؟ وما الحكم إذا وقع على الملابس، هل ينجسها؟

الجواب: بالنسبة للمذي (وهو سائل أبيض رقيق يخرج عند تحرك الشهوة) فإنه نجس بإجماع العلماء، وخروجه من الذكر يوجب الوضوء، ووصوله إلى الملابس ينجسها ويوجب غسلها، لكن إن كان هذا المذي مع الإنسان مستمراً، فإنه يكون من السلس، فيتوضأ إذا دخل الوقت، ثم يضع على ذكره شيئاً؛ لئلا يصل هذا المذي إلى ملابسه أو بدنه فينجسها، ثم يصلي.

اختلاف النية بين المأموم والإمام

السؤال: رجل فاتته صلاة المغرب ثم أدرك صلاة العشاء وقد فاتته ركعة، هل يصلي المغرب بهذه الركعات الثلاث المتبقية، علماً أنه لن يجلس التشهد الأول في صلاة المغرب؟

الجواب: إذا فاتتك صلاة المغرب، وأدركت قوماً يصلون العشاء، فإنك تصلي معهم، فإن كنت أدركت الصلاة من أولها، فاجلس بعد الثالثة منتظراً للإمام حتى يجلس للتشهد، ثم تتشهد معه وتسلم، وإن كنت قد فاتتك ركعة، فإنك تسلم مع الإمام حينئذٍ.

السؤال: رجل فاتته المغرب ولحق صلاة العشاء، فهل يصلي معهم بنية المغرب فإذا قام الإمام للثالثة جلس للتشهد الأخير، ثم يسلم، ثم يلحق الإمام في الركعة الأخيرة بنية العشاء؟

الجواب: وهذا - أيضاً - لا بأس به، أي لو أن إنساناً فاتته صلاة المغرب، ولم يصلها هي ولا العشاء، وجاء إلى قوم يصلون العشاء، فأدرك الصلاة من أولها، فصلى معهم بنية المغرب، فإذا قام الإمام للرابعة، جلس وتشهد وسلم، ثم لحق بهم في الركعة الرابعة، فكبر معهم بنية العشاء؛ فإنه لا حرج في ذلك - أيضاً.

التحجب عن زوج البنت

السؤال: هل يجوز للمرأة أن تتحجب عن زوج ابنتها؟

الجواب: للمرأة أن تكشف وجهها لزوج بنتها، ولو أنها كانت تستحي منه فحجبت وجهها؛ فإنه لا حرج عليها في ذلك.

حجاب الخادِمات

السؤال: هل يجوز للشغالة أن تتغطي عن صاحب البيت؟

الجواب: الشغالة أجنبية عن صاحب البيت، فلا يجوز لها أن تكشف وجهها أو شعرها له، وبالمناسبة فإنه لا يجوز استقدام الشغالة بدون محرم، ولا يجوز بقاؤها في بلد لا يكون لها فيه محرم.

الزكاة للدين

السؤال: امرأة مدينة بمائتي ألف ريال ببناء سكن لها ولأولادها، فهل يحق لها أخذ الزكاة؟

الجواب: إذا لم يكن عند المرأة ما تسدد به هذا الدين، ولا عند أولادها، وليس لها زوج غني يسدد عنها، فإنه لها أن تأخذ الزكاة لسداد هذا الدين.

الصفرة والكدرة بعد الحيض

السؤال: أنا امرأة غسلت من الدورة بعد سبعة أيام، وصمتُ يومين، فجاءني نجاسة، هل صيام اليومين صحيح؟

الجواب: إذا اغتسلت المرأة عن الدورة، إما بالقصة البيضاء إن كانت ممن تأتيها القصة البيضاء، أو بالطهر التام والجفاف التام، ثم صامت، ثم جاء بعد ذلك نجاسة، فإن هذه النجاسة - كالصفرة والكدرة - لا تعتبر من الحيض، لحديث أم عطية: {كنا لا نعد الصفرة والكدرة بعد الطهر شيئاً} فيوماها اللذان صامتهما صيامها فيهما صحيح، وكذلك تصوم بقية الأيام وتصلي، فإن الصفرة والكدرة ونحوها إذا لم تكن متصلة بالحيض بل انقطع الحيض ثم جاءت الصفرة والكدرة، فإنها لا تعد شيئاً.

الصلاة بالقفازين

السؤال: ما حكم صلاة المرأة وهي ترتدي أو تلبس شراب اليديين (القفازين)؟

الجواب: صلاحها صحيحة، المرأة مطلوبٌ منها أن تستر يديها وقدميها أثناء الصلاة، إما وجوباً عند بعض أهل العلم، أو استحباباً عند آخرين.

صفة الاعتكاف

السؤال: إذا أراد الإنسان أن يعتكف، فما هي طريقته؟

الجواب: طريقته أن يجلس في مسجد، ويلزم عبادة الله تعالى، ويتجنب ما يتجنبه المعتكف، يتجنب الجماع، وأسبابه ودواعيه، ويتجنب فضول الكلام الذي لا فائدة منه، والإطالة بذلك، وإضاعة الوقت، وسائر المحرمات التي حرمها الله تعالى عليه في غير وقت الاعتكاف، وله أن يعتكف في العشر الأواخر أو في غيرها من أيام رمضان، و-أيضاً- له أن يعتكف يوماً أو أكثر من ذلك حسب ما تيسر له؛ فإنه ليس لأقل الاعتكاف حدٌ محدود، لكن أقل ما ورد فيه بالسنة: يومٌ وليلة، أو يوم أو ليلة، كما قال عمر: {يا رسول الله! إني نذرتُ أن اعتكف يوماً-وفي رواية ليلة- وفي رواية يوماً وليلة} وقال كثيرٌ من أهل العلم أنه لا حد لأقله.

السؤال: ماذا يفعل عند الاعتكاف؟ وما هي الأذكار الواردة؟

الجواب: لا يفعل إلا لزوم المسجد بهذه النية.

الطريقة المثلى في حفظ القرآن

السؤال: ما هي الطريقة المثلى في حفظ القرآن الكريم؟

الجواب: التزام قدر معين، حزب معين، كوجه -مثلاً-، يحفظه يومياً، ثم يلتزم بطريقةٍ للمراجعة، يستطيع أن يراجع بها كل ما سبق منه، ويتعهد هذا القرآن يوماً بعد يوم.

التدرب على الإمامة

السؤال: أنا شابٌ ملتزم -ولله الحمد والمنة- وأقوم بجميع الأشياء من الفروض والسنة، لكن عندي عقدة وهي الخجل، وعندما أريد إمامة المصلين في المسجد ينتابني أشياء من الاضطراب في القلب والعرق، يسبب لي إحراجات كثيرة، وعدم انضباط السور، وأحفظ من القرآن شيئاً كثيراً، فما هو العلاج؟

الجواب: هذا قد يعود إلى سوء التربية في الصغر، وإلى عدم تدريب الإنسان نفسه، ولعل من أهم العلاجات لذلك أن يتدرب الإنسان على هذا، فإن هذا كغيره من الأشياء التي تحتاج إلى قدرٍ من الشجاعة والجرأة الأدبية، لا يمكن للإنسان مهما استمع إلى النصائح والمحاضرات والدروس والتوجيهات أن يزيلها من قلبه إلا بأمور منها الاستعانة بالله جلّ وعلا، والتوكل والاعتماد عليه،

ثم بداية التدريب على ذلك شيئاً فشيئاً، فيحاول أن يؤم المصلين، ولو في صلاةٍ سرية -مثلاً- ولو في مسجد لا يكثر المصلون فيه، شيئاً فشيئاً، ثم يحاول أن يقرأ على المصلين من بعض الكتب التي فيها وعظٌ وتذكير، ثم يحاول أن يلقي بعض الكلمات اليسيرة عليهم ولو من ورقة، وهكذا حتى يتدرب على هذا الأمر.

العجب بالعمل

السؤال: كيف أخاف النفاق، وكيف تتعاطم ذنوبي عند نفسي مثل السلف الصالح، ونفسي تقول أنت إنسانٌ زكي، وأنا أقول: لا، وأنا شاب ملتزم، كيف يمكن ذلك؟

الجواب: أولاً: على العبد أن يكون له مقامات، منها: أن يتذكر عظيم إحسان الله تعالى إليه، وأنه كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] حتى نعم الدين من العبادات والطاعات التي وفقك الله إليها فهي من الله عز وجل، وهي نعمة تحتاج إلى شكر، هذا مقام لا بد أن تتذكره.

ثانياً: لا بد أن تتذكر مقاماً آخر، وهو: أن الطاعات إذا دخلها شيءٌ من الإعجاب والغرور بها؛ فإنها قد تكون سبباً في جبوطها، وبالتالي ليس للإنسان أن يفاخر أو يباهي بها أو يعتبرها زكاة لنفسه؛ لأنها تورده النار لا تورده الجنة، إذا قارن العبادة شيءٌ من العجب أو الغرور والإدلاء بها على الله جل وعلا.

ثالثاً: هو أن تتذكر عظيم تقصيرك في حق الله تعالى، وأنت لو قضيت حياتك كلها راععاً أو ساجداً ما أدت شكر نعمة الله ولا قمت بفروض الطاعة له، فكيف تدلي بشيءٍ من العبادات التي أوجبه الله تعالى عليك؟! يحتاج الإنسان أن يراجع قلبه كثيراً في مثل ذلك.

إهداء العمل للميت

السؤال: ورد عن الرسول ﷺ أنه قال -فيما معناه-: {من صلى الصبح، ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت كحجةٍ وعمرةٍ} هل يجوز إهداء هذا العمل للأحياء والأموات؟

الجواب: أنت أحق وأولى بهذا العمل من الأحياء والأموات، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وحيثُ فعلَى

الإِنسان أن يكون هذا العمل لنفسه، أما الأحياء والأموات فعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصالحات.

طاعة الرسول سبب لدخول الجنة

السؤال: قال الرسول ﷺ: { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: ومن يَأبي يا رسول الله؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أباي } كيف يكون ذلك؟
الجواب: نعم؛ لأن معصية الرسول ﷺ، هي رفضُ لدخول الجنة، وطاعته هي سببٌ إلى الجنة، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

التخفيف من المعاصي

السؤال: هل حلق اللحية يكون سبباً في منع دخول الجنة، وكذلك مشاهدة التلفاز وما فيها من مسلسلات وأفلام وغناء وطرب؟
الجواب: هذه كلها من المعاصي التي يستغفر العبد ربه منها، فيستغفر العبد ربه من كل المعاصي صغيرها وكبيرها.

حل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذرُ ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً إنَّ الجبال من الحصى

وإن الذنوب الصغيرة لا تزال بالرجل حتى تورده النار -والعياذ بالله!- ولا تزال بالرجل حتى تهلكه، فعلى العبد ألا يحتقر شيئاً من ذنوبه، صغيرها أو كبيرها، وهذه الذنوب التي ذكرها السائل، منها الصغائر ومنها الكبائر، فعلى العبد أن يتوب إلى الله تعالى منها، وأن يحرص ألا يلقي الله تعالى مرتكباً لكبيرة، ولا مصراً على صغيرة، وعلى العبد أن يكثر من الاستغفار لله عز وجل في كل حال.

إجابة دعوة من مال حرام

السؤال: من هدي الرسول ﷺ إجابة الدعوة، لكن إذا دعيت إلى الإفطار في رمضان، ودعاني شخصٌ يعمل حارساً في أحد البنوك، هل أجيب الدعوة، أو أرفضها؟

الجواب: إن كان هذا الحارس ليس له دخلٌ إلا راتب البنك؛ فلا تجب هذه الدعوة، أما إن كان له دخل آخر، كأن يكون عنده دكان، أو عنده أعمالٌ أخرى مباحة، فلا بأس بالأكل من طعامه أو شرايه.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، ووقفنا لخير الدنيا والآخرة، يا رحمن يا رحيم! اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أخطاء شائعة في الصيام

أخطاء شائعة في الصيام

تكلم الشيخ حفظه الله تعالى في هذا الدرس عن مواضيع مهمة شائعة بين الناس: عن الصيام وأحكامه، فبدأ بما انتشر عن بعض الناس من أن الامتناع عن الطعام من الليل للشخص موجب دخوله في الصيام، وعرض على مسائل مثل حيض المرأة ومنعه أو تطهرها فجأة، وعن الجنابة قبل الفجر، وحكم العاجز عن الصيام، وأثر السواك وخروج الدم على الصائم، ثم ختم حديثه بدعوة إلى التبرع للمسلمين المنكوبين في البوسنة والهرسك.

الامتناع عن الطعام والشراب قبل الفجر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأتباعه وأصحابه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد ذكرتُ في آخر ليلة من الدروس التي كنت ألقيتها في مسجد الشيخ محمد المحسني، أحكاماً تخص الصوم، وكان آخرها ما يتعلق ببعض الأخطاء المشهورة عند الصائمين، وقد ذكرت من هذه الأخطاء:

أولاً: اللزوم قبل الفجر، وأن بعضهم يلزم أو يستأقند - كما يعبر العوام - قبل الفجر، ثم يظن أنه لا يصح له أن يأكل أو يشرب بعد ذلك حتى ولو أعجبه طعام أو شراب.

والصواب أن للصائم أن يأكل ويشرب ويفعل ما شاء من المباحات إلى أن يطلع الفجر، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

حيض المرأة بعد غروب الشمس

ثانياً: أن كثيراً من النساء تعتقد أنها إذا حاضت قبل صلاة المغرب، أو بعضهن تعتقد أنها إذا حاضت قبل العشاء فإن صومها غير صحيح، حتى ولو كانت قد غربت الشمس عليها وهي طاهرة! والصواب أن المرأة إذا غربت الشمس وأذن المغرب عليها وهي طاهرة، فصومها صحيح، سواء أصلت المغرب، أم أتاها الحيض قبل الصلاة، أم صلت العشاء، أم أتاها الحيض قبل الصلاة، فصومها صحيح في هذه الأحوال كلها، وبعض النساء تقول: لم أدر إلا بين المغرب والعشاء حينما

نظرت فوجدت أنني قد حضت، ولا أدري متى أتاني الحيض؟ فلم أكن أعلم أي حضت قبل ذلك، فهذه المرأة أيضاً صومها صحيح؛ لأن الأصل أن يومها قد تم لها، ويحتمل أن الحيض ما نزل عليها إلا في تلك اللحظة التي نظرت إلى نفسها فيها.

وقت الفطر في السفر

ومن الأخطاء المشهورة عند الناس أيضاً: أن بعضهم يعتقدون أنهم إذا نواوا السفر، حق لهم الفطر حتى قبل أن يسافروا فعلاً، والصواب أن الصائم لا يجوز له أن يفطر، لا على أكل، ولا شرب، ولا جماع، ولا غير ذلك، إلا إذا سافر فعلاً، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [النساء: ٤٣] أي: متمكن من السفر واقع فيه، أما مجرد نية السفر، فإنها لا تبيح للإنسان أن يترخص برخصه.

دخول الفجر والإنسان جنب

كذلك: {اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا، ما أبقيتنا، وأحييتنا واجعله الوارث منا} ما معنى قوله: { واجعله الوارث منا }؟ نحن نردها في كل قنوت، قد لا يكون أحد تفتن إلى معناها. معنى قولك: { واجعله الوارث منا } أي: يا رب إذا ضعفت قواي، وتناقصت من المرض، من الكبر والعجز أو غير ذلك؛ فاجعل سمعي وبصري وقوتي في جسمي، هي آخر ما يفقد مني، ومتعني بها إلى أن أموت، فأنزلها منزلة الوارث، وذلك لأن الوارث هو: من يبقى بعد موت مورثه، فكذلك جعل هذه القوة التي هي السمع والبصر، جعلها بمنزلة الوارث الذي تضعف قوى الإنسان كلها، ويبقى السمع والبصر محفوظاً كأنه يرث الإنسان أي: يبقى معه إلى آخر عمره، فقوله: { واجعله الوارث منا } أي: اجعلها بمنزلة الوارث الذي يبقى بعد زوال غيره. وقال بعضهم: إن قولك: { واجعله الوارث منا } وهذا جاء في الحديث أي وهو: { اجعلها في أعقابنا وذرياتنا من بعدنا } والمعنى الأول هو الأولى والأحسن والأظهر والله أعلم.

تعمد المرأة إيقاف الحيض في رمضان

السؤال: عمن تناولت مانعاً من موانع الحمل، أو موانع الحيض، فتوقف عنها الدم في رمضان، وقصدها في ذلك أن تواصل الصيام مع المسلمين أو أن تصلي معهم أو أن تعتمر، فما حكم ذلك؟.

الجواب: أن هذا العمل جائز، إذا كان لا يضر بصحة المرأة، فإنه يجوز لها أن تتناول مانعاً من موانع الحيض، حتى تواصل الصيام أو تواصل الصلاة مع الناس أو حتى تعتمر، فلا حرج عليها في ذلك إن شاء الله، وإن لم تفعل فهو خيرٌ لها وأفضل وتركت الأمر على طبيعته، وهو أصح لبدنها، وأبعد للعادة والحيض من الاضطراب الذي يصيب كثيراً من النساء.

ومما ينبغي أن يعلم أيضاً أن المرأة إذا تناولت مانعاً ثم توقف عنها الدم؛ فإنها تصوم حينئذٍ، وصومها صحيح، وليس عليها صيام ذلك اليوم أو تلك الأيام فيما بعد، فإذا صح صومها في ذلك اليوم، ولم يأثم دم منذ طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فمن الذي يقول أن عليها أن تقضي ذلك اليوم بعد رمضان؟ هذا لا يصح أبداً، بل هو صوم صحيح كاملة شروطه، فلا حاجة لقضائه، ولا يشرع؛ بل لا يجوز قضاؤه، وإنما إن أحببت أن تتنفل بما شاءت فلها ذلك، أما ذلك اليوم، فصيامه صحيح، ولا قضاء عليها.

العاجز عن الصيام

ومن هذه المسائل أيضاً مسألة من عجز عن الصيام، لمرض لا يرجى برؤه أو لكبرٍ في سنه وهمر وشيخوخة، فإن مثل هذا الإنسان إن عجز عن الصيام أو وجد في ذلك مشقة شديدة فعليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وما في معناهما، فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً، وهذا الإطعام يستوي فيه أن يطعم كل يوم بيومه، أو أن يؤخر ذلك إلى ما بعد نهاية شهر رمضان، فإن ذلك سيان، وسواء أأطعمهم طعاماً مطبوخاً جاهزاً أم أطمعهم غير ذلك، فلا بأس بهذا، وينبغي أن يراعى ما يكون أحب للفقراء وأدعى إلى قضاء حوائجهم.

أما بقية هذه المسائل المتعلقة بالأخطاء المشهورة فمنها:-

تبييت نية الصيام من الليل

أولاً: أن بعض الناس يسمعون أنه لا بد من تبييت النية من الليل لصيام الفرض، وهذا صحيح؛ فإن صيام الفريضة كصوم رمضان والنذر والكفارة لا بد فيها من تبييت النية، أي: لا بد أن ينوي

الإِنسان من الليل أنه سوف يصوم غداً، وذلك لقوله ﷺ في حديث عُمر المتفق عليه: {إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى} والحديث الآخر في السنن وهو صحيح: {لا صيام لمن لا يبيت الصيام من الليل} لكن بعضهم يعتقد أن تبيت النية لا بد فيه أن يستيقظ قبل الفجر، فلو أن أحدهم نام في الساعة الثانية عشرة ليلاً أو في الواحدة ليلاً، ثم لم يستيقظ إلا بعد طلوع الفجر، ظن أنه لا يجزئه صيام ذلك اليوم، يقول: لأنني لم أبيت الصيام من الليل، وينسى هؤلاء أو يجهلون أن الليل يدخل بغروب الشمس، ثم إن بعض هؤلاء يجهلون أيضاً معنى تبيت النية، ويبالغون في ذلك ويدخل عليهم الوسواس، والصواب أن المسلم الذي جرت عاداته بصيام رمضان فهو لم يفطر منه شيئاً قط، يكفيه أن يحظر الصوم على باله، فإن هذا يصير ناوياً للصيام مستحضراً له، فهو ما نوى الفطر وقطع الصوم، وإنما نوى أن يصوم لله تعالى منذ دخول الشهر، وهذه نيته، أما المبالغة في ذلك والإسراف والوسوسة، فإنها من كيد الشيطان الذي ينبغي للإنسان أن يسعى في دفعه ما استطاع.

السواك في رمضان

ثانياً: أن كثيراً من الناس يتجنبون السواك في نهار رمضان كله، وهذا خطأ؛ لأنه لا تعارض بين السواك والصيام، والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين: {لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة} والحديث الآخر: {لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء} إذا فالصواب أنه يشرع للصائم أن يستاك كما يشرع لغيره، أما في صلاة الفجر وفي صلاة الضحى، وما أشبهها فهو مشروع عند سائر أهل العلم، وكذلك الوضوء في أول النهار، وما أشبه ذلك مما يقع قبل الزوال، أما ما يقع بعد الزوال، فقد ذهب بعض أهل العلم أنه لا يشرع، لحديث علي رضي الله عنه: [[إذا صمتم فاستاكوا بالعادة، ولا تستاكوا بالعشي]] يعني استاكوا في أول النهار ولا تستاكوا في آخره، لكن هذا الحديث -حديث علي رضي الله عنه- ضعيف جداً، فقد رواه البيهقي والدارقطني وغيرهما، وسنده في غاية الضعف، فلا يحتج به، وقد عارضه حديث آخر وهو إن كان ضعيفاً أيضاً، إلا أنه خير من حديث علي رضي الله عنه وهو: {رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يستاك وهو صائم} ويغني عن هذين الحديثين قوله ﷺ: {لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة} أو {عند كل وضوء} فيدخل في ذلك

الصلاة والوضوء للصائم وغير الصائم، قبل الزوال وبعد الزوال، فيدخل في هذا الحديث السواك لصلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والوضوء لهذه الصلوات كلها.

مواضع السواك

وكذلك يستحب للإنسان أن يستاك في مواضع أخرى، فإن المواضع التي يشرع للصائم وللإنسان أن يستاك فيها ستة مواضع:-

الموضع الأول: عند الصلاة لقوله ﷺ: {عند كل صلاة}.

الموضع الثاني: عند الوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام: {عند كل وضوء}.

الموضع الثالث: عند قراءة القرآن، وقد جاء في هذا أحاديث عن علي وغيره رضي الله عنه: {إن أفواهم طرق القرآن فطيبوها بالسواك} وهذه الأحاديث لا يخلو شيء منها من مقال، ففيها ضعف.

الموضع الرابع: عند دخول المنزل، لما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: [[أما سئلت بأي شيء يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك]].

الموضع الخامس: عند تغيير رائحة الفم، لقوله ﷺ: كما في سنن النسائي وغيره بسند صحيح: [[السواك مطهرة للفم مرضاة للرب]] ففي قوله مطهرة للفم دليل على أن السواك يشرع لتطهير الفم وتنظيفه.

الموضع السادس: هو عند الاستيقاظ من النوم، لحديث حذيفة المتفق عليه {أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ من النوم يشوص فاه بالسواك} إذن ينبغي للإنسان أن يستاك في هذه المواضع الستة سواء أكان صائماً أم كان غير صائم. أما ما يظنه بعضهم من قول النبي ﷺ: {لخلوف فم الصائم أطيب عند الله - تعالى - من ريح المسك} وأنه يعارض ذلك أن يستاك الإنسان، فهذا ليس بجيد: أولاً: لأن الخلوف هو من المعدة، وهو رائحة تنبعث من المعدة بسبب خلوها من الطعام؛ وليس من الفم، إذا فالسواك لا يزيل الخلوف ولا مدخل له فيه.

ثانياً: أن كثيراً من العلماء قالوا: إن هذه الرائحة هي عند الله تعالى، {لخلوف فم الصائم عند الله تعالى} بل جاء في بعض الأحاديث {يوم القيامة}.

إذاً لا تعلق لذلك بأمور الحياة الدنيا، والسواك لا يضر ذلك؛ بل هو يزيد رائحة الفم عند الله تعالى طيباً إلى طيب، فإن السواك أيضاً هو مما يرضي الله عز وجل، وهو مما أمر الله -تعالى- به على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام.

بقاء أثر السواك في الفم

وأما إذا بقى في فم الإنسان شيء من أثر السواك فعليه حينئذٍ أن يزيله، دون أن يفضي به ذلك إلى وسوسة، فإن كثيراً من الناس يشقون على أنفسهم، ويبالغون، ويشددون، فيشدد الله تعالى عليهم، وربما يتلون بالوانٍ من البلايا والمصاعب؛ بسبب مبالغتهم في ذلك، فيبالغ الواحد منهم -مثلاً- في إخراج بقايا السواك من فمه، أو يبالغ في إخراج حتى الريق من فمه، فإذا تعقد ريقه حاول إخراج، وشق على نفسه، وبعضهم يجد مشقة عظيمة في المضمضة والاستنشاق، وكل ذلك من الآصار والأغلال التي وضعها الله تعالى عن هذه الأمة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فكل الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة قد وضعها الله عن هذه الأمة، فينبغي علينا -عباد الله- أن نيسر على أنفسنا وغيرنا في هذه الأمور.

خروج الدم من الصائم

ثالثاً: أن بعض الناس يظنون أن خروج الدم من الجرح ولو كان دماً يسيراً يفسد الصيام؛ بل بعضهم يظن أنه إذا جرح -حتى ولو لم يخرج الدم ولم يتجاوز موضع الجرح- يظنون أن ذلك يفسد الصيام، وهذا أيضاً غير صحيح، ولا دليل على ذلك، ولعل بعض الناس فهموا ذلك من مسألة الحجامة، وقاسوه عليها، والأمر مختلف؛ فإن هذا الجرح الذي أصاب الإنسان هو عن غير تعمد؛ بل قد يكون الجرح وقع عليه من غير قصد، فلا يؤثر؛ لهذا قال النبي ﷺ فيما يتعلق بالقيء: {من استقاء عامداً فَلْيَقْضِ، ومن ذرعه القيء فلا قضاء عليه} والحديث رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح، كما قال ابن تيمية رحمه الله، وغيره من أهل العلم، فإذا تعمد الإنسان القيء بيده، بأصبعه، أو بشم شيء، تعمد ذلك من أجل أن يقىء، فهذا عليه القضاء، أما

من ذرعه القيء وأصابه من غير قصد، سواء أكانت امرأة حاملاً أم كان رجلاً أم غير ذلك، أو شم روائح من غير قصد، فحصل منه القيء، فهذا عليه أن يخرج ما في فمه، وصومه صحيح، وهكذا الحال بالنسبة للدم، فحتى على القول بأن الحجامة وهي: إخراج الدم عن طريق المحجام أنها تفتطر الصائم، فإن الجرح الذي يصيب الإنسان من غير قصد، ويكون الدم فيه يسيراً، وربما لا يتجاوز موضع الجرح، فإن ذلك لا يفطر الصائم.

الحجامة

أما بالنسبة للحجامة؛ فقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الحجامة تفتطر الصائم، ونقل هذا عن جماعة من الصحابة، وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه وغيره، وقال به الإمام أحمد -رحمه الله- وجماعة من الأئمة والسلف، ومن أقوى أدلتهم قوله صلى الله عليه وسلم: {أفطر الحاجم والمحجوم}.

وذهب جمهور أهل العلم، وهو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة، وجماعة قبلهم من الصحابة والتابعين، فهو مذهب أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وأم سلمة وجماعة من التابعين، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، والثوري وغيرهم، فهؤلاء يرون أن الحجامة لا تفتطر الصائم، وأن قوله ﷺ: {أفطر الحاجم والمحجوم} منسوخ بأدلة كثيرة قوية منها: فعله ﷺ كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: {احتجم النبي ﷺ وهو صائم} ومثله حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ: {أرخص في الحجامة للصائم} وقوله رضي الله عنه "أرخص في الحجامة" دليل على أن هذا الحكم كان قبله منع، فإن الرخصة تكون بعد عزيمة وبعد منع، فالظاهر -والله تعالى أعلم- أن الحجامة لا تفتطر الصائم، وعلى الإنسان أن يحرص ألا يحتجم في نهار رمضان؛ من أجل الخروج من الخلاف وإبراء الذمة واطمئنان القلب، فإنه لا حرج عليه قط عند أحد من أهل العلم أن يؤخر الحجامة إن احتاج إليها أن يؤخرها إلى الليل.

ومثل ذلك أيضاً: ما يسمى اليوم بالتحليل، فإذا كان يمكن تأجيل التحليل إلى الليل، أعني تحليل الدم، فهو أولى من أجل براءة الذمة، لكن لو كان ذلك غير ممكن فحلل الإنسان الدم في نهار رمضان فإن صومه صحيح، ولا قضاء عليه ما دام لم يفطر، أما إن أفطر فإن بعض التحليلات يقولون له: لا بد أن نأخذ الدم وأنت صائم، ثم نأخذه وأنت مفطر، فحينئذ لا يجوز له أن يحلل في نهار رمضان، بل عليه له أن يؤجل التحليل إلى الليل، اللهم إلا أن يكون ذلك لازماً ولا بد منه

لضرورة، فحينئذٍ يحلل؛ وعليه أن يقضي ذلك اليوم الذي أفطر فيه، هذا مع أن التحليل هو في الغالب دم يسير لا يقاس بالحجامة التي يخرج فيها من المريض دمٌ كثيراً.
إذاً الخلاصة في هذه المسألة: أن خروج الدم من الصائم بجرح لا يؤثر في صيامه - إن شاء الله تعالى -.

أمّا الحجامة فبعض أهل العلم قال: إنها تفطر؛ استدلالاً بحديث: {أفطر الحاجم والمحجوم} والجمهور قالوا: لا تفطر؛ استدلالاً بحديث ابن عباس {احتجم صلى الله عليه وسلم وهو صائم} وبحديث أبي سعيد الخدري {أرخص النبي ﷺ بالحجامة للصائم}، أما بالنسبة للتحليل فإنه لا يفطر، وإن أمكن تأجيله إلى الليل فهو أحوط وأولى.

دعوة للتبرع

أيها الإخوة.. هذه هي معظم المسائل المتعلقة بالأخطاء المشهورة بالنسبة للصائمين، وقبل أن أغادر هذا المكان، أود أن أقول لكم: إننا سنعمل في كل ليلة على أن نجتمع على ما تيسر من أموال المسلمين؛ لدعم ومساعدة إخوانهم في كل مكان، وفي هذه الليلة سوف يتم الجمع بعد نهاية صلاة التراويح مباشرةً لصالح إخوانكم المسلمين في البوسنة والهرسك، وأرجو منكم -أيها الإخوة والأخوات- أن تبذلوا ما تجود به أنفسكم في هذا السبيل، فإن الأمر عظيم والخطب جليل، والكارثة التي ألمت بالمسلمين هناك لا تكاد توصف، أما بالنسبة لكم أتم أيها الرجال، فلتعلموا أن أمثالكم من الرجال الأشداء الأقوياء هناك يتحرقون إلى قطعة سلاح يدافعون بها عن أنفسهم، وعن أعراضهم، وعن بلادهم، فلا يستطيعون، وفي البوسنة والهرسك أكثر من مائة ألف شاب أقوياء؛ الواحد منهم لو أردت منه أن يهد جداراً لفعل، لكنه لا يملك قطعة سلاح يدافع بها عن نفسه، وربما لو تمكنوا من عشرات الملايين من الدولارات لاستطاعوا أن يحرقوا كل شبر في بلادهم.

والله لتسألن عن هذا الأمر أيها الأحبة، فعليكم أن تقفوا مع إخوانكم في الدعم بقدر ما تستطيعون، أما أنتن -يا معشر النساء- فلكن أن تتذكرن الكلام الذي قلناه مراراً؛ أن أكثر من مائة وعشرين ألف مسلمة قد انتهكت أعراضهن بالاغتصاب؛ بل أحياناً بالاغتصاب الجماعي، من هؤلاء الوحوش الخنازير، أعداء الإسلام النصارى الصليبيين، أكثر من مائة وعشرين ألف فتاة ما بين السادسة إلى السبعين من عمرها، منهن أكثر من ستين ألفاً حوامل!! وإذا حملت المرأة

احتجزوها في معسكرات حتى لا تتمكن من إسقاط الحمل!! يريدون أن تلد وتنجب أولاداً من النصرارى حتى يلاحقها الذل والعار إلى الموت.

وبالأمس نشرت الصحف مجموعة لرجال ونساء عرابة من المسلمين في معسكرات الأسراب، لم يبق من واحد منهم إلا جلد على عظم، وهم يمشون مثل الكلاب على أقدامهم وركبهم وأيديهم مطأطي الرعوس ترهقهم الذلة وتغاشهم الكآبة، ووراءهم جنود الصرب، أسلحتهم مشهورة إلى رعوس المسلمين، يطلبون منهم أن يزحفوا زحفاً طويلاً بهذه الطريقة، وعلى الجليد والثلج، وفي وسط المخاوف، وكل من أبدى تردداً أو عجزاً أو ضعفاً أو لم تحمله رجلاه فإنهم يصوبون السلاح إلى رأسه، لقد تخلى العالم كله عنهم وبقيتم أنتم يا أهل التوحيد، يا أهل لا إله إلا الله، فيجب عليكم أن تقفوا معهم، اصدقوا الله تعالى.

إنني أعجب! وحق لي أن أعجب أن نطالبكم بالبدل، ثم نلظ ما حصيلة هذا الجمع في مسجد ضخم كبير كهذا المسجد المبارك، يحضره ألوف بل ربما عشرات الألوف، فإذا نظرنا وجدنا أربعين ألف ريال، سبحان الله حتى الزكاة يجوز أن تدفعها لهؤلاء المسلمين، والنهاية أربعون ألف ريال، ما الذي يجعل النصرارى وهم أهل شرك وتثليث وإلحاد ولا يرجون من الله شيئاً، ومع ذلك يجمعون مئات الملايين من الدولارات؟! وأنتم أيها المسلمون تتراجعون وتتأخرون!..

ما الذي يجعل أولاد النصرارى يأتون من روسيا؟! وقبل أمس جاء في الصحف أن أكثر من عشرة آلاف شاب أرثوذكسي من النصرارى من القوميين المتعصبين الروس، ينضمون إلى القتال في صفوف الصرب، يشدون عزائم إخوانهم من أهل الكتاب، أما المسلمون؛ فعدد المسلمين الذين يقاتلون هناك إلى جوار إخوانهم يقدر بالمئات!! دعك من القتال بالنفس، نحن لا نطالبك الآن أن تجاهد بنفسك، إنما نطالبك أن تجاهد بمالك، وما نريده منك ليس مائة ريال أو ألف ريال، بل نقبل منك حتى الشيء اليسير {ولا تحقرن من المعروف شيئاً}.

وأنت أيتها المسلمة لا تحقري من المعروف شيئاً ولو من حليكن كما قال ﷺ: {والمرء في ظل صدقته يوم القيامة}.

والرسول ﷺ يقول: {سبق درهم ألف درهم}، {وإنما الأعمال بالنيات} ولو ريالاً، فإن فيه خيراً كثيراً - إن شاء الله - لكني أطالب أهل الغنى والجدة واليسار أن يتقوا الله تعالى في إخوانهم، والله ثم والله لسوف تسألون عنهم، يستصرخون بكم ويستنجدون ويصيحون، والعالم الغربي

الكافر يجد نفسه مضطراً إلى أن يظهر الغضب والانزعاج، ويقف ولو إعلامياً إلى حوار المسلمين؛ ثم يخذلهم إخوانهم المسلمون!!

أعرف ماذا يقول بعضهم! يقولون: المسألة طالت وما بأيدينا شيء، هذا أمره عند الله تعالى ولو طالت نحن لا نطالبك بشيء من نفسك: ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

نحن نقول لك أخرج الزكاة يا أخي، أنت تعطي زكاتك لفلان، وقد يكون محتاجاً ولكن ما هي حاجته؟! سيشتري أشياء إضافية للمنزل أو ما أشبه ذلك، وربما عليه ديون قابلة للتأجيل، وربما يكون بعض الكماليات، وربما امرأة تشتري بها ذهباً تتجمل به أو تحمل به بناتها، ولكن أمامك الآن ناس يموتون جوعاً وعطشاً ومرضاً في الصومال، وأمامك مصائب أمم بأكملها، وكوارث حلت بشعوب تقدر بالملايين، أفلا تعقل؟! أفلا تدرك؟! أتقيس مأساة فرد بمأساة أمة؟! ومصاب بيت بمصاب شعب بأكمله.

إنني أطلبكم أيها الإخوة المسلمون وأيتها الأخوات المؤمنات: أطلبكم مجدداً أن تصدقوا الله تعالى في هذه الليلة بالذات، ولعله ألا يخرج الواحد منكم - بإذن الله تعالى - إلا وقد غفر له بصدقة نوى بها وجه الله تعالى، لا يعلم بها أحد، تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه: ﴿وَأَنْ تَحْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] وربما ينصر الله إخوانكم المسلمين بهذا المال، وأؤكد لكم أننا وغيرنا من الذين يجمعون التبرعات نستطيع بحمد الله تعالى أن نوصلها إلى المسلمين هناك، وتسد فاقاتهم وفقرهم، ونشتري بها الأطعمة، والحليب، والملابس، والأغذية، والأكسية، والسلاح، وكل شيء ممكن بالمال، كل شيء ممكن.. المشكلة الوحيدة هي المال...!

ويا معشر النساء: أَدْعُو كُنْ إِلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ مِنْ حَلِيكِن، وأنبه بعض الشباب أنه بمجرد أن تنتهي صلاة الوتر عليهم أن يقفوا على الأبواب، ويحرصوا على جمع ما تجود به نفوس إخوانهم، وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى في هذه الساعة المباركة وفي هذه الليلة المباركة، لكل من تصدق وأنفق مما يستطيع ولو بالقليل، أن يجعل الله تعالى ذلك له صححةً في بدنه، وطولاً في عمره، وسعةً في رزقه، وعافيةً وعفواً في الدنيا والآخرة، وصلاحاً في ولده، وسعادةً في قلبه، ورفعاً في درجاته؛ إنه تعالى على كل شيء قدير.

الخاتمة:

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأعنا ولا تُعن علينا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم يسرنا لليسرى،
وجنبنا العسرى، واغفر لنا في الآخرة والأولى. اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين،
اللهم أصلحنا يا مصلح الصالحين، اللهم أصلح فساد قلوبنا، اللهم أصلح فساد قلوبنا، اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الأسئلة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

الذهاب إلى الجهاد دون إذن الوالدين

السؤال: ما رأيكم في الذهاب إلى البوسنة والهرسك للجهاد، هل يستأذن الإنسان والديه، علماً بأنهما لم يوافقا على ذلك، لقد وجهت السؤال أكثر من مرة إليكم، السائل مسلم من مصر؟

الجواب: لا يجوز الجهاد إلا بإذن الأبوين، وفي الحديث الصحيح أن رجلاً جاء من اليمن إلى النبي ﷺ، فقال له: {أحيي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد}. وفي رواية أنه قال: {يا رسول الله جئت إليك من اليمن، وتركت أبوي يبيكان قال: ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما}.

وفي صحيح البخاري أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن أفضل الأعمال؟ قال: {إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله}. لكن بإمكان الأخ أولاً أن يذهب إلى الدعوة هناك والتعليم، فإنهما من أعظم ألوان الجهاد، وهم أحوج ما يكونون إلى من يعلمهم دين الله عز وجل، فقد خرجوا من جحيم الشيوعية التي سيطرت عليهم أكثر من أربعين سنة، كما أنه بإمكان الأخ أن يجاهد معهم بالمال. وقد كتب بعض الإخوة ورقة يقول فيها: لو أن بعض الشباب قاموا بجمع التبرعات من أحيائهم، أو جماعة في مسجدهم، أو زملائهم في العمل، وأقول: هذه فكرة طيبة جداً، لنفرض أن ألفاً من الإخوة الذين يستمعون إلى هذا الكلام الآن، جند كل واحدٍ منهم نفسه أن يجمع ما استطاع من التبرعات خلال هذا الشهر، إما من جماعة المسجد الذي يصلي فيه، أو من زملائه في الفصل، إذا أخذوا الراتب إن كان ثمة راتب، أو من أقاربه، أو يذهب إلى بعض التجار ويطلب منهم حتى لو كانوا لا يعرفونه، فأقلهم سوف يعطيه ألف ريال على الأقل من باب المجاملة. فإذا كان ألف شاب، جمع لنا كل واحدٍ منهم ألف ريال، فمعنى ذلك أننا جمعنا مليون ريال بكل سهولة ويسر، وعلى الإنسان ألا يحقر من العمل الصالح شيئاً.

الجمع من غير خوف ولا سفر

السؤال: ما رأيك في شرح الحديث الذي في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الظهر مع العصر، وجمع المغرب مع العشاء، من غير عذرٍ أو مرض؟

الجواب: الحديث ليس كذلك من غير عذرٍ، ولكن فيه كما رواه ابن عباس: {من غير خوفٍ ولا سفر - وفي رواية - ولا مرض وسئل عن ذلك ابن عباس رضي الله عنه، فقال: أراد ألا يخرج أمته} فدل على أنه فعل ذلك لدفع الحرج عنهم، وجهاهير أهل العلم على أنه لا يجوز جمع الصلاة إلى الأخرى، إلا لحاجةٍ أو عذرٍ، إما مرض أو سفر أو خوف أو ريحٍ شديدة، أو ما أشبه ذلك من الأسباب المبيحة لجمع الصلاة إلى الصلاة الأخرى.

حادث شنيع في مساجد الرياض

السؤال: هل صحيحٌ ما يقال أنه في بعض مساجد الرياض قد كتب كلام فيه سبُّ الله سبحانه وتعالى؟ وما يفعل تجاه هؤلاء؟

الجواب: نعم، هذا صحيح! وقد كتب به إليَّ بعض الشباب الذين أعرفهم وهم ثقات، وشاهدوا هذه الكتابات بأعينهم، وفيها سب لرب العالمين في محاريب المساجد والعياذ بالله تعالى! ويبدو أنها في أكثر من مسجد، وهذه قد تكون حدثت من الذين يحاربون الله ورسوله، ويستفزون المسلمين، ويحاولون أن يثيروا مشاعرهم خاصةً في هذا الشهر الكريم، وإذا كان هذا حدث فمن شخصٍ مجهول، وفي مكانٍ خاص، وهو لا شك من الأمور الفظيعة العظيمة التي تكاد السماوات أن تتفطر منها، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، نعم، أقول ذلك؛ لأن الله تعالى قال هذا فيمن ادعو الله تعالى ولدا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]

أقول: إن الكلام الذي كتب أبشع وأفظع وأشنع مما قاله النصراني في حق رب العالمين، وأعظم وأطم مما قاله اليهود في حق رب العالمين، فإن لله وإنا إليه راجعون! ثم إنني أقول: إن هناك أشياء

كثيرة مما ينبغي للمسلمين أن يحتسبوا عليها الآن، وأن يعلنوا إنكارها، قبل أن يسلب الله تعالى عليهم، ثم يدعونه فلا يستجاب لهم، فإن هذا الإعلام الذي يغير أخلاق المسلمين وعقائدهم صباح مساء من خلال التلفاز والإذاعة والجريدة والمقالة، ويجارب الكلمة المهادفة الصادقة بكل وسيلة، إنه من أعظم المنكرات التي يجب على كل مسلم أن يحتسب عليها، وكذلك الربا الذي شاع وانتشر في بلاد المسلمين، وأصبحت بيوته أعظم البيوت، وأصبحت تناطح السحاب أحياناً بارتفاعها وقوتها، وكأهما قلاع أعدت لحرب الله تعالى ورسوله.

ومع ذلك قلما نسمع خطبة في التحذير من الربا، أو درساً في النهي عنه، أو بياناً يوجه المسلمين إلى تركه، وقلما نسمع صوتاً ناصحاً يطالب بقوة بوجوب تحويل الاقتصاد إلى اقتصادٍ شرعيٍّ إسلاميٍّ لا شبهة فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

أمة يجارها الله تعالى: كيف تفلح؟! كيف تنجح؟! كيف يستقيم اقتصادها؟! كيف تنتصر على عدوها؟! كيف تجتمع كلمتها!؟

التهاون بالصلاة

السؤال: أنا أحب الشباب المنتزمين، لكنني أهاون بالصلاة كسلاً، وأريد أن أتوب وأرجع إلى عملي الصالح.. ادع لي بالتوفيق والتوبة الصالحة؟

الجواب: نسأل الله تعالى: أن يوفقك ويتوب علينا وعليك إنه على كل شيء قدير، لكن مع ذلك كما قال النبي ﷺ لربيعة بن مالك: {أعني بكثرة السجود} عليك أن توطن نفسك على العبادة والصلاة، وتصحب جلساء الصالحين، وعليك أن تكثر أنت من دعاء الله تعالى؛ فإنه لن يدعو لك أحدٌ أنصح لك من نفسك، والله تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقبل أن تطلب يا أخي الكريم! أن ندعو لك.. عليك أنت أن تدعو لنفسك دعاءً صالحاً، وإياك إياك أن تكون ممن ذكر الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

فعليك أن تدعو أنت لنفسك وتصدق الله تعالى.

خطورة الخدم والخادما والسائقين

السؤال: ما رأيك في كثرة الخدم والخادمت والسائقين في هذا المجتمع وغيره؟ ومن الملاحظ أن هذا الأمر لم يعط حقه من التحذير مع بيان أخطاره في المجتمع؟

الجواب: نعم هذا خطرٌ عظيم وتأتينا اتصالات وأخبار وأسئلة فظيعة من الجرائم التي تقع في داخل البيوت، من كبار وصغار السن، من الرجال والنساء؛ بسبب كثرة الخدم والخادمت ومجيء النساء بدون محارم، وعدم التوقي منهم، وجعلهم في البيوت، وإطلاعهم على الأسرار وسهولة اتصالاتهم الهاتفية، واستقبالهم لمن شاءوا وخروجهم متى شاءوا، واختلاط الرجال بالنساء، وخلوهم معهن، واختلاط النساء الخادمت بأهل المنزل، وتزينهن أحياناً! وقد تكون المرأة جاءت من مكان بعيد منذ سنوات وهي بعيدة عن زوجها أو حتى غير متزوجة أحياناً، وهي امرأة فيها ما في غيرها من النساء، من الغريزة التي ركبت، وكذلك أهل المنزل قد يكون فيهم الشباب الأغرار ويحصل من جراء ذلك خطرٌ شديد، ويتحمل وزر هذا الأمر وحويته ومغبته بالدرجة الأولى من تسبب في ذلك، ومن هؤلاء أولياء الأمور من أهل البيوت والآباء وسواهم ممن سهلوا هذه المهمة أو أذنوا بها، أو سمحوا بوجودها أو ساعدوا عليها.

نصح الابن لأبيه

السؤال: أبي رجلٌ موسر وآتاه الله تعالى مالاً وأحب له ما أحب لنفسه؛ فما هي السبيل التي أستطيع أن أسلكها معه حتى يكثر من الصدقة والبذل في سبيل الله ودعوة الناس إلى الخير؛ لأنني أحس أنه قد يقبض يده عن هذا الخير العظيم، وفقنا الله وإياكم للخير..

الجواب: عليك أولاً بكثرة الدعاء له، ثم عليك أن تكلمه في ذلك بالكلمة الطيبة، وأن تكون عاملاً معه في عمله، حتى يقتنع منك ويرتاح إليك ويقبل رأيك، ثم عليك أن تسلط عليه بعض الأختيار الذين يدخلون معه مدخلاً حسناً، ويقنعونه بعمل الصالحات.

الاحتلام في نهار رمضان

السؤال: من احتلم في نهار رمضان أصبح صومه أم لا؟

الجواب: الاحتلام في نهار رمضان أي: أن يرى الإنسان وهو نائم شيئاً، فتخرج منه شهوته، هذا الاحتلام لا يفطر الصائم، وعليه إذا استيقظ أن يغتسل، ولا شيء عليه.

الطيب والبخور للصائم

السؤال: الروائح الطيبة هل تفطر، مثل دهن العود وغيره؟

الجواب: الروائح الطيبة لا تفتطر، فالرائحة ليست من المفطرات، لكن إن كان لهذه الرائحة جرم، مثل الدخان الذي يتصاعد من البخور، فعلى الإنسان أن يتجنب أن يقرّبها من أنفه أو يشمها.

معجون الأسنان

السؤال: ما حكم معاجين الأسنان؟

الجواب: معاجين الأسنان لا تفتطر الصائم، إذا اكتفى بأن يغسل بها فمه، وينظف به أسنانه، وعليه بعد ذلك أن يخرجها من فمه، ولا يصل إلى حلقة شيء منها.

تتبع المصلين للإمام الحسن الصوت من أجل الخشوع

السؤال: من يصلي عند إمام جيد الصوت من أجل صوته، ويحاول أن يخشع في الصلاة، ولكنه يخشع قليلاً ثم ينصرف إلى الدنيا، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: نعم؛ لا حرج للإنسان أن يذهب إلى المسجد الذي يظنه أقرب إلى الخشوع، ليس عليه في ذلك شيء، بل يرجى أن يكون له في كل خطوة حسنة إن شاء الله تعالى، كما وعد النبي صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة للخشوع، فأولاً: الخشوع مما ينبغي أن يحرص عليه الإنسان، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وذكر الله تعالى هذا في صفات المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون ١-٢].

ولكن.. ما هي الأسباب التي تمنعنا من الخشوع؟

لعل من أعظم الأسباب: كثرة المعاصي!! قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين ١٤-١٥].

فبعض الناس: إذا اجتمع قلبه وقربت دمعته، جاءه الشيطان يركض، فصور أمام عينيه معصيته يوم كذا وكذا، فتفرق الخشوع من قلبه وزال عنه، حتى إن عينه لا تبض بقطرة، فهذا من شؤم المعاصي والذنوب، فعليك أن تقاومها وتحاربها.

ثم إن الخشوع وحده لا يكفي، ولهذا الله تعالى ذكر وجوهاً خاشعة، وقال: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية ٤-٧].

فالخشوع لا بد معه من إيمان، ولا بد معه من اتباع لسنة الرسول ﷺ، ولا بد معه من إحسان، ولا بد معه من عمل، حتى يكون هذا الخشوع مؤثراً.

جواز فطر المسافر

السؤال: لقد ذهبتُ إلى الرياض وأنا صائم، وشق عليّ ذلك اليوم، وبعد رجوعي شربتُ شيئاً، لما في ذلك من أثر الصداع، فما رأيكم في صومي هذا؟

الجواب: ما دمت مسافراً فيمكانيك أن تفطر؛ فإن الله تعالى قال: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وما دمت قد أفطرت، فعليك قضاء ذلك اليوم الذي أفطرتَه.

السواك لقراءة القرآن

السؤال: ذكرتم أنه لم يصح في التسوك قبل قراءة القرآن حديث، فهل نجعل السواك قبل القراءة من المستحبات وليس من السنن؟

الجواب: قد جاء في مجموعة أحاديث، وبعض أهل العلم رأى أن بعضها يقوي بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، ومنها حديث: {إن أفواهمكم طرق القرآن؛ فطيبوها بالسواك} وعلى كل حال، فالسواك من فضائل الأعمال، ولا حرج في أن يستاك الإنسان قبل الصلاة.

الجماع في صيام التطوع

السؤال: ما رأيكم في من جامع امرأته عارفاً بصيامه وهو في صوم التطوع يوم الاثنين والخميس مثلاً؟

الجواب: من جامع امرأته في صوم تطوع فلا شيء عليه؛ فالتطوع أمير نفسه، وليس عليه في ذلك شيء، وإن أحب أن يقضي بدله يوماً آخر، فيتطوع يوماً آخر، فهذا حسن، ولو لم يفعل فليس عليه شيء، أما من جامع امرأته وهو في رمضان، فإنه قد أتى ذنباً عظيماً، وعليه أربعة أمور: الأول: أن يمسك بقية اليوم؛ لأنه أفطر من غير عذر.

الثاني: أن يتوب إلى الله تعالى توبةً نصوحاً؛ فإن هذا من الكبائر.

الثالث: أن يقضي يوماً مكانه كما ذهب إليه أكثر أهل العلم.
 الرابع: عليه الكفارة وهي: عتق رقبة، فإن لم يستطع أو لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ولو أفطر فيهما يوماً واحداً من غير عذر، لزمه أن يستأنف الشهرين من أولهما، فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً، وهذه الكفارة على الترتيب على رأي جماهير أهل العلم، خلافاً للإمام مالك، أما من كان صومه قضاءً لواجب، مثل إنسان قضى يوماً من رمضان في شوال، ثم أفطر، فهذا آثم أيضاً، فإن من شرع في أداء صوم واجب، ولو لم يكن من رمضان، كالقضاء، أو الكفارة، أو النذر، فإنه لا يجوز له أن يفطر في ذلك اليوم.

الذهاب بالعائلة إلى مكة ودخول الخادمة الكافرة مكة

السؤال: هل تنصح بالذهاب إلى مكة للعوائل، وما حكم ذهابهم بالخادمة الكافرة؟
 الجواب: لا أنصح بذلك.. بالنسبة للعوائل، اللهم إلا أن يكون معهم من يحفظهم، ويضبط أمورهم، ويقضي حاجاتهم، ويتابعهم جيداً، فإن أوضاع البلد الحرام في هذا الشهر لا تحفى على الكثيرين من اختلاط الشباب والفتيات، وكثرتهم في الحرم، وخارج الحرم، وفي الأسواق، والأزقة، بل وفي الشقق والعمائر والفنادق وغيرها، وقد اطلعنا واطلع غيرنا من ذلك على أشياء كثيرة، توجب على أولياء الأمور الذين يكون عندهم شباب مراهقون أو بنات مراهقات ألا يذهبوا بهم، اللهم إلا أن يكون الذهاب ليوم واحد يقضون فيه العمرة، ويحققون فيه الفضيلة الواردة في صحيح البخاري: { عمرة في رمضان تعدل حجة } ثم يعودون، أما كونهم يقضون الشهر كله، أو العشر الأواخر هناك، ويترك الأب الحبل على الغارب لأولاده، ولا يدري أين ذهبوا، ولا أين جاءوا، ويكون هناك تسوق في الشوارع وذهاب وإياب، ولقاءات، وأعداد كبيرة عند الهواتف واتصالات، ورسائل متبادلة، وأمور كثيرة، فإن هذا لا شك ربما يكون الأمر فيه خلاف ما ذهب الإنسان إليه، ويكون كمن بنى قصراً وهدم مصرأً، وكذلك بعض الشباب، وقد أعجبني بعضهم من نظر الأوضاع فلم يطلق صبراً فعاد؛ لأنه وجد هناك بعض المغريات والفتن.

من اللائي لم يحججنَ يبعينَ حسبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا

أما الذهاب بالخادمة الكافرة فلا يجوز، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة: ٢٨].

يؤسفني أن أحد الإخوة يقول: إن قريبةً له رأت امرأة في الحرم، لما أقيمت الصلاة، قالت للخادمة: قومي فاخرجي، فقامت الخادمة وخرجت، قالت لها: لماذا؟ قالت: لأنهما كافرة، أريد أن تخرج حتى تقضى الصلاة! لم يكتفوا بإدخالها مكة، بل أدخلوها إلى المسجد الحرام، وهؤلاء ارتكبوا عدة ذنوب:

أولاً: استقدام امرأة بدون محرم.

ثانياً: إدخال الكافرة إلى جزيرة العرب.

والنبي ﷺ يقول: {أخرجوا المشركين من جزيرة العرب} {لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب} {لا يجتمع في جزيرة العرب دينان}.

ثالثاً: أنهم أدخلوها مكة، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] ومكة كلها حرم.

رابعاً: أنهم أدخلوها إلى المسجد نفسه.

وهذه الأشياء كلها مما نهى الله تعالى عنه.

حكم الأكل مع أذان الفجر

السؤال: ما حكم الأكل مع أذان الفجر وما مقدار الوقت الذي يجوز فيه ذلك؟

الجواب: بالنسبة للأكل: يأكل الإنسان ويشرب إلى طلوع الفجر، فإن كان هناك مؤذن يؤذن على الوقت، فإذا سمعت صوته في أول الأذان، فعليك أن تمسك، أما إن كان المؤذنون يحتاطون ويكفرون دقيقة أو دقيقتين، فعليك أن تأكل بمقدار هذه الدقيقة أو الدقيقتين.

بدعة عشاء الوالدين في العشر الأواخر

السؤال: ما رأيكم في عشاء الوالدين الذي يقام في العشر الأواخر؟

الجواب: هذا ليس له أصل، لكن الصدقة مشروعة عن الوالدين وغيرهم، وليس في الصدقة اختلافٌ كما قال بعض السلف؛ فبإمكان إنسان أن يتصدق عن نفسه أو عن والديه بمالٍ أو طعامٍ أو عشاءٍ يعطيه الفقراء والمساكين، أو ما أشبه ذلك.

التعاون على البر والتقوى

السؤال: لو نهبت الإخوة الحضور بأن كل واحدٍ منهم عليه واجب نحو إخوانه، فلو كل واحدٍ منهم قام في مسجد الحي الذي يسكن فيه، وجمع التبرعات للمسلمين، لحصل من ذلك خيراً كثيراً؟

الجواب: هذا سبق أن نوهتُ به، وأدعوك أنت يا أخي! يا صاحب هذه الرسالة! أن تكون من أول المبادرين إلى هذا العمل، فأنت -إن شاء الله- شريكٌ في الأجر، لأنك دلت على خير، والدال على خير له مثل أجر فاعله، لكن عليك أيضاً أن تكون مسارعاً إلى الخيرات.

صلاة المسافر وراء إمام مقيم

السؤال: أنا كنتُ مسافراً وجمتُ إلى مسجد أهلهم مقيمون، ووجدت الإمام في التشهد الأخير وعندما سلم قمتُ وجمتُ بركعتين فقط؟

الجواب: لا! بل عليك ما دمت اقتديت بإمامٍ مقيم أن تأتي بأربع ركعات، لقوله عليه الصلاة والسلام، كما في الصحيح: {فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا} فأنت فاتك أربع ركعات، ولذلك قال السائل لـ ابن عباس: [أكون بمكة، فكم أصل إذا لم أصل مع الإمام؟ فقال: تصلي ركعتين] فدل على أنه كان مستقراً عندهم أن المسافر إذا كان مع إمامٍ مقيم، فإنه يصلي وراءه أربع ركعات في الرباعية، ولا يقصر الصلاة معه، وهذا مذهب كثير من أهل العلم خلافاً للإمام مالك رحمهم الله تعالى أجمعين.

حكم العمرة لإمام يتعطل المسجد لذهابه

السؤال: ما رأيكم في من يذهب إلى الديار المقدسة للعمرة وهو إمام ويترك جماعة المسجد؟

الجواب: عليه أن يحرص إن ذهب أن يجعل في المسجد من ينوب عنه، ويقوم مقامه، وأنصح ألا يكثر الإخوة الذهاب، بل لو أن الإخوة جلسوا في بلادهم، وذهب الواحد يوماً للعمرة لكان هذا أولى.

انشغال الناس عن رمضان باللهو واللعب

السؤال: مضى ثلث هذا الشهر تقريباً، ولا يزال بعض الناس على ما هم عليه من الذنوب والمعاصي وتضييع الوقت من غير فائدة، فهل من كلمة توجيهية تلقىها لهذه الفئة من الناس؟

الجواب: أذكر الإخوة بما قاله النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى وأبي هريرة: { أن النبي عليه السلام صعد المنبر وقال: آمين.. وآمين.. وآمين.. قالوا: يا رسول الله، قلت آمين.. قال: جاءني جبريل فقال: من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، قل: آمين.. قلت: آمين }

فما بالك بإنسان دعا عليه جبريل، وأمن عليه رسول الله ﷺ، وإذا لم يتب الإنسان في رمضان فمتى يتوب؟! إذا كانت يا أخي: أيام ومواسم الطاعات وغيرها عندك سواء، فمتى يستيقظ قلبك؟! إذا كانت الجمعة فرصة لك، وأنت لا تفكر بأن هذا يومٌ فاضل، ويومٌ فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه.. وفيه.. وفيه ساعةٌ تجاب فيها الدعوة، وفيه تشرع كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم... وإنما تتذكر فقط أن يوم الجمعة يوم إجازة، وترتكب فيه بعض الذنوب والمعاصي التي لا ترضي الله، ومثل ذلك هذا الشهر الكريم.

لا تذكر من ذكرياته إلا أن الليل وقتٌ للعب الكرة، سواء أكان ذلك في الملاعب، أم مشاهدة اللاعبين على شاشة التلفاز، وما قصرت رعاية الشباب فقد أعدت لشبابنا في هذا الشهر خمسة عشر مباراة طيلة خمسة عشر يوماً من أيام هذا الشهر! وأما بالنسبة للشباب الذين لم يستطيعوا الحضور، فالوسائل والإمكانات تتيح أن تنقل لهم هذه المباريات حياً على الهواء، ليستمتعوا بمشاهدتها طيلة ليالي هذا الشهر الكريم، أما في النهار، فهم مشغولون بالدراسة أو بالعمل، ولك أن تتصور بقية اليوم، فمتى يجد الواحد وقتاً لقراءة القرآن، أو لذكر الله، أو للتفكير في أمور الآخرة، أو حتى لمصلحته الدنيوية؟! والله المستعان!!

أسأل الله تعالى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا بعده تفرقاً معصوماً، وألا يجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.